

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهدنا الصراط المستقيم

حقوق الطبع

محافظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

منشورات:

مؤسسة التقى الثقافية

النجف الأشرف

٠٠٩٦٤٧٨١٠٠٠١٩٠٢

m-alshirazi.com



دروس في التفسير والتدبر

اهدنا الصراط المستقيم

محاضرات

سماحة السيد رضوان الحسيني الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ
نَسْتَغِيثُ هِدَايَاكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

اللَّهُمَّ لِي وَلِيكَ

الْحَبِيبِ بْنِ

صَلَاةُ لِي وَعَلَيْهِ وَعَلَى الْإِيمَانِ
وَيَقِينِي لِي وَعَلَى لِي وَعَلَى لِي
وَعَلَى لِي وَعَلَى لِي وَعَلَى لِي
وَعَلَى لِي وَعَلَى لِي وَعَلَى لِي
وَعَلَى لِي وَعَلَى لِي وَعَلَى لِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين،
ثم الصلاة والسلام على سيدنا وحيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى
أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، سيما خليفة الله في الأرضين،
واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم.

المقدمة

موضوع البحث ونطاقه هو: الآية القرآنية الكريمة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾ في دوائر أربعة (الهداية) و(الصراط) و(الاستقامة) و(الحجج على
الصراط المستقيم).

غاية البحث: التعرف على مراحل الكمال والإرشاد إلى أنواع التكامل
لكل مؤمن مهتدٍ، والمخاطر التي يواجهها المؤمنون والمهتدون في الحياة والتي
يحتاجون فيها إلى طلب الهداية من الله تعالى.

وأيضاً: الحجج التي يمكن الركون إليها في الوصول إلى الحقائق الميتافيزيقية
وأهمها وجود الخالق جل اسمه ووحدانيته وعدله وبعثه للرسول إضافة إلى سائر

مسائل أصول الدين.

معضلة البحث: هي إن طلب الهداية من المهتدي بالفعل ، هي طلب للحاصل ، فلماذا نطلب الهداية من الله تعالى ما دمنا مهتدين بالفعل وما هي وجوه ذلك؟ وإن الحجج في الشؤون العقائدية قد لا تكون عقلية قطعية دائماً ، فهل هنالك أنواع أخرى من الحجج وهل هي كافية ومؤمنة؟!

منهج البحث: تحليلي - فلسفي - لغوي وتاريخي ، إضافة إلى كونه تربوياً - اخلاقياً ، وهو يمزج بين المنهجين العقلي والنقلي في مباحثه كما يستخدم المنهج المنطقي القياسي للاستدلال على بعض مسائله أو للإرشاد إلى بعض مطالبه ، كما اعتمد على الدلالات المتنوعة المنطقية - الأصولية ، كالدلالة الالتزامية ودلالة الاقتضاء ودلالة التنبيه والإيماء أو الإشارة وشبه ذلك ، وهو منهج علمي بالأساس مع تطعيمه بحوادث وقصص توجيهية تربوية.

هيكليته: تضمن الكتاب فصولاً ومجوتاً أهمها : ضرورة طلب الهداية من الله تعالى في مرحلة العلة المبقية ، وللدرجات العليا ، وفي القضايا المستحدثة والمواقف الصعبة.

وأيضاً: الهداية التكوينية والشهودية.

كما تطرق إلى أنواع الحجج والأدلة ومنها : الأدلة العقلية والعقلانية والعلمية والتجريبية ، وأنواع أخرى مثل رهان باسكال ونظرية پلانتيंगा في الروبوت المتطور والذكاء الصناعي وفلسفة الذهن والأذهان الأخرى .

مراجعته ومصادره:

اعتمد البحث على المراجع الأساسية في تفسير القرآن الكريم وفي مصادر الحديث ، إضافة إلى بعض المصادر الكلامية والعلمية ذات الصلة بمحور البحث ،

إضافة إلى أنه اعتمد - بشكل كبير - على منهج التدبر في القرآن الكريم والتفكير فيه واستنطاق آياته ودلالاته الخفية.

التمهيد

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

الكون في معادلة ثنائِيّة الظاهر والباطن

إن هذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تعدّ من الآيات الظاهرة الدلالة الواضحة المقصود الجلية المعنى إلى أبعد الحدود، لكنّها - وهنا المفارقة الملفتة - تحتزن بجرّاً من الأسرار والغوامض والمعاني والبطون، كما تستدعي الكثير الكثير جداً من البحوث الكلامية والفقهية والفلسفية والاجتماعية والنفسية والتاريخية وغيرها.

والغريب في الأمر أن كافة ما خلقه الله تعالى في عالم التكوين، ككافة آياته المفصلة في عالمي التشريع والإخبار، تتميز بهذا الثنائي المزيج المتفرد من وضوح الظاهر وعمق الباطن:

ف(النور) - مثلاً - هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره لكنه وراء ظاهره المشرق الظاهر بنفسه يخترن بجرّاً من الحقائق والأسرار التي لم يصل البشر إلا إلى جزء بسيط منها فقط.

وكذلك (الزمن) الذي نعيشه لحظة بلحظة فإنه في شدة ظهوره لنا غامضٌ مبهمٌ مجهولٌ حتى اختلفت الأقوال فيه إلى أكثر من عشرة ومع ذلك لم يُعلم ما هو كنهه وجوهره إلا بإشارات هي في واقعها سطحية وإن بدت عميقة علمية.

بل وكذلك كل شيء: الأرض والمياه والأشجار، والشمس والقمر

(١) سورة الفاتحة: ٦.

والسحاب والحجر والمدر، فكلها تختزن في باطنها أسراراً لا تنتهي؛ والعلم رغم تطوره المذهل في علم الذرة والأمواج والجينات الوراثية والفيزياء والكيمياء، لم يقف حتى الآن إلا على العتبة الأولى من ما لا يتناهى من درجات الوصول إلى أعماق تلك الحقائق.

العلوم الأربع: ظاهر الدنيا والآخرة وباطنهما

والآية الكريمة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(١) تشير إلى ذلك بنحو مذهل إذ يستنبط منها أن للعلم أضلاعاً أربعة، وإن البشر لا يعلمون إلا بعض إحدى تلك الأضلاع فقط، والعلوم هي: أ - علم ظاهر الحياة الدنيا. ب - وعلم باطنها. ج - وعلم ظاهر الحياة الآخرة. د - وعلم باطنها.

والبشر يعلمون بعض ظاهر الحياة الدنيا فقط لمكان (من) التبعية في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يعلمون من باطنها شيئاً كما لا يعلمون من الآخرة شيئاً لا من ظاهرها ولا من باطنها، وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ...﴾ يقابله ما لو قال: (ظواهر الحياة الدنيا أو كل ظاهر حياة الدنيا).

وعوداً إلى الآية الشريفة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإننا نجد أن ظاهر الآية واضح جداً وهو الدعاء بأن يهدينا الله تعالى إلى الصراط المستقيم، ولكن وراء هذا الظاهر تكمن العشرات من الحقائق والدقائق واللطائف والبحوث، وسنشير في هذا الكتاب إلى بعض ما تيسر منها.

اهدنا الصراط المستقيم

الفصل الأول

بحوث عن الهداية

البحث الأول:

طلب الحاصل محال فكيف يطلب المؤمن الهداية؟

قد يثار عند التدبر في الآية الشريفة تساؤل هام وهو إن تحصيل الحاصل محال، وأما طلب الحاصل فلغو بل قد يقال باستحالته من الملتفت إلى حصوله، فإنك إذا كنت جاهلاً بالمسألة صح أن تقول للمعلم: علّمني المسألة، أما إذا كنت عالماً بها فلا يصح حقيقةً أن تقول: علّمنيها، إلا مجازاً أو مجاملةً أو توريةً أو شبه ذلك، وكذلك إذا كنت مريضاً صح أن تقول للطبيب عاجني أو إسع لشفائي، أما إذا كنت صحيح الجسم معافى فان من اللغو ان تقول للطبيب: عاجني أو إسع لشفائي، وكذلك إذا كنت خارج السيارة أو الطائرة صح ان تقول: أركبني أو أدخلني، ولا يصح ذلك بالبداهة إذا كنت داخل الطائرة أو السيارة، فطلب الحاصل لغو بل هو محال من الملتفت بمعنى أن الطلب الحقيقي محال ولو صدر فإنما هو صورة طلب وليس بواقع الطلب وحقيقته.

وفي الآية الشريفة التي نقرأها كل يوم على الأقل عشر مرات في الصلوات، والكثير يقرأها في النوافل وغيرها مراراً كثيرة جداً، فإن الذي يدعو بهذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لو كان هو الكافر لصح منه ومن الضالّ عن الإمامة مثلاً، لكن كيف يقرأها ويتلوها ويدعو بها المهتدي إلى الصراط المستقيم؟ ذلك أن المفروض إن المؤمن بأصول الدين بدءاً بالتوحيد ومروراً بالعدل والنبوة والإمامة

ووصولاً للمعاد هو مهدي للصراف المستقيم البتة، فكيف يدعو هذا الإنسان ويسأل من الله تعالى بأن يهديه إلى الصراط المستقيم؟

بل إن هذا الدعاء يدعو به وهذا الآية يقرأها حتى الأولياء بل وحتى الأئمة ورسوله الله ﷺ ودعاؤهم حقيقي وليس مجرد لقلقة لسان أو صورة دعاء! فما هو إذاً معنى هذا الطلب الذي يجب علينا (وعلى جميع المسلمين والمؤمنين) أن نكرره كل يوم في الصلوات الخمس؟ وكيف يمكن حل المعضلة؟!

هنالك إجابة أولى معروفة عن هذا السؤال وإجابة ثانية ذكرها البعض، وقد خطرت بالبال أجوبة أربعة أخرى استنتقنا في بعضها لسان الروايات الشريفة، ولعل الباحث يجد في استقراء أوسع ذكراً لبعضها، فتبلغ ستة أجوبة، وكل هذه الأجوبة مفتاحية جوهرية رئيسية ومصيرية أيضاً:

أولاً: طلب الهداية في مرحلة العلة المبقية

الجواب الأول: إن ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هو دعاء وطلب للهداية في مرحلة العلة المبقية، والمراد طلب الديمومة والاستمرارية في البقاء على الصراط المستقيم وليس الكلام عن العلة المحدثة فإنها الحاصلة، أما المبقية فغير حاصلة لذا احتاجت إلى طلب ودعاء وإلحاح، وتوضيح ذلك:

إن الهداية كسائر مخلوقات الله تعالى من الرزق والعمر والوجود كله، مما تحتاج إلى الإفاضة أنا فأنأ، فهي كنهير الماء المتجدد الذي ظاهره يشكّل أمراً واحداً لكنه في واقعه ما لا يعد ويحصى من القطرات إذ تمرّ عليك وأنت واقف تتطلع إلى النهر في كل لحظة قطرات جديدة ومياه جديدة يتصورها الساذج أمراً واحداً ممتداً ولا غير؛ والإنسان المهتدى بالفعل إلى الصراط المستقيم والمؤمن بالفعل بالله ورسوله وأنبيائه وأوصيائه، قد لا يبقى كذلك وقد لا يعلم أنه سيبقى على الإيمان بعد شهر

أو حتى بعد أسبوع بل حتى بعد يوم بل بعد ساعة بل حتى بعد لحظة.
ويشهد لذلك : إننا كثيراً ما نجد الشخص المؤمن يسقط سقوطاً مدوياً في
ثانية واحدة - أعاذنا الله وإياكم - في امتحان مال (ورشوة واختلاس أو ربا أو غير
ذلك) أو منصب أو شهرة أو شهوة أو نزوة أو غير ذلك، وما قصة بلعم بن
باعورا منكم ببعيدة : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

وذلك يعني أنه لا ضمان أبداً للمؤمن سابقاً وفي الحال الحاضرة، أن يبقى
مؤمناً في مستقبل الأيام والأعوام.. فاستدعى ذلك ضرورة الدعاء بل والإلحاح
بالدعاء بأن نقول ونكرر: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ والتي تعني - حسب الوجه
الأول - اهدنا في اللحظات الآتية إلى الصراط المستقيم كما هديتنا إليه في الماضي
والحاضر، أي آدم لنا هذه النعمة الكبرى.

وذلك هو صريح كلام الإمام العسكري عليه السلام قال في قوله ﴿اهدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال : « يَقُولُ : أَدِمْنَا تَوْفِيقَكَ الَّذِي بِهِ أَطَعْنَاكَ فِي مَاضِي
أَيَّامِنَا حَتَّى نُطِيعَكَ كَذَلِكَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَعْمَارِنَا... »^(٢).

وفي القضية التالية أكبر العبرة والدلالة على ذلك :

قصة القاضي الذي مات ضميره بعد الإعدامات!

فقد نقل أحد القضاة المعاصرين أنه ذات مرة كان على وشك السفر
للحج، وكانت لديه ملفات عديدة ينبغي أن يبت الأمر فيها، وقد حاول أن

(١) سورة الأعراف : ١٧٦ .

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ص ٤٤ .

يكملها قبل السفر، وفي ليلة السفر أكمل على عجل مطالعة إحدى الملفات وتوصل إلى أن ذلك الشخص يستحق الإعدام فوقَّع عليه وأعطى الملفَّ لمساعدته ليوصله للجهات المعنية لينفَّذ بحق المتهم حكم الإعدام.

يقول القاضي: سافرت غد ذلك اليوم إلى مكة المكرمة وفي الطريق وأنا في الطائرة استرجعت ما قرأته في الملف عن ذلك الشخص فاكشفت أنني تعجلت في اتخاذ القرار وأنه كان يجب عليّ التريث أكثر ودراسة القضية بتأنٍ وتروٍّ إذ بدت لي بعض النقاط غير واضحة الدلالة وبجاجة إلى تحقيق أكثر، فعزمت على أن أبرق فور وصولي إلى مكة بأنني أعدت التفكير في الأمر وتوقفت في الحكم، لذلك فإنني اسحب حكمي، فإما أن تحوّلوا الملف إلى قاضٍ آخر ليعيد النظر فيه، وإما أن تنتظروني ريثما أرجع لأعيد النظر فيه من جديد؛ لكنني - والكلام للقاضي - ويا للهول نسيت عندما وصلت وانشغلت بالزيارة ومن ثم أعمال الحج، وعندما رجعت سألت عنه فقالوا إنه أعدم!

يقول القاضي: آلمني ذلك بشدة، وظل وجداني يؤرقني لأشهر طويلة ولم يهنا لي طعام ولا شراب، ولكن وبمرور الزمن بدأ صوت الوجدان يجبو ويخفت، ثم تراكمت عليّ الملفات في قضايا كثيرة مختلفة، وفي إحداها ضغط عليّ المسؤول لأوَّقع بالإعدام، ولكنني لم أكن مقتنعاً تماماً فازداد الضغط وخفت أن أفقد المنصب فوقَّعت، ثم وقَّعت على حكم إعدامٍ ثانٍ كذلك.. فثالث.. فرابع.. وهكذا استمر الحال وأنا أوَّقع بضغط شديد من بعض القوى الثورية، ولكن من غير اقتناع تام.

يقول القاضي: والآن - وأنا أفكر - أجد في ملفاتي حوالي عشرين حكماً بالإعدام لا أعلم أنهم كانوا يستحقونه بالفعل أم لا!! ورغم فداحة الأمر إلا أن وجداني لم يعد يصرخ في وجهي حتى ظننت أنه قد مات تماماً بتكرار هذه الجرائم

ولم أعد أستشعر وخزات الضمير إلا بشكل عابر لا يصل حتى إلى عشر معشار تأنيب ضميري في القضية الأولى.

أقول: وكذلك حال المعاصي كافة فإن الشخص إذا أغواه إبليس فوقع في جريمة الزنا أو عمل قوم لوط لا سمح الله فإن ضميره يؤنبه بشدة، ثم إذا تكرر منه العمل زال قبحه بالتدرج ثم يزين له الشيطان عمله حتى أنه قد يعود ليجترح السيئات وضميره اشبه شيء بالأموات!

وكذلك الرشوة والربا والغيبة والتهمة والنميمة فإنه في أول الأمر لعله لا يكاد ينام الليل إذا اجترح تلك السيئة لكنه بمرور الزمن يتحول إلى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ويكون ممن ﴿أَقَمَنَ زِينَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا﴾^(٢) وتتغير شاكلته النفسية فيتحول إلى كتلة من الشر المتجسد فتراه لا يكاد يمكنه أن يعيش إلا في مستنقع السيئات - أجازنا الله وإياكم من ذلك -.

لنكن حساسين جداً تجاه حُسن أو سوء العاقبة

ومن ذلك نعرف ضرورة أن نكون في غاية الحساسية تجاه حُسن العاقبة وسوءها لا سمح الله وأن لا نركن إلى مجرد الاستصحاب أبداً في إيماننا، فإن الاستصحاب نافع في الأصول والفقه، أما في الإيمان وأصول الدين فلا يجدي الاستصحاب أبداً بل لا بد من قيام الدليل والعلة التامة للديمومة والتي تتوقف فيما تتوقف على الإلحاح في الدعاء بـ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

(١) سورة الروم: ٥٩.

(٢) سورة فاطر: ٨.

وقد ورد في دعاء يوم عرفة: «يَا تَوَّابُ تُبِّ عَلِيٍّ وَأَقْبَلْ تَوْبَتِي يَا مَوْلَايَ حَاجَتِي الَّتِي إِنْ أُعْطِيتُهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا مَنَعْتَنِي وَإِنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ يَنْفَعْنِي مَا أُعْطِيتَنِي فَكَأَنَّكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ»^(١) وهذا الدعاء عظيم عظيم إلى أبعد الحدود وهو عين الواقع والحقيقة فإن الدنيا أيام معدودة والآخرة بلا حدود كما وكيفاً وجهةً، فلو تمتع الإنسان بكل شيء من: الأموال الطائلة والثروات المتنوعة والبنين والبنات والعلم الوفير والشهرة والرياسة وكرم المحتد والعشيرة القوية وغير ذلك، لكنه فقد حُسن العاقبة، فإنه لا ينفعه ما حصل عليه أبداً إذ الدنيا تنقضي بسرعة: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(٢) و﴿وَمِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾^(٣)؛ وبالعكس لو حرم الإنسان كل شيء وابتلي بالأمراض والأعداء والفقر والفاقة ثم رزق بـ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٤) لما ضره ذلك شيئاً مادام مصيره هو ﴿فَرْوَحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾^(٥) حيث ﴿لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦).

ثانياً: طلب الهداية إلى الدرجات العليا

الجواب الثاني: إن المراد بـ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الهداية إلى الدرجات العليا من المعرفة والورع والتقوى والطاعة، وذلك لأنه قد ورد في العديد من

(١) كتاب المزار: ص ١٥٩ / مصباح المتهجد: ص ١٩٤.

(٢) سورة النحل: ٧٧.

(٣) سورة إبراهيم: ١٧.

(٤) سور آل عمران: ١٣٣.

(٥) سورة الواقعة: ٨٩.

(٦) سورة السجدة: ١٧.

الروايات تفسير الصراط المستقيم بـ (المعرفة) أو (الطريق إلى المعرفة) أو شبه ذلك ، ففي تفسير القمي عن الإمام الصادق عليه السلام : «الطريق ومعرفة الإمام»^(١) وفي رواية أخرى : «هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُمَا صِرَاطَانِ صِرَاطٌ فِي الدُّنْيَا وَصِرَاطٌ فِي الآخِرَةِ فَأَمَّا الصِّرَاطُ الَّذِي فِي الدُّنْيَا فَهُوَ الْإِمَامُ الْمَفْرُوضُ الطَّاعَةَ ، مَنْ عَرَفَهُ فِي الدُّنْيَا وَاقْتَدَى بِهِدَاهُ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ الَّذِي هُوَ جِسْرُ جَهَنَّمَ فِي الآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فِي الدُّنْيَا زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنِ الصِّرَاطِ فِي الآخِرَةِ فَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٢) .

و(المعرفة) حقيقة تشكيكية ذات مراتب ، وكذلك التقوى والورع ، والطاعة أيضاً هي الأخرى أنواع ومراتب ، فكل مرتبة عليا فهي صراط مستقيم وقد ورد من وصايا الإمام الباقر عليه السلام : «وَسَدِّ سَبِيلِ الْعُجْبِ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ ، وَتَخَلُّصِ إِلَى رَاحَةِ النَّفْسِ بِصِحَّةِ التَّفْوِيضِ ، وَاطْلُبْ رَاحَةَ الْبَدَنِ بِإِجْمَامِ الْقَلْبِ ، وَتَخَلُّصِ إِلَى إِجْمَامِ الْقَلْبِ بِقَلَّةِ الْخَطَا»^(٣) كما قيل : (أَوَّلُ الْعِلْمِ مَعْرِفَةُ الْجَبَّارِ وَآخِرُ الْعِلْمِ تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ) والمعرفة تشير إلى العقل النظري والتفويض يرتبط بالعقل العملي ، ومن الواضح اختلاف مراتب معرفة الله تعالى كما أن الناس في تفويضهم أمورهم إليه على درجات ومراتب أيضاً.

لنكن في حركة دائمة نحو الكمال

وذلك كله يعني أن على المؤمن أن يكون في حركة دائمة نحو الكمال وأن يصعد ويرتقي من مرتبة من مراتب الصراط المستقيم إلى مرتبة أخرى يوماً بيوم وساعة بساعة ، وذلك يستدعي أن يتحول ذلك إلى هاجس في النفس كما يحتاج إلى رقابة مستمرة لدرجات القرب التي يحظى بها الإنسان ومراتب المعرفة

(١) تفسير القمي : ج ١ ص ٢٨ .

(٢) معاني الأخبار : ص ٣٢ .

(٣) تحف العقول : ص ٢٨٤ .

والتقوى وحدود الطاعة التي يتميز بها، وإلا فقد يجد رجل الدين أو الشاب الجامعي أو الطبيب والمهندس نفسه بعد فترة طويلة وهو واقف على نفس المستوى المعرفي الذي كان عليه قبل سنة أو خمس سنوات مثلاً أو بنفس درجة التقوى أو الالتزام الديني والطاعة، هذا إذا لم يتدهور وضعه بمرور الأيام وبتوالي الامتحانات الإلهية عليه في محطات مختلفة.

خطر التراجع الروحي على طالب العلم

والملفت للنظر أن طالب العلم عندما يأتي إلى الحوزة العلمية يأتي بصفاء لا نظير له وبروح إيمانية ورغبة جارفة في أن يتحول إلى ولي من أولياء الله، ولكن بعضهم - ومرار الزمن - وبتراكم انشغالات الحياة وبالانشغال ببعض العلوم الهامشية أيضاً، تجده يفقد ألقه وصفاءه شيئاً فشيئاً ويعود وهو لا يستشعر كما ينبغي لذة المناجاة عندما يصلي صلاة الليل أو حتى في صلواته اليومية، أو يجد نفسه لا يستشعر عمق الخوف من الله تعالى، بل قد نجد البعض يتورط شيئاً فشيئاً في غيبة هذا وذاك بعدر أو آخر وإذا به يستمر في مسيرة الغيبة والنميمة وقد لا يخلو يوم من أيامه إلا وهو مجتري لهذه الكبيرة أو تلك، أعاذنا الله من ذلك.

والحاصل: إن على الإنسان أن يكون حساساً جداً ليس فقط تجاه البقاء على نفس المستوى الإيماني السابق بل وحساساً جداً على أن يتجذر إيمانه ويتعمق وأن تزداد معرفته بالله ورسله وأوصيائهم وتتوسع.

شواخص التقدم معرفياً ومعنوياً

وكما نجد في الدراسة الحوزوية أو المدرسية ضابطاً تتميز عبره مراحل النمو والتقدم من الصف الأول إلى الثاني إلى العاشر وهكذا، فإنه يجب أن يضع المرء لنفسه ضابطاً معرفياً وضابطاً معنوياً أيضاً.

والضابط المعرفي هو: ما يمكن قياس مدخلاته ومخرجاته، فمن شواخصه مثلاً أن يطالع يوماً على الأقل آية ورواية واحدة في أصول الدين بتدبر وإمعان وتفكر واعتبار، ويمكنه اتخاذ (مرآة العقول) مصدراً أساسياً له.

والضابط المعنوي: أن يراقب نفسه كل يوم: فكم مرة استحضر رقابة الله تعالى عليه في هذا اليوم؟ وهل ازداد من الله تعالى خوفاً؟ وهل ازداد له - من جهة أخرى - حباً؟

والاستمرار على ذلك صعب جداً، فإن الحالات المعنوية هي كالزئبق سريعة الانفلات فتحتاج إلى رقابة دائمة مستمرة وإلى دعاء مستمر يؤكد ب: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فكما أن أصل الهداية وحدوثها كان من الله تعالى، ف كذلك درجاتها ومراتبها فإنها لا تكون إلا بلطف منه وبجوده وكرمه إلا أن سعي العبد لذلك ضروري إذ ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَجَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحًا وَجَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْمًا وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَابًا نَاطِقًا عَرَفَهُ مِنْ عَرَفَهُ وَجَهَلَهُ مِنْ جَهَلَهُ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ»^(١) وقد جرت سنته تعالى على: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾^(٢) فكلما اهتديت إلى مرتبة ودرجة ونوع زادك الله تعالى ورفعك إلى نوع ومرتبة ودرجة أخرى، فإذا عرفت قيمة هذه النعمة الجديدة وشكرتها بالقول والعمل وبذلت جهداً أكبر زادك الله أكثر فأكثر.

إننا عندما نكرر: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإننا نطلب، إضافة إلى أن يمن الله تعالى علينا بديمومة الهداية للصرراط المستقيم، الهداية إلى الدرجات العليا من الهداية للصرراط المستقيم وإلى أن ترتقي يوماً بيوم في مدارج الكمال الروحي

(١) الكافي: ج ١ ص ١٨٣.

(٢) سورة مريم: ٧٦.

والسمو النفسي والقرب إلى الله تعالى أكثر فأكثر.

ولو أننا عرفنا اللذة الروحية العظمى التي يحظى بها أولياء الله وهم في الدرجات العليا من القرب إلى الله والمعرفة، لاستصغرنا أنفسنا إلى أبعد الحدود، ويكشف عن ذلك إن الإنسان ليستشعر التضاؤل إذا وقف أمام أحد أولياء الله، تصوروا أنكم لو اكتشفتهم فجأة أن جاركم أو زميلكم أو هذا العالم أو ذلك الخطيب أو هذا المزارع أو البقال أو الخادم هو ولي من أولياء الله تجري الكرامات على يديه، وأنه ينظر مثلاً بالعين البرزخية وأنه يعلم علم المنايا والبلايا كما كان سلمان المحمدي (رضوان الله عليه) يعلم، وأنه يقرأ في جبينكم كل مراحل حياتكم ومسيركم ومصيركم، ألا تحسون حينئذٍ بتضاؤل كبير؟ وألا تشعرون له بإكبار وإعظام منقطع النظير؟

وتصوروا أنكم لو كشف لكم الغطاء مثلاً فجأة فوجدتم أن أحد من تعرفون في المسجد أو المدرسة أو الحسينية، عندما يسبحُ تسبِّح معه السماوات والشمس والقمر والأرض والجبال والأشجار والأقمار والأطيوار؛ فأية هزة روحية عنيفة تعتريكم وأنتم تشاهدون ذلك المنظر؟!

ثالثاً: طلب الهداية التكوينية

الجواب الثالث: إننا عندما نكرر ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإننا نطلب بذلك من الله تعالى الهداية التكوينية بعد الهداية التشريعية، أي إننا بعد الاهتمام إلى طريق الحق وتمييزه عن الباطل وإلى الواجب والحرام والهدى والضلال، نطلب أن يتفضل الرب علينا بالهداية التكوينية أيضاً.

من تجليات الهداية التكوينية، التوفيق، عكس الخذلان وللهداية التكوينية معانٍ وتجليات، ومنها التوفيق الذي يقابله الخذلان. وتوضيح ذلك: إن الهداية على قسمين:

الأول: إراءة الطريق.

الثانى: الايصال إلى المقصود.

فقد يسألك أعمى عن الطريق فتقول له مثلاً: إتجه نحو اليمين ثم واصل المسير بمقدار ألف خطوة ثم انحر ف يساراً؛ وهكذا فهذا هو إراءة للطريق، وقد تمسك بيده حتى توصله إلى المقصود.

والإنسان بحاجة إلى كلا القسمين من الهداية، والقسم الأول قد تحقق بإرسال الرسل وإنزال الكتب وبالقرآن الكريم وكلمات المعصومين عليهم السلام فبمجرد وجود القرآن الكريم ونهج البلاغة والصحيفة السجادية وسائر الأحاديث، بينا تكون قد تمّت الحجة علينا وجرى الإبلاغ النوعي وإراءة الطريق، ولكن هل يكفي ذلك لكي نكون من أولياء الله؟ بل هل يكفي لأن يهتدي بذلك أكثر الناس؟ والجواب كلا! ألا ترون أن أكثرنا لم يقرأ الصحيفة السجادية كلها طوال عمره بتدبر وإمعان؟ وألا ترون أكثرنا لم يقرأ نهج البلاغة بدقة واستيعاب؟ بل ألا ترون أكثرنا لم يقرأ القرآن الكريم بتبصر وتفهم؟ لماذا؟ فمع أننا ندعن بأن هذه الكتب هي أعظم الكتب المقدسة على الإطلاق ونؤمن بأن فيها مفاتيح النجاح في الدنيا ومفاتيح الفلاح في الآخرة، مع ذلك قد تمضي علينا عشرون سنة أو خمسون أو ستون ونحن لم نقرأها لا لعدم قدرتنا على القراءة مثلاً بل للانشغال بهوامش الحياة الدنيا: من الحضور في مجالس البطالين، إلى مشاهدة البرامج التلفزيونية، إلى الزيارات المطولة غير الضرورية، إلى التسكع في المحافل أو الشوارع أو الأسواق، وإلى النوم غير الضروري والسفريات الترفيهية، إلى غير ذلك!

لماذا نشتغل بهوامش، ومنتاسى أعظم الكتب المقدسة؟

فلماذا إذاً نترك بذل الوقت على أعظم الجواهر الربانية لنتشتغل بغير المهم بل حتى بالتوافه من الأمور؟ لماذا؟! هل لأننا لا نعلم؟ كلا! هل لأننا

شاكون؟.. كلا! هل لأن البدائل التي تفوّت علينا قراءة القرآن والنهج والصحيفة والتدبر فيها هي بدائل اضطرارية لو لم نشغل بها لهجم العدو علينا مثلاً واحتل بلادنا وسفك دماءنا؟ أو هل لأننا لو انشغلنا بها لأدى ذلك إلى تهشّم عظامنا وقطع أيدينا وفقاً أعيننا؟ كلا ثم كلا، وكما هو واضح، بل إننا نعلم بأن القارئ للقرآن والنهج والصحيفة بتدبرٍ وتبصّرٍ وتفكّرٍ واعتبار يكون الأفضل والأكمل، ويكون هو الحائز على المكرمات من أطرافها، ويكون هو الأقرب لأن يحظى بالأمن والحفظ والتقدم والازدهار.

فلماذا - إذاً - نجد أكثرنا معرضاً عن الانكباب، ولو ساعتين يومياً، على القرآن والنهج والصحيفة وتحف العقول وأصول الكافي والاحتجاج وشبهها؟ الجواب ما ذلك - في معظمنا - إلا للخذلان وسلب التوفيق، والتوفيق هو الهداية التكوينية التي يدور الحديث عنها الآن ونطلب من الله تعالى بإلحاح أن يمنحنا في دعائنا بإصرار إذ نكرر ثم نكرر الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي هدايةً تكوينية بالتوفيق لما تحب وترضى إضافة للهداية بمجرد إراءة الطريق.

إشارة لفقه رواية الإمام الصادق عليه السلام

وفي رواية الإمام الصادق عليه السلام الآتية إشارات عديدة للمعاني السابقة:
قال: «قَالَ يَقُولُ أَرْشِدُنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْشِدُنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَالْمُبْلَغِ إِلَى دِينِكَ وَالْمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا فَنَعُطِبَ أَوْ نَأْخُذَ بِأَرَائِنَا فَنَهْلِكَ»^(١).

فقوله عليه السلام: «أَرْشِدُنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ» إشارة للهداية بمعنى إراءة

الطريق.

(١) معاني الأخبار: ص ٣٣.

وقوله عليه السلام: «أرشدنا للزوم الطريق» إشارة للعلّة المبقية والديمومة على الهداية وقد يكون قوله عليه السلام: «الطريق المؤدّي إلى محبتك والمبلغ إلى دينك» إشارة للمراتب التشكيكية للعليا والإرشاد لها مرة بعد أخرى نظراً إلى أن محبة الله تعالى ذات مراتب لا متناهية وان البلوغ إلى دينه درجات وأنواع، فلزومه مساوق للتكامل والصعود والترقي دائماً وأبداً. فتأمل

ولعل قوله عليه السلام: «والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعتب أو نأخذ بآرائنا فنهلك» إشارة للهداية التكوينية لظهور قوله عليه السلام: «المانع» فيها لكن لا عن جبر بل مع حفظ الاختيار وهو المسمى بالتوفيق فانه مانع اقتضائي وليس علياً.

ولعلنا نفصل الكلام عن هذه الرواية ونظائرها لاحقاً بإذن الله تعالى.

الشيخ المفيد رحمته والرؤيا المذهلة

ولنختم بقصة شهيرة تكشف جانباً من الهداية التكوينية الإلهية والتوفيق الرباني :

فلقد كان الشيخ المفيد رحمته من أعظم علماء الإسلام بل لعله كان في زمانه الأفقه الأعلم وكان زعيم الشيعة في وقته، وذات ليلة شاهد في المنام السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تدخل عليه وهي آخذة بيديها الكريمتين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما أجمعين) ثم قالت له: يا شيخ علمهما الفقه!

استيقظ الشيخ المفيد رحمته وهو منذهل لهذه الرؤيا ومتحير في تأويلها إذ ما معنى أن تطلب منه بضعة الرسول صلى الله عليه وآله ان يعلم الحسن والحسين عليهما السلام الفقه؟ وظلّ الشيخ المفيد رحمته حائراً متفكراً، ثم ذهب صباحاً إلى المسجد الذي كان يدرّس فيه العلماء في منطقة الكرخ ببغداد، وبينما هو منشغل مع الطلاب والناس، وإذا بإحدى العلويات المعروفات من أهم الأسر الفاطمية وهي (فاطمة بنت الناصر)

تدخل عليه ويدها ولداها الصغيران محمد وعلي (الشريف الرضي والسيد المرتضى) فقام واستقبلها بحفاوة، كونها امرأة فاضلة من أسرة فاضلة شريفة ومن أحفاد علي والزهراء عليها السلام، فقالت له: يا شيخ علمهما الفقه! وهنا اهتز الشيخ المفيد رحمته من أعماقه وتملكته العبرة إذ عرف التأويل الواضح لرؤياه، وكان ذلك هو السبب في أن يتقبلهما الشيخ المفيد رحمته بقبول حسن وأن يتعهد تربيتهما على أفضل وجه وأن يبذل قصارى جهده ليزغا في سماء العلم والأدب والمعرفة، وهكذا كان.

والشاهد هو في الهداية التكوينية الإلهية التي دفعت الشيخ المفيد رحمته، وهو المرجع والأستاذ الكبير والذي لا يعقل عادة أن يتقبل تربية طفلين صغيرين بل كان مقتضى القاعدة أن يرجع الأمر إلى أحد تلاميذه بل كان يكفي الإرجاع إلى أحد تلامذة أحد تلامذته، ولكن الله هداه بالرؤيا الصادقة، هداية تكوينية ليعرف الأصوب والأفضل له وللولدين وللشيعة على مر التاريخ.

ومن الواضح إن الرؤيا في حد ذاتها ليست حجة، ولكنها إذا طابقت القواعد العامة الصحيحة كانت من المبشرات، وإذا كان تعبيرها جلياً واضحاً كانت من المؤيدات^(١).

من مصاديق الهداية التكوينية لطلاب الحوزة العلمية

ونحن بأحوج ما نكون إلى الهداية التكوينية بمختلف مراحلها وأنواعها، وليتضح ذلك أكثر تصوروا لو أن أحدكم جاء إلى الحوزة العلمية فاحتفى به أحد العلماء الأبرار واحتضنه وأهتم به وبرمج له دروسه وهندس له كتب المطالعة والمذاكرة والمباحثة وعرفه على ثلة من الأصدقاء الصالحين، فإنه يكون حينئذٍ ممن حظي بهذا الحظ والنصيب من الهداية التكوينية، لكنه لو دخل الحوزة فلم يهتم

(١) راجع: (فقه الرؤى دراسة فقهية وأصولية في عدم حجية الأحلام على ضوء الكتاب والسنة والعقل والعلم) للمؤلف.

به أحد ثم بدأ رحلة التجربة والخطأ في الدراسة عند هذا أو ذاك والصدّاقة مع هذا أو ذاك وغير ذلك، فقد يكتشف بعد زمن أنه أخطأ كثيراً وأضاع كثيراً من حظوظه بالدرس عند هذا لسنين دون ذلك الآخر الأعلّم الأتقى الأفضل أو بالصدّاقة مع ثلة كانت تجرّه بعيداً عن الجادة بدل ان تعينه على نفسه.

وللكسبة والتجّار

وكذلك التاجر أو الكاسب فإنه تارة يبذل قصارى جهده في التجارة أو الاستثمار لكنه لا يوفق في مسيرته التجارية أبداً، أو ينجح حيناً دون آخر، وتارة أخرى تكون تجارته مباركة وتفتح له أبواب الرزق من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب وإذا به يحصل على (لقطات) تجارية لم تكن تخطر على باله، أو يقيض الله له مدير أعمال ذكيّ شهمٍ ومدبر أو يضع أمامه بتسبب إلهي شريكاً ناجحاً أو يهد له للتعرف على أنماط جديدة من التجارة أو على أطراف أخرى تدير العمليات التجارية بكل حرفية ودقة وإبداع ومهارة.

وهكذا الأمر في كافة مجالات الحياة.

ولذلك كله ولغيره أيضاً مما سيأتي كان علينا أن نبتهل إلى الله تعالى دائماً قائلين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فإذا دعونا الله تعالى حقاً وبصدق وانقطاع وباللحاح وإصرار ووسطنا سادات الكون وأئمة الورى فإن الله بلطفه وكرمه سيغير سوء حالنا بحسن حاله، أو ينقلنا من نجاح إلى نجاح أعظم ومن خير إلى خير أكبر ومن مرحلة من مراحل الهداية إلى مرحلة أسمى وأعلى، وما ذلك على الله بعزيز.

رابعاً: الهداية في القضايا المستحدثة

الجواب الرابع: إن المراد من ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ طلب الهداية في القضايا المستحدثة الأعم من التجليات المتجددة لمعلقات الصراط، بمعنى طلب

الهداية إلى الصراط المستقيم في الموضوعات المستحدثة والمصاديق المتجددة ونظائرها مما سيأتي، وليس المراد أن هنالك صراطات أخرى وأن المراد بالآية الهداية إليها؛ وذلك لبدهاة أن الصراط واحد لا يتعدّد ولا يتكرّر فهو كلي منحصر بالفرد.

والغريب إن التبع يقودنا إلى أن القرآن الكريم لم يرد فيه الصراط بصيغة الجمع أبداً، بل إنه إذا أراد جمع ما وقع في مقابل الصراط، عبّر عنه بالسُّبُل، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(١) وذلك لأن الصراط إلى الله تعالى واحد وإنما له متعلقات ومصاديق متعددة فإبراهيم النبي صراط إلى الله وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام وعلى رأسهم النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله كل منهم صراط إلى الله تعالى وكذلك كل واحد من الأئمة عليهم السلام.

وبكلمة أخرى: إننا نطلب من الله تعالى أن يهدينا للصراط المستقيم عند مواجهة كل موضوع مستحدث، ذلك أن الإنسان كثيراً ما يواجه تحديات مصيرية وتكون أمامه خيارات صعبة حتى يتحير في الصراط المستقيم الذي يرضى الله تعالى به؟ ولذا ورد: «أَتَانِي جِبْرِيْلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وآله سَيَكُونُ فِي أُمَّتِكَ فِتْنَةٌ قُلْتُ فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ فَقَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ بَيَانٌ مَا قَبْلَكُمْ مِنْ خَيْرٍ وَخَيْرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مِنْ وَلِيهِ مِنْ جَبَّارٍ فَعْمَلٍ بَغْيِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ التَّمَسَّ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ...»^(٢).

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣.

طلب الهداية عند كل فتنه

ففي كل فتنه اجتماعية أو سياسية أو قانونية أو عشائرية أو حزبية أو غيرها على الإنسان أن يبحث عن الصراط المستقيم فيها وعليه أن يدعو الله تعالى ليهديه إلى الصراط المستقيم فيها مكرراً: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وفي أثناء الاجتهاد والاستنباط

بل نقول إن المجتهد وهو منشغل بعملية الاستنباط عليه أن يدعو الله تعالى لكي يهديه للصراط المستقيم في اجتهاده فإن اجتهاده قد يصيب وقد يخطئ فإذا طلب من الله تعالى - وبإلحاح - أن يهديه للصواب في الحكم أو في معنى الآية أو الرواية وفقه حديثها أو في وجه الجمع الصائب بين الروایتين أو شبه ذلك، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١).

لنتذكر آية (الصراط) عند كل حدث وموقف

وهنا نؤكد على ضرورة أن يجعل كل منا هذه الآية الكريمة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ نصب عينيه دوماً وأن تتحول إلى جزء من حياته في كل موقف وحدث ومستجد ولدى كل فكرة وتدبر واستنباط واجتهاد، فكلما عن له وعرض أمر أو مشكلة أو فكرة استحضر فوراً هذه الآية الكريمة وعلق قلبه بالله تعالى وأذعن - مرة أخرى - في قرارة نفسه ومن جديد بأن الهداية بيده تعالى فيطلب منه بانقطاع الهداية للصراط المستقيم، وإذا فعل الإنسان ذلك بصدق وإذعان وانقطع قلبه إلى الله تعالى فإن الله جل اسمه سوف يهديه - بلطفه وكرمه - للصراط المستقيم في كل مسألة ولدى كل موقف مع استجماعه لسائر الشروط

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

الظاهرية المعتبرة، كاستفراغ الوسع ومدارسة العلماء وشبه ذلك.

وقد وردت أدعية متعددة في طلب التسديد الإلهي كلما عرض أمر شائك وحادث محير، ومنها ما ورد عن الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام بأن يقرأ الإنسان إذا تحير في أمر:

عن محمد بن محمد الآوي الحسيني عن صاحب الأمر عليه السلام قال: «تقرأ الفاتحة عشر مرات وأقله ثلاثة ودونه مرة ثم تقرأ القدر عشرًا ثم تقول هذا الدعاء ثلاثاً: اللهم إني أستخيرك لعلمك بعاقبة الأمور وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور اللهم إن كان الأمر الفلاني مما قد نيّطت بالبركة أعجازه وبواديه وحفت بالكرامة أيامه ولياليه فخر لي اللهم فيه خيرة ترد شموسه ذلولاً وتقعض أيامه سروراً اللهم إما أمر فاتمِر وإما نهى فأنتهي اللهم إني أستخيرك برحمتك خيرة في عافية

ثم تقبض على قطعة من السبحة تضمير حاجة إن كان عدد القطعة زوجاً فهو افعَلُ وإن كان فرداً لا تفعل وبالعكس»^(١).

المعاني الأربع، متكاملة غير متمانعة

ثم إن هذه الأجوبة والمعاني الأربع والمعاني والأجوبة الآتية، ليست من قبيل مانعة الجمع بل هي من قبيل مانعة الخلو، إذ لا تضاد بين كل تلك المعاني فلا إشكال في أن تراد بأجمعها بل إن الإطلاق محكم إلا أن يدعى الانصراف عن المعنى الأخير فتدبر وتأمل إذ لا وجه لذلك بعد كونه تفسيراً بالمصداق والله العالم وسيأتي بإذن الله وجه لتقوية الشمول فانتظر.

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٨١.

الصراط المستقيم في الحكومة الدينية وولاية الفقيه

دوائر الهداية في القضايا المستحدثة

إن الهداية لدى مواجهة القضايا المستحدثة الأعم من المصاديق المتجددة والمفردات المستجدة للأحكام المعلومة ومن الأحكام المحتملة للمواضيع المتجددة، لهي ذات دوائر عديدة:

الدائرة الأولى: دائرة الأحكام.

الدائرة الثانية: دائرة الموضوعات.

الدائرة الثالثة: دائرة الأدلة والحجج والبراهين.

الدائرة الرابعة: دائرة النظريات العامة.

الدائرة الخامسة: دائرة القيادة الإسلامية.

الدائرة السادسة: دائرة المواقف.

١) الهداية في الأحكام

ويمكن التمثيل للأحكام بـ(حكم المعاملات السابجة) و(حكم السرقة) وحق الخلو و(حكم القتل الرحيم) و(حكم التعامل بعملة البيتكوين) أو المراباة بها، وهكذا وهلم جراً مما يتسع ليستوعب الألوف من الأحكام.

٢) الهداية في الموضوعات

كما يمكن التمثيل للموضوعات بالرياضات الروحية المخترعة وتشخيص الموضوع في بعض أنواعها وكذلك تشخيص واقع (المعاملات الشبكية) الهرمية التي استحدثت على شبكة الانترنت.

وعلى نطاق أوسع ومع قطع النظر عن قيد المستحدثة فإن: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قد يراد بها الهداية في الموضوعات، فإنها تحتاج إلى هداية من الله تعالى فمن الموضوعات مثلاً الغلو والتقصير والصراط الوسط بينهما فإن «الْمُتَقَدِّمُ لَهُمْ مَارِقٌ وَالْمُتَأَخِّرُ عَنْهُمْ زَاهِقٌ وَاللَّازِمُ لَهُمْ لَاحِقٌ»^(١) فالصراط الوسط بين الغلو والتقصير هو الصراط المستقيم الذي نطلب من الله تعالى ان يهدينا إليه، أي أنه من مصاديقه ومفرداته، وكذلك ولاية أمير المؤمنين والأئمة الميامين عليهم السلام ومعرفتهم فإن الولاية والمعرفة صراط مستقيم ندعوا الرب الرحيم أن يهدينا إليه.

ولنضرب بعض الأمثلة الهامة من أمثلة الحاجة إلى الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم في الموضوعات:

أ - الهداية إلى الزواج الناجح

فإن الزواج، حسب تعبير أحد العلماء، يعد مغامرة كبرى مجهولة العواقب إلى حد كبير، فقد ينجح وقد لا ينجح وقد يسعد وقد يشقى، ومن الواضح أن اللازم على الرجل إذا أراد الزواج - والمرأة إذا أرادت - أن يحقق عن الزوجة - وتحقق عنه - وعن خصوصياتها الأخلاقية وعن أسرتها ومنبتها إذ إن منبت السوء خطير، فإذا حقق واطمأن فتزوج فإن هناك نسبة غير مضمونة من الخطأ وهي مجال المغامرة المجهولة إذ إن بعض النساء تبدو صالحة، بل ومثالية ثم بعد

(١) فلاح السائل: ص ١٤٢.

الزواج بفترة تتغير أو قد لا تتغير بل تبدو على حقيقتها كالحبة بشعة، وكذلك حال الرجال فإن من تشير كافة التحقيقات إلى حسن أخلاقه واستقامة دينه قد ينكشف عنه غير ذلك أو قد ينقلب لاحقاً فيتغير بزواية مائة وثمانين درجة، فهنا بالضبط موطن الحاجة الأكبر للتمسك بالدعاء بالقول مثلاً: اهدنا يا رب إلى الصراط المستقيم في اختيار الزوجة الصالحة التي تكون عوناً لي على ديني ودنياي ولا تشقيني في دنياي أو ديني.

بل الأمر أوسع من ذلك والحاجة أبعد غوراً إذ قد يكون الرجل والمرأة معاً صالحين وبيقيان كذلك ولكنهما يرزقان بأولاد أشرار فلا يكون زواجهما مصلحة أبداً ولكن أنى للإنسان أن يدرك ذلك قبل الزواج؟ فهنا تتجلى أكثر ضرورة أن يلح الإنسان على الله تعالى بأن يجعل زواجه طريقاً إلى الجنة وأن يهديه في هذا الموقف إلى الطريق الموصل إليها فإن كان الزواج بها هو الطريق الموصل فليهد قلبه نحوها ويسوقه إليها وإلا فليضرب على قلبه وليصرف رأيه.

ب - الهداية للموقف من انتخابات الدول الغربية

فهل الأفضل لبعض المسلمين المتواجدين بالغرب هو الانتماء للأحزاب المختلفة والمشاركة في الانتخابات وذلك لكي تكون لهم مواقع قيادية في تلك الأحزاب بدل أن يصل إليها الصهاينة والمتطرفون من اليهود والمسيحيين فيشحنوهم بالعداء للإسلام والمسلمين؟ بينما في مقابل ذلك، إذا وصل المسلمون فإنهم سيدفعون باتجاه اتخاذ قرارات لصالح المسلمين أو يحولون على الأقل دون اتخاذ قرارات معادية للإسلام والمسلمين؟!

فتلك هي حجة بعض الأطراف، ولكن تقابلها حجة آخرين وهي إن الانحراط في أحزابهم لا يخلو من مقارنة بعض المنكرات أولاً، وأنه لا يخلو من نوع تأييد وتقوية لهم ثانياً.

ويقول بعض آخر: بأن المسألة داخلية في صغريات باب التزاحم لأن لها جهات ترجح الدخول وجهات ترجح العدم، وإيجابيات وسلبيات، والسؤال هو إنه عند مواجهة هكذا موقف - والملايين من المسلمين يواجهون ذلك هنالك - فما هو الصراط المستقيم والقرار الحكيم في ذلك؟!

شروط سلامة الموقف في القضايا الخطيرة

ولعل الأصح هو إن القضية هي من الشؤون العامة، وليست شأنًا شخصياً خاصاً، لذلك فانه لا بد من ثلاث أمور:

الأول: استشارة أهل الخبرة من ذوي الكفاءة والعلم والمعرفة وصولاً للتشخيص الموضوعي للأهم والمهم في باب التزاحم.

الثاني: الاستئذان من الفقيه الجامع للشرائط.

والذي يدل عليه أو يؤيده إن انخراط الاشخاص في زمن الأئمة عليهم السلام، في سلك الحكومة كان منوطاً بإذن الإمام عليه السلام فكان عليه السلام يأذن لمثل علي بن يقطين ولا يأذن لآخرين.

ثم إن إذن الفقيه كمشورة أهل الخبرة، يعتمد على أركان ثلاثة:

أولاً: المعرفة الحصيفة بدخائل الشخص وشاكلته النفسية ومدى قوة شخصيته من عدمها؟ ومدى سيطرة شهواته أو قوته الغضبية عليه أو العدم؟ ومدى جبنه أو شجاعته؟ ومدى حكمته أو تهوره؟ إلى غير ذلك.

ثانياً: المعرفة الشاملة بوضع الحكومة وخصائص هؤلاء الحكّام أو أولئك وطريقتهم في التعاطي مع أمثال هؤلاء الأفراد (الظاهر الانتماء منهم أو الخفي المتقي).

ثالثاً: المعرفة بالوضع العام والإحاطة المستوعبة بوضع المجتمع والحاجات والضرورات التي لا يمكن اتخاذ أي قرار إلا بمعرفتها تفصيلاً.

فإذا كان الفقيه الجامع للشرائط والخبير الثقة المؤتمن محيطاً بالظروف الموضوعية والذاتية الآنفة الذكر لزم الرجوع إليهما، بل يجب وجوباً كفاً ذلك.

الثالث: أن يكون ذلك شورى بين العلماء من جهة وبين أهل الحل والعقد من أهالي تلك البلاد من المخلصين الأكفاء من جهة أخرى، فإن أمكن اجتماعهم جميعاً فهو المطلوب، وإلا فعبّر الوكلاء أو عبر وسائط التواصل الاجتماعي، وإلا كفى اجتماع ثلثة منهم بحيث يصدق كون ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وقد فصلنا الكلام عن ذلك في كتاب (شورى الفقهاء والقيادات الإسلامية)^(١).

ج - الحوزة أو المنصب؟

فلو دار الأمر في رجل الدين بين أن يستمر في الدراسة الحوزوية أو التدريس والتحقيق والتأليف، وبين أن يتوظف في الدولة في موقع مهم أو أن يتسّم منصباً رفيعاً، فأيهما أهم؟ وما هو الصراط المستقيم الذي يوصله إلى المقامات السامية والأجر العظيم وإلى أعلى درجات الجنة، بل ما هو الصراط المستقيم الذي يكفل له القيام بوظيفته الشرعية على أحسن وجه، من بين الخيارين؟

ههنا تتجلى أهمية أن يكرّر الإنسان هذا الطلب ويدعو بالحاح بالغ قائلاً ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ والذي يعني - من باب التفسير بالمصداق -: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في كل حادثة وأمر مستجد وقضية حادثة، وهي التي أمرنا فيها أيضاً ب: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةٍ حَدِيثَنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ»^(٢) لنعرف بالرجوع إليهم الصراط المستقيم في تلك الأمور بإذن الله تعالى.

(١) للتفصيل يراجع: دراسة مركز الإمام الشيرازي رحمته عن (حدود ولاية الفقيه عند الإمام

الشيرازي رحمته) على الرابط: annabaa.org/arabic/imamshirazi/3046

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٤٠.

٣) الهداية في الحجج وفي مرحلة الاستنباط

كما أن ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قد يراد بها الهداية في مرحلة الاستنباط للأحكام بالنسبة للمجتهد، وللمقلد في مرحلته، فإن الحكم المستكشَف بالاجتهاد قد يكون صائباً فهو من مصاديق الصراط المستقيم أو لا فلا، ومن الواضح أن الحجة على الحكم الشرعي هي منجزة أو معذرة لكن كونها معذرة لدى الخطأ بعد استفراغ الوسع أمر مغاير ثبوتاً للهداية للصراط المستقيم فيه، فطلب الهداية ههنا هو طلب للتسديد لكي نرى الأحكام الشرعية كما هي وكما صدرت من الشارع الأقدس لا لكي نصل إلى المعذر فقط.

وسياتي الكلام عن دائرة الحجج وفي مرحلة الاستنباط في ضمن البحث عن أنواع الأدلة والحجج في الفصل الأخير من الكتاب بإذن الله تعالى فلنعطف عنان الكلام إلى دائرتي النظريات العامة والقيادة الإسلامية.

٤) الهداية في دائرة النظريات العامة

إن من الواضح الفرق الكبير بين الحكم بالمعنى المعهود وبين النظرية؛ ذلك أن الحكم الشرعي هو عبارة عن الوجوب والاستحباب والحرمة والكراهة والإباحة إضافة إلى الأحكام الوضعية، فذلك هو محور البحث في علم الفقه والذي يدور عملياً حول فقه الأحوال الشخصية، أما النظرية فتحدث عن الإطار العام والأساس أو المنهج الكلي الذي ينتهجه أو يبني عليه أو يدور في فلكه، المكلف أو التجمع أو الأمة أو الدولة والحكومة.

فمثلاً: وجوب الصلاة حكم وحرمة شرب الخمر حكم، وهي أحكام هامة جداً نظراً لمصالحها أو مفسادها البالغة، ولكن - في المقابل - لنضرب

انموذجين هامين للنظرية الإسلامية في بعض الشؤون العامة :

ولاية الفقيه أو الفقهاء أو ولاية الأمة؟

النموذج الأول: نظرية ولاية الفقيه أو ولاية الفقهاء التنجزية أو التعليقية ، أو على العكس من ذلك كله : نظرية ولاية الأمة من دون أن تكون للفقيه ولاية في الشؤون العامة ، فإن كلاً منها إطار عام يحدد اتجاه الأمة ومسيرتها على اختلاف ألوانها واتجاهاتها وليس حكماً قائماً بشخص من آحاد المكلفين كما أنها الأساس الذي تبتني عليه - أو على عكسه - الأمة والحكومة وهو الإطار العام الاستراتيجي الذي يرسم مسار الأمة في دروب الحياة ، وهنا فإننا نطلب من الله تعالى الهداية إلى السداد عند استفراغ الوسع في اكتشاف النظرية العامة في (الولاية) في الأمة أو على الأمة ، ولك أن تقول : إن النظرية العامة هي حكم نوعي عام عكس الحكم المنصرف إلى الحكم الفردي الخاص .

الأقوال في ولاية الفقيه

وتوضيح ذلك: إن رؤوس الأقوال في ولاية الفقيه هي :

أ - لا ولاية مطلقة للفقيه ، وهذا رأي مشهور علماء الشيعة ، وإن الولاية هي لعدول المؤمنين أو لأهل الحل والعقد أو للأمة ، أو لا ولاية لأحد على أحد أبداً^(١) ، كما هو الأصل^(٢) ، على اختلاف في الآراء .

ب - إن للفقيه الولاية المطلقة ، على درجات في حدودها .

ج - إن الولاية المطلقة هي للفقهاء فإن أجمعوا فهو وإلا كان المرجع هو

رأي أكثرهم ، وإن ولايتهم تنجزية .

(١) أي غير المعصوم عليه السلام .

(٢) ومن يتصدى فإنما هو مجرد تصريف أعمال فيحتاج لرضا من يتصرف في حقهم .

د - إنها للفقهاء لكنها تعليلية بمعنى كونها معلقة على رضی الناس ، وذلك نظير قاضي التحكيم على القول به فإن القاضي المنصوب من قبل الإمام حكمه نافذ وليس للناس نصبه أو عزله ، أما قاضي التحكيم (في زمن الحضور أو - حسب رأي آخر - في زمن الغيبة أيضاً حيث عجز البعض عن تصوّره زمن الغيبة مع وجود أدلة النصب العامة إذا اشترطنا فيه شروط القاضي المعروفة ، أما إذا لم نشترطها فتصوره سهل ، كما قالوا - وتحقيق ذلك في مظانه) فإن الرجوع إليه طوعي وليس قهرياً فإذا رضي المتخاصمان به صحّ لهما الرجوع إليه ، ثم إنه إذا حكم بينهما فقد قال جمعٌ بنفوذ حكمه وقال جمعٌ بتعليقه أيضاً على رضاهما .

والحاصل : إن رضاهما به - قاضي التحكيم - شرط قبل الحكم وبعده أو هو شرط قبله فقط ثم إذا حكم نفذ ، على الرأيين ، وموطن الشاهد هو إنه كما أن ثبوت الحق له في القضاء معلق على رضا المتخاصمين به ثم إن نفوذ حكمه بعد ذلك معلق أيضاً على رضاهما حسب رأي جمع ، وكذلك يجري تصوير الولاية التعليلية للفقهاء ، فقد ذهب السيد الوالد رحمته إلى أن ولاية الفقيه أو ولاية الفقهاء (وهي مختاره) تعليلية غير منجزة^(١) فإذا رضي به^(٢) أو بهم^(٣) الناس كانت له أو لهم الولاية مادام رضا الناس مستمراً أما إذا لم يرضَ الناس بالفقهاء حدوداً أو بقاءً فلا ولاية لهم عليهم .

وهذا يعني أنه لا يجوز للفقيه أو الفقهاء فرض أنفسهم بالقوة على الناس بل واجبهـم ، في زمن الغيبة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقط وليس إسقاط الحكومة وإقامة الحكم الإسلامي أو حتى أعمال الولاية في مساحات معينة حتى

(١) يراجع دراسة (حدود ولاية الفقيه في فكر الإمام الشيرازي رحمته) .

(٢) الفقيه .

(٣) الفقهاء .

إذا أمكنهم ذلك مادام لم يرضَ بهم الناس.

(ولاية الفقيه) عند عرضها على كتاب الله تعالى

ولا نريد في هذا المبحث الموازنة بين هذه الأقوال ومحكمة أدلة كل منها، بل مجرد الإشارة المبدئية إلى أن من الثابت أن الروايات المتعارضة - أو مطلقاً - يجب عرضها على الكتاب العزيز وقد ورد في الكافي: عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كُلُّ شَيْءٍ مَرْدُودٌ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكُلُّ حَدِيثٍ لَّا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ زُخْرُفٌ»^(١).

وعن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خَطَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِمَنَى فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَا جَاءَكُمْ عَنِّي يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَنَا قُتِلْتُ وَمَا جَاءَكُمْ يَخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ فَلَمْ أَقُلْهُ»^(٢).

وكما ورد في تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يَا مُحَمَّدٌ مَا جَاءَكَ فِي رِوَايَةٍ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يُوَافِقُ الْقُرْآنَ فَخُذْ بِهِ، وَمَا جَاءَكَ فِي رِوَايَةٍ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَخَالِفُ الْقُرْآنَ فَلَا تَأْخُذْ بِهِ»^(٣).

وعن سدير قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: «لَا تُصَدِّقْ عَلَيْنَا إِلَّا بِمَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله»^(٤)، فهذه الروايات مطلقة غير خاصة بالخبرين المتعارضين، ومما ورد في المتعارضين:

وذكر الشيخ الصدوق: قول الإمام الرضا عليه السلام: «فَمَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَبَرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ فَاعْرِضُوهُمَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَمَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَوْجُودًا

(١) الكافي: ج ١ ص ٦٩.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٦٩.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٨.

(٤) تفسير العياشي: ج ١ ص ٩.

حَلَالًا أَوْ حَرَامًا فَاتَّبِعُوا مَا وَافَقَ الْكِتَابَ وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ فَأَعْرِضُوهُ عَلَيَّ
سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا كَانَ فِي السُّنَّةِ مَوْجُودًا مَنِّهًا عَنْهُ نَهَى حَرَامٌ وَمَأْمُورًا بِهِ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...» (١).

فإذا كان حال الروايات هو هذا وإن كانت صحيحة السند في صورة
التعارض فقط كما هو مقتضى الرواية الأخيرة أو مطلقاً حتى لو لم يكن تعارض
بل كانت قد وصلتنا رواية واحدة مثلاً، كما هو مقتضى إطلاق الروايات
الأولى (٢) فما بالك بالنظريات؟ وعند طرح نظرية شورى الفقهاء ونظرية ولاية
الفقيه على الكتاب العزيز نجد نظرية الشورى موافقة لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ
شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (٣) ونظرية الولاية مخالفة، أفلا يكون الكتاب هو المرجع حينئذٍ؟ (٤)

ولاية الفقيه التنجيزية أو التعليقية

ثم إننا عند طرح نظرية الولاية التعليقية والتنجيزية على الاصول والقواعد
العامة، نجد ان الولاية هي خلاف الأصل إذ الأصل أنه لا ولاية لأحد على أحد
أبداً (أما الله تعالى فولايته ذاتية لأنه المالك الحقيقي وأما المعصومون ﷺ فهم
وسائط الفيض ولا شك في ولايتهم) والقاعدة العامة هي: (الناس مسطون
على أموالهم وأنفسهم وحقوقهم) فمدعي الولاية التنجيزية على الناس هو
المطالب بالدليل، وأما التعليقية فعلى الأصل إذ للناس أن يسلطوا على أنفسهم
من جمع الشرائط بالحدود التي يقررونها، فإن ذلك من فروع سلطنتهم على

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ج ٢ ص ٢٠.

(٢) فصلنا الكلام عن الأخذ والرد في ذلك في مباحث الفقه، فراجع!

(٣) سورة الشورى: ٣٨.

(٤) تفصيل الأخذ والرد والإشكال على ذلك والجواب عنه طرحناه في كتاب: (شورى الفقهاء
والقيادات الإسلامية).

أنفسهم ، وقد فصلنا الكلام عن ذلك وما قد يورد عليه والأجوبة في كتاب (شورى الفقهاء والقيادات الإسلامية) فراجع.

بل نقول: ذهب الكثير من الفقهاء إلى عدم إجراء الحدود في زمن الغيبة وإن إجراءها خاص بالإمام عليه السلام فكيف بالأعم من ذلك. فتأمل.

فما هو الصراط المستقيم في ذلك؟

وبيت القصيد وموضع الشاهد: إن الفقيه إذا تفرغ لاستنباط النظرية العامة للشريعة المقدسة في ولاية الفقيه وكونها للفقيه الواحد أو لمجموع الفقهاء وأنها تعليقية أو تنجزية فإن عليه أولاً أن يستعين بالله تعالى لإرشاده إلى الصراط المستقيم وهو ولاية الفقيه أو عدمها، وعلى تقديرها فهل هي للفقيه أو للفقهاء؟ ثم هل هي تنجزية أو تعليقية؟ وعليه أن يفرغ ذهنه من السوابق المعرفية والمواقف المسبقة وأن يُسَلِّس قياده لدى دراسة فقه الآيات والروايات ويستسلم لها، لا أن يحمل آراءه على الكتاب والسنة فإذا أخلص الدعاء ب: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كان أحرى بأن يرشده الرب الكريم إليه.

وقد سبق إن (الصراط) يعني (الطريق ومعرفة الإمام عليه السلام) كما في الرواية، فهل ولاية الفقيه هي الطريق إلى رضا الله تعالى؟ أم شورى الفقهاء التعليقية أو التنجزية؟ أو عدم الولاية مطلقاً؟

الحكومة الوطنية أو الدينية المستبدة أو الشورية؟

النموذج الثاني: النظرية السليمة في الحكومة الدينية، فإنها أيضاً مما تستدعي الالتجاء إلى الله تعالى في إلهام الصواب عند استفراغ الوسع في استنباطها من الأدلة الشرعية، وذلك لأن الآراء الرئيسية متعددة:

الرأي الأول: ما ذهب إليه عدد من الأعاظم من حرمة إقامة الحكومة

الدينية في زمن الغيبة وأن هذا المقام خاص بالإمام واستندوا إلى روايات مثل: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كُلُّ رَايَةٍ تُرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ فَصَاحِبُهَا طَاغُوتٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١) وغير ذلك، بل قالوا بأن الأدلة دلت على حرمة إقامة الحدود (وهي إحدى شؤون الحكومة) زمن الغيبة فكيف بالحكومة؟

وقالوا: بأن الاستفادة من الروايات أن سلبات الحكومة الدينية، وإن كانت مستقيمة صالحة فرضاً، هي أكثر من حيث المجموع من إيجابياتها ليس فقط بلحاظ توجهاتها السلبية على عامة الناس إذ لا يستسيغون مرّ الحق (على فرض أنه الحق وإن تشخيص الحكومة الإسلامية صحيح) بل حتى لو فرض أن هذه الحكومة الدينية في هذه الحقبة الزمنية كانت ناجحة، إلا أن الروايات الشريفة حرّمت الحكم الديني في زمن الغيبة بنحو القضية الحقيقية نظراً للحكمة العامة وهي: إن فتح هذا الباب يؤدي إلى تسلط حكومات باسم الدين على رقاب الناس وظلمهم لهم بشعارات دينية في الأعم الأغلب، وإن ذلك لا يشفع لتجويز إقامة حكومة دينية حتى استثناءً؛ وذلك نظراً لقاعدة سنّ القانون وأن (الحكمة) لا يدور مدارها الحكم وجوداً وهدماً. فهذا هو الرأي الأول، والبديل الذي يطرحه أصحاب هذا الرأي هو (الحكومة الوطنية)^(٢).

الرأي الثاني: إن إقامة الدولة الدينية مطلوب إما على نحو الاستحباب أو على نحو الوجوب، لمن يقدر عليها، واختلف أصحاب هذا الرأي إلى مدرستين: المدرسة الأولى: أن الحكومة الدينية يجب أن تكون شوروية فيحرم الاستبداد باسم الدين، بل ذهب السيد الوالد رحمته وبعض الأعلام إلى أنه من

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٩٥.

(٢) كما ارتأى عدد من الفقهاء أرجحية ذلك في العراق ولبنان وما إلى ذلك، وذلك إما بنحو القضية الخارجية أو لمبناهم العام في القضية الحقيقية.

الكبائر وأن الفقيه إذا استبد بالأمر سقطت عن العدالة وزالت ولايته ووجب على المسلمين إسقاطه^(١).

المدرسة الثانية: إن الحكومة الدينية هي حكومة استبدادية، فللحاكم المسلم أو الشيعي (أو البوذي أو المسيحي أو اليهودي، وهكذا في سائر الأديان) ان يفعل ما يرتأيه سواء أَرْضَى الناس أم لا.

فما هو الصراط المستقيم في ذلك؟

وموضع الشاهد ليس الآن المحاكمة بين هذه الأقوال، بل الشاهد إن أية واحدة من هذه النظريات اخترناها فإنها تترك تأثيرات عميقة وواسعة جداً على مصائر عامة الشيعة (أو السنة أو غيرهم) لا في هذه الحقبة الزمنية الخاصة بل تمتد إلى أعماق مجاهيل الزمن المستقبلي أيضاً، فما هو الصراط المستقيم منها إذاً؟ وقد سبق أن الصراط المستقيم هو (الطريق) وهو (الدين) فهل إقامة الحكم الديني من الدين؟ أو هو على النقيض من أحكامه؟ وهل هو الطريق إلى مرضاة الله تعالى؟ أو انه على النقيض من ذلك؟

٥) الهداية في دائرة القيادة الإسلامية

إن القيادة هي أقرب الطرق إلى الجنة أو هي - على العكس من ذلك - أقرب الطرق إلى النار، وقد ورد في الحديث: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَتْ أُمَّتِي وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِي» قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُم؟ قَالَ ﷺ: «الْفُقَهَاءُ وَالْأَمْرَاءُ»^(٢) وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٣) وفي المقابل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

(١) يراجع كتاب: (أمير المؤمنين ﷺ شمس في أفق البشرية).

(٢) تحف العقول: ص ٥٠.

(٣) سورة القصص: ٤١.

الْحَيَّرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿١﴾.

فهذا عن القادة، واما عن الناس فالروايات كثيرة ومنها: عن أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ ﴿٢﴾.

فإذا أردنا (الصراط المستقيم) فعلينا أن نتبع «ساسة العباد وأركان البلاد وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعتره خيرة رب العالمين...» وهو صراط «أئمة الهدى ومصايح الدجى وأعلام التقى وذوي النهى وأولي الحجى وكهف النورى وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته» ﴿٣﴾ وهم الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ثم من بعدهم وكلاؤهم المراجع جامعي الشرائط.

ثم إن (القادة) هم طيف واسع جداً، والقيادة ذات مستويات متنوعة مختلفة إذ تتسع لتشمل قادة الدول والأحزاب والمنظمات والجمعيات والحوزات والجامعات وغيرها.

الرقابة على القادة والحكام فريضة إلهية

وعلى ضوء ذلك فإن من أهم الواجبات أن تفرض الأمة والجماعات والشعوب والأفراد أكبر الرقابة على القادة بمختلف مستوياتهم، فإن القائد وإن فرض عادلاً ورعاً تقياً إلا أن خطر السقوط المدوي والانحراف كبير جداً؛ إذ إن القدرة طبيعتها الطغيان وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٍ طَغِيٍّ﴾ ﴿٤﴾ وقال جل

(١) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٢) الكافي: ج ٦ ص ٤٣٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦١٠.

(٤) سورة العلق: ٦.

اسمه: ﴿أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(١).

وإذا كان أمير المؤمنين وسيد الموحدين عليه السلام رغم عصمته القطعية بنص الكتاب ومتواتر الروايات يقول: «... فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أُخْطِئَ وَ لَأَ أَمِنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيََ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَ أَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَأَ رَبٌّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَأَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَ أخرجنا مما كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبَدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالهُدَى وَ أَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى...»^(٢) فما بالك بالغير؟!!

ومن الواضح أنه صلوات الله عليه معصوم عن الخطأ؛ للآيات البينات والروايات المتواترات على عصمة الرسول والأئمة وفاطمة الزهراء عليها السلام والأنبياء جميعاً، ولذا عبر بـ(لست في نفسي...) فإن العصمة من الله كسائر ما منحه وأعطاه ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) و﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ إذا لَدَّفْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا^(٤) لهذا أكد من جديد بـ: «إِلَّا أَنْ يَكْفِيََ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي...» وقد كفاه بالأدلة القطعية، ومع ذلك قال عليه السلام ما قال ليكون حجة على كافة الحكام الذين لا يتمتعون بالعصمة قطعاً ولم يملكهم الله من أنفسهم ما هو املك به منهم.

ومن هنا كانت الرقابة على القادة والحكام فريضة إلهية لأن بيدهم مقدرات العباد والبلاد، وإذا لم يفعل الناس ذلك فإن مستقبلهم سيكون مظلماً قائماً كما قال الرسول الأعظم عليه السلام: «وَلَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ

(١) سورة الذاريات: ٥٣.

(٢) نهج البلاغة: باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام: من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين: ٢١٦.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) سورة الإسراء: ٧٥-٧٧.

الْمُنْكَرِ فَيُولِي اللَّهُ أَمْرَكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(١).

ومن الطبيعي إن القائد الإسلامي ، على أي مستوى كان بدءاً من الحاكم الأموي وصولاً إلى الحاكم الوهابي ، يستخدم - بشكل ممنهج ومكثف - كافة الطرق لإضفاء الشرعية على قراراته بل إنه يستخدم طرقاً مبتكرة في التضليل والتنويم المغناطيسي الجماعي بل قد يتسلح حتى بسلاح الكرامات التي يصطنعها له بطانته أو التي يخلقها بشكل أو آخر.

ولنضرب لذلك مثلاً يعد من أروع الأمثلة المعبرة عن عمق خطورة التلفع برداء الدين لتكريس دعائم السلطة الدينية وإحكام القبضة على قلوب البسطاء من عامة الناس :

حسن الصباح في امبراطورية الرعب والدهاء وغطاء الشرعية!

فقد ظهر في التاريخ وفي نهايات القرن الحادي عشر الميلادي وبالضبط من العام ١٠٨٠م ، قائد إسلامي بارز - كما يراه أتباعه - استطاع أن يقيم دولة فتيية تحدت الامبراطوريات الكبرى والحكومات القوية المحيطة بها (الفاطميين في مصر وخلفاء بني العباس والسلاجقة والزنكيين والأيوبيين والخوازميين وحتى الصليبيين) والغريب أن هذه الدولة الفتية استطاعت تحدي كافة هذه الدول واستمرت مع ذلك فترة طويلة جداً!!

مؤسسة هذه الدولة هو حسن الصباح والذي كان من الطائفة الإسماعيلية النزارية^(٢) والذي هاجر من مصر (الفاطمية) إلى إيران وبذل جهوداً كبرى لنشر دعوته في بلاد الديلم وفارس وأصفهان وغيرها ... وبعد أن قام بدراسة معمقة لأوضاع البلاد الإسلامية توصل إلى استراتيجيات مذهلة مكنته من تأسيس دولة

(١) الكافي : ج ٧ ص ٥١

(٢) تدعو إلى إمامة نزار المصطفى لدين الله.

استمرت مدة قرنين من الزمن!!

قلعة الموت والانقلاب العسكري

في البداية قاده التفكير أنه لا بد أن يختار بقعة جغرافية محصنة أمام جيوش الأعداء، وقد توصل إلى أن أفضل منطقة هي القلاع المبنية على أعالي الجبال، ومن هنا بدأ رحلة البحث، مباشرة وعبر ثلة من خيرة أتباعه، إلى أن توصل إلى أن أفضل قلعة هي قلعة ألموت إذ كانت تلك القلعة عبارة عن حصن منيع مبني على أعالي جبال البرز على ارتفاع ستة آلاف قدم فوق سطح البحر ولم يكن يمكن الوصول إليها إلا عبر طريق جبلي ضيق منحدر صعب المرتقى مما يضطر جيوش الأعداء إذا أرادوا مهاجمة القلعة إلى أن يصعدوا بصعوبة وكأفراد وببطء نحو القلعة، وكان من السهل حينئذ اصطيادهم بالنبال والسهام المسمومة وغيرها. وكان أهم ما يميز القلعة، إلى جوار ذلك، أنها كانت تشرف من الجهة الخلفية التي لا يصل إليها الأعداء، على وادٍ خصب ممتاز للزراعة يمتد إلى ثلاثين ميل طولاً وثلاثة أميال عرضاً، فكان هذا الوادي بمثابة الحديقة الخلفية التي تمد سكان القلعة بالغذاء إلى وقت غير محدود فيما إذا حاصر العدو القلعة من الجهة الأمامية وقطع عنها طريق الإمداد.

ولكن مشكلة القلعة كانت تكمن في أن لها سكاناً ومالكاً؛ وهنا وفي العام ١٠٩٠م وضع حسن الصباح خطة تقضي بتسلل مجموعة من جنوده وضباطه الأشداء إلى القلعة تحت عناوين شتى: فبعضهم عامل وبعضهم تاجر وبعضهم مسافر وهكذا، حتى أحاطوا بأوضاع القلعة خبيراً وعرفوا نقاط القوة والضعف ثم تسلل حسن الصباح بنفسه للقلعة، ووضع خطة دقيقة للقيام بانقلاب عسكري على مالكةا وحاكمها السابق، وقد نجح الانقلاب العسكري نجاحاً

مبهراً إذ لم يكن يتوقع أحد من سكان القلعة أبداً ذلك ، وهكذا سيطر حسن الصباح على قلعة ألموت وصار سيدها المطلق .

الغضب المقدس! رداء الشرعية على السرقة المقتنعة!

ولكن : وهنا تبدأ مرحلة التلييس والمكر والدهاء لإغواء البسطاء وإحكام السيطرة عليهم ، فقد استدعى الصباح حاكم القلعة السابق ودفع له مبلغاً قدره ثلاثة آلاف دينار ذهبي كثمن للقلعة التي اغتصبها منه ! ولكن لماذا؟ وهل يجوز الغضب عنوة؟ ثم هل يصبح المال المغصوب حلالاً بمجرد أن تدفع المال لصاحبه حتى إذا كان رافضاً لفكرة البيع بالأساس؟ كلا! ولكنها مقتضيات السياسة المغلفة بغلاف الدين إذ إن التبريرات الشرعية جاهزة: الأهم والمهم العقلي والشرعي اقتضى السيطرة على القلعة! ولكن ومع ذلك فإن من اللازم إعطاء مبلغ للملكها كي يطمأن عامة الناس إلى أنه متشرع مقدس ورع!

وذلك ما يذكرنا بما فعله الخوارج إذ بقروا بطن امرأة مسلمة حامل بلا ورع وتقوى ولكنهم احتاطوا في أكل ثمرة بدون إذن صاحبه!

الخوارج: إرهاب وقسوة مع التلفع برداء الدين!

فقد ورد في التاريخ: (إن الخاريجة التي خرجت على علي عليه السلام بينما هم يسيرون فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له ، فعبروا إليه الفرات ، فقالوا له : من أنت؟ قال : أنا رجل مؤمن ، قالوا : فما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال : أقول إنه أمير المؤمنين وأول المسلمين إيماناً بالله ورسوله . قالوا : فما اسمك؟ قال : أنا عبد الله بن خباب بن الارت ، صاحب رسول الله صلى الله عليه [واله] وسلم ، فقالوا له : أفزعناك؟ قال : نعم ، قالوا : لا روع عليك ، حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله ، لعل الله أن ينفعنا به . قال : نعم ، حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال :

ستكون فتنة بعدي، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يسمي مؤمنا ويصبح كافراً. فقالوا: لهذا الحديث سألنك، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه وكتّفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهي حبلى متم^(١)، حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبة منها فأخذها بعضهم فقذفها في فيه، فقال له أحدهم بغير حلٍّ، أو بغير ثمن، أكلتها؟ فألقاها من فيه، ثم اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيراً لأهل الذمة فقتله، قال له بعض أصحابه: إن هذا من الفساد في الأرض، فلقى الرجل صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره، فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك، قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى، ما عليّ منكم بأس، ووالله ما أحدثت حدثاً في الإسلام وإنني لمؤمن وقد أمتموني وقتلتم لا روع عليكم!!

فجاؤوا به وبامراته، فأضجعوه على شفير النهر، على ذلك الخنزير، فذبحوه فسال دمه في الماء، ثم أقبلوا إلى امرأته فقالت: إنما أنا امرأة، أما تتقون الله؟ قال: فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان قد صحبت النبي عليه الصلاة والسلام. فبلغ علياً خبرهم، فبعث إليهم الحارث بن مرة، لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة، ويكتب إليه بالأمر، فلما انتهى إليهم ليسائلهم، خرجوا إليه فقتلوه، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا، سر بنا إليهم، فإذا فرغنا منهم نهضنا إلى عدونا من أهل الشام...^(٢).

إن فلسفة الطغاة والمستبدين والحكام باسم الدين على مر التاريخ هي فلسفة متحدة وواحدة وهي: مصادرة الحقوق وقتل النفوس وخنق المعارضة وكم الأفواه باسم الدين وتحت عباءة الشرعية!

(١) المرأة المتم: التي أتمت أشهرها وقاربت الولادة.

(٢) الإمامة والسياسة - تاريخ الخلافة: ج ١ ص ١٦٧ - ١٦٨.

وَيُكَبِّرُونَ بِأَن قُتِلَتْ وَإِنَّمَا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا

وهكذا نجد الألقاب والعناوين على مر التاريخ: الحاكم بأمر الله، المعتصم بالله، المستنصر بالله، قائد الأمة، خليفة الرسول ﷺ، ظل الله، ولي الله، خادم الحرمين الشريفين وهكذا.

استراتيجية الاغتيالات النوعية، والشرعية أيضاً!

وعوداً على بدء: ولكي يكرس حسن الصباح دعائم حكومته ويكتسب مزيداً من الشرعية، عمَدَ إلى استراتيجية فريدة في التاريخ، حيث إنه وجد - رغم حصانة قلعه - أنه لا يمكنه أن يمتد إلى خارج القلعة مع وجود دولة قوية محيطة به وهي تمتلك من الجيوش والجنود ما لا قبل له به، لذلك ابتكر خطة مذهلة في فاعليتها وبساطتها في الوقت نفسه، والخطة هي (الاغتيالات النوعية الكبرى) حيث درّب مجموعة مميزة من الشباب الأشداء على فنون القتال كما غرس فيهم روح الجهاد المقدس والشوق إلى الجنة - تماماً كما تفعله قوى الاستبداد الديني كداعش والقاعدة وغيرهما وتماًماً كما تعلّم منه ومن أمثاله مخططوا الغرب الاستراتيجيون، ثم كان يبعثهم نحو الأهداف الكبرى للقضاء عليها بعملية انتحارية نوعية لا تُكلّفه إلا أقل التكاليف الممكنة، وهي خسارة هذا الفدائي وقتله ولا غير!.

وهكذا بعث بعض فدائييه فاغتالوا الوزير السلجوقي نظام الملك، وكذلك اغتالوا الخليفة العباسي المسترشد والراشد!! ومن الواضح أن زعماء الإرهاب يكتسبون شرعية كبيرة ومصدقية عظيمة لدى اتباعهم إذا نجحوا في اغتيال أعظم شخصيات الأعداء من الدول الأخرى.

الشرعية للمستبد عبر بوابة مقارعة الصليبيين!

ولكن (الشرعية) و(القداسة) لا تكتسب عند أكثر الناس بمثل ذلك، بل تكتسب بأن يتحول القائد إلى رمز أو أسطورة في محاربة الاستعمار (القوى الصليبية حينذاك) وهكذا خطّط حسن الصباح لاغتيال قائد قوات الاحتلال لبيت المقدس وهو الملك (كونراد) الذي كان يتقاسم مع ريتشارد قلب الأسد، زعامة الصليبيين.

وينقل التاريخ أنه أرسل اثنين من فدائييه إلى بيت المقدس فتزياً بزيّ الرهبان وبقياً هنالك لمدة ستة أشهر يتظاهران بالقدس والرهبانية وكان يتجسسان سرّاً على أوضاع البلاد ويتسقطان الأخبار عن حركة الملك كونراد ويراقبانه عن كثب، ثم بعد هذه المدة الطويلة اكتشفا نقطة ضعف كونراد الأمنية إذ عرفا بعض مواعيد خروجه ودخوله وعدد الحراسات حوله وكيفيتها، ثم إنهما كمنا في طريق عودته في إحدى السكك وساعدهما على ذلك كونهما راهبين معروفين في تلك المنطقة، وعندما جاء الملك ركباً على حصانه مع حراسه تقدم أحدهما وييده رسالة إلى الملك وحيث كان الجنود يعرفونهما بالصلاح والرهبنة لم يتعرضوا لهما ثم بمجرد أن مدّ كونراد يده إليه طعنه الراهب - الفدائي - في خاصرته، ثم طعنه الآخر بطعنات أخرى، فقتل كونراد على إثر ذلك، وقد قتل الجنود أحد المهاجمين واعتقل الآخر فوراً.

ولكم أن تتصوّروا كم هو مدى الشرعية التي يحصل عليها من استطاع قتل

قائد الصليبيين الذين كانوا أسوأ حالاً عند المسلمين من الصهانية الآن!!

كيف استبدل الناس مستبداً بطاغيةً آخر؟

وبذلك وبغير ذلك وبارساله الدعاة إلى أطراف البلاد استطاع نشر الدعوة

الإسماعيلية في إيران والشام وغيرهما، وقد سيطر أتباعه على طبرستان وتون

وشوش ورودبار ومناطق واسعة في خوزستان وفارس وغيرها متحدياً السلاجقة في عمق مملكتهم.

والغريب - وليس بغريب - إن الناس هم الذين أعانوهم على بسط سلطتهم وتوسعة حكومتهم لما كانوا يرونه من ظلم السلجوقيين فتوهموا أن النجاة والخلاص في الانضواء تحت راية مستبد آخر يتلحف برداء الجهاد والبطولة والفتوة والحمية! بل بلغ من مكر القائد حسن الصباح أن اصطنع لنفسه كرامات أذهلت أتباعه وجعلتهم يتحولون إلى دُمى وآلات كآلات الروبوت يحركهم كيفما يشاء إذ وثقوا بأنه الإمام الأعظم والقائد الأكبر المرسل من السماء لإنقاذ البشرية!!

الخدعة الكبرى: الجنة الفردوس على الأرض!

وكان من جملة حيله وخدعته التي وجدها الأتباع معجزة كبرى وكرامة عظيمة هي أن اقنعهم بأن (الجنة) هي بيده يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء! وذلك أنهم بعد أن كانوا يختارون بعض الشباب الأقوياء لتجنيدهم كفدائيين، كانوا يقومون بدايةً بغسيل لأدمغتهم بملاها بمبادئ الإسماعيلية النزارية وقيمها الصوفية وإنها الطريق الوحيد إلى الله تعالى و...، ثم عندما كانوا يجدونه مؤهلاً تماماً كانوا يشحذون له سلاحهم الأمضى وهو أنهم كانوا يُسرون له أن حسن الصباح وشيخ الجبل يملك مفاتيح الجنة وأنه يمكنه أن يرسل الأحياء إليها لساعات أو أيام ثم يرجعهم إلى الدنيا من جديد!، وذلك كدليل قطعي لا يرقى إليه الشك على أنه الولي الإلهي والقائد الرباني والرسول السماوي، وعندما كانوا يلمسون فيه الدهشة العظيمة والشوق الجارف كانوا يعدونه بذلك ثم يأخذونه إلى إحدى البيوت الضخمة المعدة لذلك سلفاً وهنالك يسقونه في ضمن الطعام بعض الحشيش المخدر^(١) حتى يغيب عن الإحساس ثم ينقلونه إلى

(١) لذا اشتهروا بـ(الحشاشين) - كما قاله بعض المؤرخين.

(الجنة الموعودة) وكانت (الجنة الموعودة) هي المكر الأعظم الذي خطط له حسن الصباح طويلاً ؛ فقد كان قد اختار أرضاً كبيرة جداً واستخدم أفضل المزارعين لصناعة روضة غناء في غاية الروعة والجمال كما شق جداول رائعة الحسن ولعله نثر فيها جواهر ودرراً ، كما بنى له المهندسون قصرًا في غاية الروعة والجمال والبهاء ، وكان الفدائي المسكين بعد أن يخدر كاملاً ينقل إلى هذه الجنة التي كانت تسرح فيها بعض الحوريات الإنسية أيضاً! وعندما كان يعود الفدائي إلى الوعي من جديد كان يذهل إذ يرى نفسه في الجنة وكانت الحوريات يزدنه زهولاً باصطحابه هنا وهناك ثم ، وفي فترات محددة محسوبة بدقة ، كن يضعن في طعامه قليلاً من ذلك المخدر بحيث لا يستعيد وعيه تماماً وإلا فلعله كان يدرك الحقيقة رغم إتقان الصنعة وإحكام التدبير ، ثم بعد ساعات من التجول في الجنة والتنعم بأنواع نعيمها كن يضعن له في الطعام مخدراً أقوى ليغيب عن الوعي فينقلونه إلى المنزل السابق ، ثم يذهبون به إلى شيخ الجبل الذي يأمره إذا أراد الذهاب إلى الجنة بأن يقاتل في سبيل الله حتى يقتل ، ثم يعثونه في مهمة انتحارية!

التاريخ يعيد نفسه

والتاريخ يعيد نفسه ، ولو بأشكال أخرى ؛ وهكذا نجد الآن مثلاً فرقاً ضالة ، كمدعي اليمانية ، يصورون لاتباعهم أنهم موصولون بجبل السماء بكرامات وهمية يتصورها البسطاء حقيقيةً ، مستفيدين من (السحر الأسود) تارة ومن (الرياضات الروحية) تارة ومن (التنويم المغناطيسي) ثالثة ومن بعض (الحيل العلمية) رابعة ومن (تسخير الجن) خامسة وهكذا ، وقد فصلنا الكلام عن ذلك في كتاب (مناشئ الضلال ومباعث الانحراف) فراجع .

نعم لقد شكك بعض المؤرخين في صحة الرواية السابقة ، لكن الظاهر صحتها بما نعهده من دهاء حسن الصباح وبما نعهده من طريقته الصوفية وبما

نعهد من مجمل سيرته.

وعلى أي فإن (الخدع) و(الكرامات المزورة) لا شك في أنها كانت على مرّ التاريخ إحدى أهم أسلحة الطغاة المستبدين المتلفعين برداء الدين لإغواء البسطاء والمساكين، ولا نعني بالبسطاء الجهال إذ البساطة ترتبط بالنفس والعقل لا بالعلم، ولعل أستاذاً في الجامعة أو الحوزة أو عالماً في الفيزياء أو الطب أو الهندسة أو الفلسفة والعرفان، يكون بسيطاً تنطلي عليه الخُدع المتقنة والحيل المحكّمة فيُسَلِّس قياده للأئمة الذين يدعون إلى النار وهو يتصورهم من سادات الأخيار! اللهم ربنا إليك التجأنا ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ آمين رب العالمين.

٦ الهداية في دائرة المواقف

فإن الإنسان يكون بأمس الحاجة إلى هداية الله تعالى وتسديده في كافة المواقف الصعبة خاصة المصيرية منها.

الموقف من الحكومات المستبدة الجائرة

ومن أهم المواقف التي تبرز فيها الأهمية البالغة للهداية الإلهية المباشرة، الموقف من الحكومات الجائرة والذي يُعدّ على امتداد التاريخ من أصعب المواقف إن لم يكن الأصعب على الإطلاق، ذلك إن الحكومات المستبدة تمتلك الأموال والمناصب والوظائف والإعلام كما تمتلك جمهوراً عريضاً من الغوغاء الذين ينعمون مع كل ناعق، كما أن من يقف أمامها فإن بمقدورها أن تسحقه بلا رحمة، بل وفوق ذلك فإنهم قد يقتلونه بسلاح الشرعية وباسم الإسلام المحمدي الأصيل:

وَيُكَبَّرُونَ بِأَن قُتِلَتْ وَإِنَّمَا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا

فهم يمتلكون العصى الغليظة والجزرة الحلوة! ويمتلكون أن يجرموا من ينهاتهم عن المنكر ولو بأبسط العبارات، من المنبر والمحراب والتدريس والتأليف، أو السفر والحضر والتجارة بل وأي نوع من أنواع المشاركة في الحياة العامة إلى غير ذلك. لذلك فإن من الطبيعي أن يصاب الأكثر بالرعب حتى من مجرد التفكير في مقارعة الحاكم الجائر.

معادلات وأحكام في العلاقة بالحكام

وعلى ضوء ذلك كان من الضروري الإشارة إلى بعض القواعد العامة والأحكام الهامة التي تحكم معادلة المظلوم - الظالم. والحديث موجه لكافة الطلاب الكرام والعلماء والأفاضل ولكافة المثقفين والأطباء والمهندسين والصحفيين والجامعيين ولعامّة الناس أيضاً، فإن امتحان العلماء والمثقفين وعامّة الناس مع الحكام الظلمة والسلطات المستبدة عسير شديد وما أكثر من سقط في هذا الامتحان الصعب فقد قال تعالى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(١) بل بلغ الأمر بالناس إلى درجة أن يتظاهروا على سبط رسول الله وأعظم خلائق الله في ذلك العصر متسلحين بسلاح الشرعية الكاذبة التي أضفاها أمثال (عمرو بن سعد وشبث بن ربعي) وأضرابهم حتى ورد بفتوى شريح القاضي: إنه عليه السلام: (خرج عن حده فقتل بسيف جدّه).

١ - المظلوم أقوى من الظالم دائماً

فمن المعادلات: إن المظلوم أقوى من الظالم دائماً وإن بدا الظالم منتصراً؛ ذلك ان فوقهما الله تعالى وقد ورد «يَوْمَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ

(١) سورة العنكبوت: ١ - ٣.

الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَا مِنْ مَظْلَمَةٍ أَشَدَّ مِنْ مَظْلَمَةٍ لَا يَجِدُ صَاحِبَهَا عَلَيْهَا عَوْنًا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى نَبِيٍِّّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ فِي مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ أَنْ آتِ هَذَا الْجَبَّارَ فَقُلْ لَهُ إِنَّنِي لَمْ أُسْتَعْمَلْكَ عَلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ وَاتِّخَاذِ الْأَمْوَالِ وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتِكَ لِتَكْفُفَ عَنِّي أَصْوَاتَ الْمَظْلُومِينَ؛ فَإِنِّي لَمْ أَدْعُ ظَلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كُفَّارًا»^(٣).

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْوَفَاةُ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِيَّ أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بَنِيَّ إِيَّاكَ وَظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ»^(٤).

عقوبة غريبة لمن رمى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بسهم

وقد جاء في التاريخ إن بعض الظلمة من جيش يزيد وبن زياد وعمرو بن سعد رمى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بسهم فحال بينه وبين أن يشرب الماء، والظاهر إن القضية كانت حين سقط سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأرض وقد غطت دماؤه الطاهرة بدنه الزاكي وكان على وشك اللقاء بجبار السماوات والأرض فجاء أحدهم بماء ليشرب، فرماه ذلك اللعين بسهم فحال بينه وبين شرب الماء، فدعا عليه الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: (اللهم أضمه).

(١) نهج البلاغة: باب المختار من حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الحكمة: ص ٢٤١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٣.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٣١.

وبعض الأدعية سرعان ما تستجاب وبعضها يؤخره الله تعالى لأجلٍ، لكن الدعاء لا محالة يستجاب لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) وكان هذا الدعاء على ذلك الظالم مما أسرعت إليه الإجابة، فابتلي بمرض غريب حتى أنه كان يصيح مما يستشعره من الحرارة الشديدة في بطنه ومعدته ومما يملكه من البرودة الشديد في ظهره، وكان البرد في ظهره والحر في بطنه من الشدة حتى إنهم كانوا يضعون الثلج على بطنه ويسلطون على بطنه المراوح ولم يكن ينتفع منها بشيء! كما كانوا يضعون خلف ظهره المصطلى وجمرات النيران المتوقدة حتى يكاد ظهره يحترق ولكن ومع ذلك كان البرد القارس على شدته لا يتغير أبداً!

إضافة إلى ذلك فقد كان يؤتى بسويق كثير جداً، والسويق هنا يراد به الماء مع الحليب ممزوجاً، فكان يشرب بمقدار ما يشربه خمسة أشخاص وهو مع ذلك يصيح (اسقوني! اهلكني العطش!) وكان لا يجديه شيئاً! وكان يشرب ويشرب ويشرب حتى انقذ بطنه وانفجر كما ينقذ البعير! فهذه معادلة من المعادلات.

٢- التبرير للحاكم الظالم، من الكبائر

ومن الأحكام: إن التبرير للظالم والحاكم المستبد، حرام بل هو من أشد المحرمات، فإن بعض الناس درج على اختلاق الأعداء للظالم بدل الانتصار للمظلوم، فإذا رأى عالماً سجن لأنه نطق بالحق ونهى عن المنكر أو مؤمناً حُبس لأنه دافع عن ظلامته من ظلمات الناس، برّ للظالم واعترض على المظلوم لو بمقدار أن الحق عليه أو العتب عليه، وباللهجة الدارجة (صوجه)!! أو بالقول: إن الذي يقارع الظالم ولو بنهي عن المنكر وأمر بالمعروف فإنه قد خالف القانون وعرض نفسه للسجن والأذى فهو الذي قد حفر قبره بيديه فماذا تتوقعون منا!

(١) سورة غافر: ٦٠.

«مَنْ عَذَرَ ظَالِمًا بِظُلْمِهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ»

والغريب إن الله تعالى قد أعدَّ العقوبة لمن يعذر الظالم بظلمه، في الدنيا قبل الآخرة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «مَنْ عَذَرَ ظَالِمًا بِظُلْمِهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ فَإِنْ دَعَا لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ وَلَمْ يَأْجُرْهُ اللَّهُ عَلَى ظُلْمَاتِهِ»^(١) فالأثر الوضعي لمن يعذر الظالم في ظلمه هو أن يسלט الله عليه من يظلمه جزاء خذلانه للمظلوم وإعذاره الظالم في ظلمه، وفوق ذلك فإنه لا يعطيه الله أجراً رغم وقوعه مظلوماً مع أن أجر المظلوم عظيم وذلك لمجرد أنه أعذر ظالماً يوماً ما في ظلمه!

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «مَنْ ارْتَكَبَ أَحَدًا يَظْلِمُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ بِمِثْلِهِ أَوْ عَلَى وُلْدِهِ أَوْ عَلَى عَقْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ»^(٢).
فهذا حكم من الأحكام مع بعض آثاره الوضعية.

٣- الآثار الأخروية لإعانة الظالم

ومن المعادلات: ما ورد في الحديث الشريف عما هو مكتوب على الباب الرابع من أبواب جهنم فقد ورد: «وَعَلَى الْبَابِ الرَّابِعِ مَكْتُوبٌ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ: أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَهَانَ الْإِسْلَامَ، أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَهَانَ أَهْلَ الْبَيْتِ، أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ الظَّالِمِينَ عَلَى ظُلْمِهِمْ لِلْمَخْلُوقِينَ»^(٣).

والظاهر من الحديث أن هذا الباب الرابع مخصص لدخول هذه الطوائف الثلاثة إلى النار: ١- من أهان الإسلام. ٢- من أهان أهل البيت عليهم السلام. ٣- من أعان

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٤.

(٢) ثواب الأعمال: ص ٢٧٣.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ١٢٦.

الظالمين على ظلمهم للمخلوقين، فهم جميعاً في موقع واحد من مواقع جهنم!

«مَنْ مَدَحَ سُلْطَانًا جَائِرًا كَانَ قَرِينَهُ إِلَى النَّارِ»

بل وفوق ذلك ورد في أمالي الصدوق: في مناهي النبي ﷺ: «قَالَ: مَنْ مَدَحَ سُلْطَانًا جَائِرًا وَتَخَفَّفَ وَتَضَعَّضَ لَهُ طَمَعًا فِيهِ كَانَ قَرِينَهُ إِلَى النَّارِ». وَقَالَ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ دَلَّ جَائِرًا عَلَى جَوْرِ كَانَ قَرِينًا هَامَانًا فِي جَهَنَّمَ». وَقَالَ ﷺ: «مَنْ تَوَلَّى خُصُومَةَ ظَالِمٍ أَوْ أَعَانَ عَلَيْهَا ثُمَّ نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ قَالَ لَهُ: أَبَشِرْ بِلَعْنَةِ اللَّهِ وَنَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ». وَقَالَ ﷺ: «أَلَا وَمَنْ عَلَّقَ سَوْطًا بَيْنَ يَدَيْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ السَّوْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُعْبَانًا مِنَ النَّارِ طُولُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

ونهى عن إجابة الفاسقين إلى طعامهم^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ قَالَ: «قَنْطَرَةٌ عَلَى الصِّرَاطِ لَا يَجُوزُهَا عَبْدٌ بِمَظْلَمَةٍ»^(٣). فهذه قاعدة من القواعد.

٤ من أكبر الكبائر إضفاء الشرعية على الحاكم الجائر
ومن الأحكام: إن من أكبر الكبائر ومن أشد المحرمات إضفاء الشرعية على الحاكم الظلمة.. ذلك إن الحكومات المستبدة الظالمة وعلى مر التاريخ كانت

(١) سورة هود: ١١٣.

(٢) الأمالي: ص ٤٢٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٣١.

تسلح في ظلّمها للناس بسلاح الشرعية الذي استحصله من الكهنة والقسيسين
والرهبان والأخبار ورجال الدين السنة أو الشيعة ، أي العلماء في كافة المذاهب
والأديان.

فسرّحوا النظر إلى كافة الحكومات الجائرة عبر التاريخ فهل تجدون حكومة
خلت من العلماء من أعوان الظلمة؟

رسالة نادرة من الإمام السجاد عليه السلام إلى الزهري

ويكفيننا نموذجاً على ذلك أن الزهري كان واحداً من أعلم علماء العصر
وكان معروفاً بالقدس والورع وكان عظيم المنزلة جداً عند العلماء كما عند عامة
الناس ، ولكنه تحوّل إلى واحد من أهم أركان الخليفة الأموي الجائر وكان من
المكانة العظيمة عند الناس بحيث ألم الإمام السجاد عليه السلام أشد الإيلام بتبليسه
على الناس ، بل إنه أخرج موقع الخلافة الشرعية إذ أسدل عباءة الشرعية على
الخلافة الأموية ، وذلك أنه كان من أعلم علماء عصره إن لم يكن الأعلم ويكفي
قول الإمام السجاد عليه السلام عنه : « فَقَدْ أَثْقَلْتِكَ نِعْمُ اللَّهِ بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ وَأَطَالَ
مِنْ عُمْرِكَ وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجُجُ اللَّهِ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ وَفَقَّهَكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ
وَعَرَّفَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

بل بلغ الأمر إلى درجة أن يكتب الإمام السجاد عليه السلام له رسالة نادرة غريبة
في مضامينها تكشف عن عمق المأساة عندما يدخل العلماء في سلك الحكام
ويبررون للحكام أعمالهم وظلمهم وجورهم.

فقد كتب الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في كتابه للزهري محذراً له عن
عظيم عقاب الله له على إعيانته الظلمة على ظلمهم : « كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتَنِ
وَرَحِمَكَ مِنَ النَّارِ فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَالٍ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَّفَكَ بِهَا أَنْ يَرْحَمَكَ فَقَدْ

أثقلتكَ نِعْمُ اللَّهِ بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ وَأَطَالَ مِنْ عُمُرِكَ وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجَجُ اللَّهِ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ وَقَهَّكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ وَعَرَّفَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَرَضَ لَكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ وَفِي كُلِّ حُجَّةٍ احْتَجَّ بِهَا عَلَيْكَ الْفُرْضَ فَمَا قَضَى إِلَّا ابْتَلَى شُكْرَكَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَى فِيهِ فَضْلَهُ عَلَيْكَ فَقَالَ ﴿لَيْنَ شُكْرْتُمْ لَا زَيْدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ فَاَنْظُرْ أَيُّ رَجُلٍ تَكُونُ غَدًا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعْمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا؟

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ قَابِلًا مِنْكَ بِالتَّعْذِيرِ وَلَا رَاضِيًا مِنْكَ بِالتَّقْصِيرِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَيْسَ كَذَلِكَ أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَأَخْفَى مَا احْتَمَلْتَ أَنْ أَنْسْتَ وَحَشَةَ الظَّالِمِ وَسَهَلْتَ لَهُ طَرِيقَ الْغِيِّ بِدُنُوكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وَإِجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ فَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبَوُّءَ بِإِثْمِكَ غَدًا مَعَ الْخَوْنَةِ وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّالِمَةِ إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ مِمَّنْ أَعْطَاكَ وَدَنَوْتَ مِمَّنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا وَلَمْ تَرُدَّ بَاطِلًا حِينَ أَدْنَاكَ وَأَحْبَبْتَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ.

ثم قال ﷺ: «أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحي مظالمهم و جسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم و سلماً إلى ضلالتهم داعياً إلى غيهم سالكاً سييلهم يدخلون بك الشك على العلماء و يقتادون بك قلوب الجهال إليهم فلم يبلغ أخص و زرائهم و لا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم و اختلاف الخاصة و العامة إليهم فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك و ما أيسر ما عمروا لك في كنف ما خربوا عليك...»^(١).

(١) تحف العقول: ص ٢٧٥.

وعبارات الإمام عليه السلام دقيقة ذات دلالات بالغة جداً ولنسلط العدسات على بعضها فقط :

أ - «وَأَعْلَمُ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَأَخَفَّ مَا احْتَمَلْتَ أَنْ أَنْتَ وَحِشَّةَ الظَّالِمِ...» فحتى هذا المقدار حرام وإثم ومعصية.

ب - «جَعَلُوكَ قُطْباً أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ وَ جِسْراً يَعْبرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بِلَايَاهُمْ وَ سُلْماً إِلَى ضَلَالَتِهِمْ» وذلك لأن الحكام الظلمة لا يمكنهم عادة الظلم إلا متسلحين بسلاح الشرعية التي يمنحها لهم العلماء مقابل بعض حطام الدنيا!

ج - قوله عليه السلام: «يُدْخِلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ» وهو أغرب إذ يظهر منه أن الزهري كان أكبر أو من أكبر علماء عصره حتى أن العلماء إذ كانوا يرونه مع الحاكم الأموي كانوا يشكون في أن الحق مع من؟ مع أهل البيت عليهم السلام؟ أم مع الشجرة الملعونة في القرآن؟ بل لعلهم كانوا يمدعون به حتى ليكاد يخيل إليهم أن الأمويين على حق لأن مثل الزهري معهم! وما أعظم ما يشكّله ذلك من إحراج لجهة الحق وأعلام التقى بل ما أعظم ما شكّله من إحراج للإمام السجاد عليه السلام بنفسه حتى كتب له هذه الرسالة المؤلمة - المقرحة.

د - قوله عليه السلام: «فَلَمْ يَبْلُغْ أَحْصُ زُرَائِهِمْ وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغَتْ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ وَ اخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ»^(١) والذي يدل بوضوح على أن أقوى دعائم الظلم هم العلماء وأنهم أقوى من سائر أعوانهم كافة من ضباط وقادة ورؤساء وجيوش ووزراء ومسؤولين.

أحاديث غريبة وضعها ضد الأئمة عليهم السلام تزلفاً للسلطان

ولعل السر في تشدد الإمام السجاد عليه السلام في الكلام مع الزهري وعمق تألمه منه

(١) راجع تمام رسالته عليه السلام للزهري في الملحق.

يعود إلى أنه كان قد برع في جعل الأحاديث ضد أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام (وهذا لعمرى من العجائب) وفي وضع الأحاديث التي تكرس دعائم الحكم الأموي الجائر حتى أن ابن أبي الحديد صرح بأن الزهري كان مثل أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعمرو العاص في وضع الأحاديث واختلاقها وجعلها على لسان رسول الله ﷺ.

فقد روى (١) الزهري بأن رسول الله ﷺ طرق باب علي وفاطمة، فقال لهما: ألا تصليان؟ قال علي فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله عز وجل فإن شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف النبي وهو يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (١).

والكذب والدجل واضح بين وقد أراد الزهري أن يحول الفضيلة إلى رذيلة بعد أن لم يمكنه إنكارها من أصلها إذ كان الناس يعلمون أن الرسول ﷺ عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (٢) كان يمر على بيتهما لمدة ثمانية أشهر أو تسعة ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ليكرس في أذهان الناس أنهم هم أهل البيت عليهم السلام وأن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣) لا يراد بها إلا هم! فتطوع الزهري لوضع هذا الحديث

(١) سورة الكهف: ٥٤.

(٢) سورة طه: ١٣٢.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٤) روى الحافظ الحسكاني (الحنفي) قال: أخبرنا الحاكم الوالد (بإسناده المذكور) عن أبي الحمراء خادم النبي ﷺ: إنه لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. كان النبي ﷺ يأتي باب علي وفاطمة كل صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (شواهد التنزيل - وهامشه: ج ١ ص ٣٨١ - ص ٣٨٢).

ليصورهما ﷺ متاقلين عن الصلاة ويصور انزعاج النبي ﷺ منه ﷺ
ووصفه له بأنه أكثر شيء جدلاً!

والأغرب من ذلك أنه ترقى في عداته وكذبه وتدليسه وحقده حتى وضع
الحديث التالي:

كما روى الزهري عن عائشة أنها قالت: كنت يوماً عند رسول الله فجاء
العباس وعلي فقال رسول الله: يا عائشة هذان يموتان علي غير ديني!! وذلك
ما لم يقله إلا أبغض النواصب وأشدهم حقداً وخبثاً ومكراً ودناءة.
فهذا كله من جهة ومن جهة أخرى كان يكذب في الاتجاه الآخر أيضاً إذ
كان من أكاذيب الزهري ولأجل أن يلبس على الناس ويخفف من حدة كراهيتهم
لآل مروان يقول: (وكان علي بن الحسين من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة،
وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك)!!

» وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ فإن الله أمره أن يخص أهله دون الناس ليعلم
الناس أن لأهل محمد ﷺ عند الله منزلة خاصة ليست للناس إذ أمرهم مع الناس عامة ثم
أمرهم خاصة فلما أنزل الله هذه الآية كان رسول الله ﷺ يجيء كل يوم عند صلاة الفجر حتى
يأتي باب علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»
فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ: «وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته. ثم يأخذ بعضادتي الباب ويقول: «الصلاة الصلاة يرحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾» فلم يزل يفعل ذلك كل يوم إذا شهد المدينة
حتى فارق الدنيا. وقال أبو الحمراء خادم النبي ﷺ أنا أشهد به يفعل ذلك.
وفي العيون عن الرضا ﷺ: في هذه الآية قال خصنا الله بهذه الخصوصية إذا أمرنا مع الأمة
بإقامة الصلاة ثم خصنا من دون الأمة فكان رسول الله ﷺ يجيء إلى باب علي وفاطمة ﷺ
بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر في كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة
رحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصنا من
دون جميع أهل بيتهم.

٥- جماهير الناس، في معرفة الحق، ليسوا هم المقياس!

ومن المعادلات: إن الكثير من الناس يتصور أن الحق هو مع هذه الحكومة أو تلك، لا للتضليل الإعلامي فحسب بل لأنهم يجدون الحكومات قادرة على تحشيد الملايين من الناس في الشوارع وفيهم العلماء وأساتذة الجامعات ووجوه المجتمع، فكيف تكون الحكومة على باطل!

ولكن ذلك غفلة عن أن (الحق) لا يعرف بذلك، وإلا لكان فرعون والحجاج وهتلر وستالين وموسوليني، من سادة المحققين وطلبة أهل الحق، وكان النبي نوح وموسى عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام والمظلومون على باطل!

ويكفي أن نشير إشارة خاطفة إلى أن الناس كيف تخلّوا - بعلمائهم ووجهائهم - عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام وعن البضعة الطاهرة والنخازوا إلى صف الطغاة بل وشارك كثير منهم في العدوان السافر ضد سيد الأوصياء أو - على الأقل - لم يتركوا ساكناً حين هجم الأعداء الغاصبون على دار ابنة الرسول وبضعته عليه السلام وأحرقوا الباب ولطموا خدّ سيدة نساء العالمين عليها السلام، وما أعظمها من فاجعة كبرى تهتز لها الجبال الرواسي وتبكي لها العيون دماً:

قال سليمٌ قلتُ يا سلمانُ	هل دخلوا ولم يك استئذانُ
فَقَالَ إِي وَعِزَّةَ الْجِبَارِ	وما على الزهراءِ من خمَارِ
لكنها لاذتُ وراءَ البَابِ	رعايَةَ للسِّتْرِ والحِجَابِ
فمذ رأوها عصروها عصره	كادت بنفسي أن تموتَ حسره
نادت أيا فضةً أسنديني	فقد وربّي أسقطُوا جَنِينِي
فأسقطتُ بنتُ الهدى وا حزناً	جَينَهَا ذاكَ المسمى مُحسِنَا

وَأَيَّةُ النُّورِ عَلَى مَنَارِهَا
 وَبَابُ أَبْوَابِ نَجَاةِ الْأُمَّةِ
 فَثُمَّ وَجْهُ اللَّهِ قَدْ تَجَلَّى
 وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابُ النَّارِ
 تُطْفَأُ نَوْرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا
 تُذْرَفُ بِالدمعِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ
 بِيضُ السُّيُوفِ يَوْمَ يَنْشُرُ اللَّوَا
 فِي مَسْمَعِ الدَّهْرِ فَمَا أَشْجَاهَا
 فِي عَضْدِ الزَّهْرَاءِ أَقْوَى الْحُجَجِ
 يَا سَاعِدَ اللَّهِ الْإِمَامَ الْمُرْتَضَى
 أَتَى بِكُلِّ مَا أَتَى عَلَيْهَا
 سَلَّ صَدْرَهَا خِزَانَةَ الْأَسْرَارِ
 وَهَلْ لَهُمْ إِخْفَاءُ أَمْرٍ قَدْ فُشَا
 شُهُودٌ صِدْقٍ مَا بِهَا خَفَاءُ
 هَلْ دَخَلُوا وَلَمْ يَكِ اسْتِثْنَانُ
 فَانْدَكَّتِ الْجِبَالُ مِنْ حَيْنِهَا
 حِرْصًا عَلَى الْمُلْكِ فَيَا لِلْعَجَبِ
 عَنِ الْبُكَاءِ خَوْفًا مِنَ الْفَضِيحَةِ
 مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَدَارَتِ السَّمَاءُ

أُتْضِرُّمُ النَّارِ بِبَابِ دَارِهَا
 وَبَابُهَا بَابُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ
 بَلْ بِأَبْهَا بَابُ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى
 مَا كَتَسَبُوا بِالنَّارِ غَيْرَ الْعَارِ
 مَا أَجْهَلَ الْقَوْمَ فَإِنَّ النَّارَ لَا
 فَاحْمَرَّتِ الْعَيْنُ وَعَيْنُ الْمَعْرِفَةِ
 وَلَا يُزِيلُ حُمْرَةَ الْعَيْنِ سِوَى
 وَلِلسَّيَاطِ رَنَّةٌ صَدَاهَا
 وَالْأَثْرُ الْبَاقِي كَمِثْلِ الدَّمْلَجِ
 وَمِنْ سَوَادِ مَتْنِهَا اسْوَدَ الْفَضَا
 وَوَكَّزُ نَعْلِ السَّيْفِ فِي جَنِيهَا
 وَلَسْتُ أَدْرِي خَبْرَ الْمَسْمَارِ
 وَفِي جَبِينِ الْمَجْدِ مَا يُدْمِي الْحَشَا
 وَبَابُ وَالْجِدَارُ وَالِدِمَاءُ
 قَالَ سَلِيمٌ قَلْتُ يَا سَلْمَانُ
 لَقَدْ جَنَى الْجَانِي عَلَى جَنِيهَا
 أَهَكَذَا يُصْنَعُ بِابْنَةِ النَّبِيِّ
 أْتَمَنَعُ الْمَكْرُوبَةَ الْمُقْرُوحَةَ
 وَاللَّهُ يَنْبَغِي لَهَا تَبْكِي دَمَا

لَفَقَدَ عَزَهَا أَيُّهَا السَّامِي وَلاَهُتْصَامَهَا وَذِلَّ الحَامِي
لَكِنْ كَسَرَ الضِّلْعَ لَيْسَ يَنْجَبِرُ إِلا بِصِمْصَامِ عَزِيْزٍ مُّقْتَدِرٍ
إِذْ رَضُ تِلْكَ الأَضْلَعُ الزَّكِيَّةُ رَزِيَّةٌ مَا مِثْلُهَا رَزِيَّةٌ

ومع كل تلك الجرائم المروعة لم يفعل الناس شيئاً إما لجبن وخوف أو طمع في مال أو منصب أو شبه ذلك، وقد قال سيد الشهداء عليه السلام: «النَّاسُ عِيْدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لِعِقِّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحْصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ»^(١).

السيد الحكيم رحمته الله مسيرة علم وجهاد

وأخيراً لنضرب مثلاً من التاريخ القريب يضحّ بالعبّر والدروس والدلالات، عن أحد أكبر مراجع التقليد العظام الذين تصدّوا للحكومات الجائرة الظالمة ودفَعوا ضريبة ذلك غالية جداً، ولكن ذلك لم يُثْنِهم عن مواصلة المسيرة الجهادية لعشرات السنين رغم كافة الضغوطات المرعبة، ورغم أن الناس تخلّوا عنهم في أخرج اللحظات، ليعيد التاريخ نفسه.

وسوف نجد في هذه اللقطات من التاريخ المعاصر أنموذجاً مشرقاً من الوكلاء في عصر الغيبة ينطق بعمق المأساة في خذلان الأكثر حتى للمرجع الأعلى إذا ما قارع الحكام الظلمة وواجههم بمرّ الحق ولم ينحن لهم ولم يرضخ لباطلهم.

السيد محسن الحكيم رحمته الله المرجع الأعلى في زمانه، كان من طلائع العلماء المجاهدين منذ سني عمره المبكرة ففي عام ١٩١٤م (وكان عمره آنذاك ٢٥ عاماً) شارك في ثورة الشعبية بالبصرة ضد الإنكليز، وهي الثورة التي قادها علماء

(١) تحف العقول: ص ٢٤٥.

الدين وعلى رأسهم السيد محمد سعيد الحبوبي والسيد علي الداماد والسيد عبد الرزاق الخلو والسيد مهدي الحيدري وغيرهم.

وقد قاد هؤلاء العلماء الشعب العراقي لمقاتلة الانكليز ومنعهم من دخول العراق ودارت معارك ضارية في منطقة الشعيبة ، واستشهد في هذه المعارك عدد من العلماء ، ثم شارك السيد الحكيم رحمته في ثورة العشرين بقيادة الميرزا محمد تقى الشيرازي رحمته ثم شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ محمد جواد الجزائري والشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي والشيخ جواد الجواهري والشيخ مهدي الخالصي وغيرهم.

عبد الكريم يتبنى الشيوعيين، والحكيم يواجهه بصلابته

وفي عام ١٩٥٨ وبعد انقلاب ١٤ تموز، تبنى عبد الكريم قاسم سياسة تضرب الدين في الصميم إذ تحالف مع الحزب الشيوعي وفتح له المجال بل واحتضنهم واعطائهم أعلى المناصب في الدولة وسخر لهم كافة الامكانيات والأموال والإعلام وغير ذلك مستهدفاً أن يحولهم إلى رقم صعب يحكم الشعب كله ، منطلقاً من فلسفة خرقاء إذ أراد دفع الفاسد بالأفسد حيث أراد مواجهة التيار القومي الذي يقوده جمال عبد الناصر ، بالتيار الشيوعي الذي لا يقارن به من حيث الانحراف والفساد من عدة جهات.

وعند ذاك تصدى السيد الحكيم رحمته وسائر العلماء لهذا المخطط بكل قوة وذلك على الرغم من جوّ الرعب الحاكم إذ كانوا الشيوعيون يسحلون من يعارضهم بالشوارع ويقتلون المعارضين بدم بارد بتأييد من عبر الكريم قاسم شخصياً، فاصدر فتواه المعروفة :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لا يجوز الإنتماء للحزب الشيوعي ، فإن ذلك كفر وإلحاد ، أو ترويج للكفر والإلحاد. أعاذكم الله وجميع المسلمين من ذلك ، وزادكم إيماناً وتسليماً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

١٧ شعبان ١٣٧٩ . وقد وافق ذلك ١٥/٢/١٩٥٩م)

وسارع العلماء الأعلام إلى تأييد السيد محسن الحكيم رحمته في فتواه ومنهم آيات الله العظام السيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محمود الشاهرودي والسيد ميرزا مهدي الشيرازي والسيد أبو القاسم الخوئي والسيد عبد الله الشيرازي والشيخ عبد الكريم الزنجاني والسيد جواد التبريزي و الشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد محمد علي الطباطبائي والشيخ مرتضى آل ياسين رحمته.

انتقام السلطات والشيوعيين من السيد الحكيم والمتدينين

وفي مقابل ذلك وغيره أطلق الشيوعيون حملات تسقيطية : سياسية - اجتماعية - جماهيرية - فكرية رهيبة ضد رجال الدين والمتدينين ، وكان من ذلك :
 أ - إنهم أشاعوا في الأجواء أن (الدين أفيون الشعوب) وأنه رجعية وتخلف.
 ب - بل وأكثر من ذلك : فقد عمموا على كافة كوادرهم ووسائل إعلامهم أن (كل متدين فهو مجرم) والسبب (إنه يعيق تقدم المجتمع) ! ومن الواضح أن مفردة (المجرم) تتسع إلى درجة الحكم عليه بأنه يستحق القتل بأبشع الصور ، كما كانوا يفعلون ذلك بالفعل ! إذ تكرر أن أمسكوا ببعض المعارضين وربطوا إحدى رجله إلى سيارة ورجله الأخرى إلى سيارة أخرى بحبال قوية ، ثم وفي مظاهرات صاخبة مرعبة تنطلق السيارتان بسرعة كبيرة في اتجاهين متضادين

لكي يرى الناس بأأم أعينهم كيف ينشطر المتدين المعارض إلى شطرين بأفجع الصور لمجرد انه عارض الشيوعية!

ج - وحرّكوا الجهلة والغوغاء ضد السيد الحكيم رحمته، حتى أنه بلغ من وقاحتهم أن صاحب دكان مجاور لمنزل السيد محسن الحكيم، كان عندما يخرج السيد من داره يرفع صوت المذياح بأناشيد الشيوعيين، حتى إذا اقترب السيد من دكانه رفع صوته: عفلقي عفلقي! بمعنى أنه من جماعة ميشيل عفلق، وكان ذلك هو إتهامهم المعلّب لمن لا يخضع لعبد الكريم! وكان من جملة شعاراتهم: (ولما يصفغ عفلقي، والحبال موجودة!) أي: من لم يصفق للشيوعيين ولعبد الكريم فهو بعثي، والحبال جاهزة لكي تسحله في الشوارع!

وإذا رجعتم إلى الوراء وعشتم في تلك الأجواء وتجسدتم الرعب الحاكم على العراق كله لعرفتم قيمة الجهاد والمجاهدين وأنه لولاهم لالتهمت الشيوعية العراق وعمّ الإلحاد والفساد بأبشع صورّه، بلاد علي والحسين عليهما السلام!

د - وبلغت الحالة من الشدة إلى درجة أن طلاب الحوزة العلمية كانوا لا يتجرأون على الخروج إلى دروسهم وإلى المساجد فرادى إذ كان يمكن أن تهاجمهم في كل لحظة جماعات المقاومة الشعبية!

وكان كثيراً من الطلاب وعوائلهم يعيشون في رعب وقلق إذ كان يحتمل في كل ليلة أن تهجم عليهم في بيوتهم قوات المقاومة الشعبية وتقتادهم إلى المجهول أو تقتلهم رأساً!

حزب البعث يواجه الحوزة العلمية ويطارد العلماء

وفي العام ١٩٦٨ قام حزب البعث، وبتخطيط ومساندة أسياده، بانقلاب عسكري وأمسكوا أزمّة الحكم في العراق بالعنف والإرهاب وقاموا بمطاردة

العلماء وملاحقة المؤمنين، بل نص قرار صادر عن القيادتين القطرية والقومية في ٤ نيسان ١٩٦٩م على ضرورة القضاء على المرجعية الدينية لأنها العقبة الكبرى أمام أهدافهم^(١).

وقد أقدمت السلطات الجائرة على تسفير أعداد كبيرة من طلبة العلوم الدينية والعلماء إلى إيران متذرعين بأن أصلهم إيراني وكانت عناصر الأمن تدهم المدارس الدينية وتعتقل الطلاب والعلماء وتسوقهم إلى السجون، وكان السيد محسن الحكيم رحمته حينذاك في كربلاء لزيارة الأربعين فقطع زيارته ورجع إلى النجف احتجاجاً على ذلك، وقد أرسلت السلطات وفداً رفيع المستوى لمقابلة السيد الحكيم رحمته وتهديته وكان في الوفد حردان التكريتي.

المرجعية العليا تستعرض قوتها الجماهيرية

ثم سافر السيد الحكيم رحمته إلى بغداد ليستعرض قوة المرجعية الدينية العليا وجماهيريتها.

قال حردان التكريتي في مذكراته: (إن السيد الحكيم سافر إلى بغداد بحجة المرض وكان يقصد عرض القوة التي يتمتع بها، وفعلاً جاءت إليه الوفود من كل مكان وعندما زاره اثنان من المسؤولين موفدين من قبل الرئيس خاطبهم بلهجة قاسية مطالباً إياهم الإفراج الفوري عن رجال الدين والكف عن ملاحقة الآخرين)^(٢).

السلطات تعتقل العلماء وتحاصر المرجع الأعلى

والآن لننتقل إلى الوجه الآخر للأمر، فقد افتعلت الحكومة مسرحية هزيلة اتهمت فيها نجل المرجع الأعلى، وهو العلامة السيد مهدي الحكيم رحمته كما

(١) راجع مذكرات حردان التكريتي.

(٢) مذكرات حردان التكريتي: ص ١٩.

اتهمت السيد العم آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي رحمته الله بالتجسس وأمرت بإلقاء القبض عليهما فأمكنهم اعتقال السيد العم وعذبه في سجن بعقوبة بأنواع من التعذيب بلغت ٤٤ نوعاً! وكان منها أنهم كانوا يدقون ابراً طويلة بالمطرقة في أصابع يديه (بين الأظفر والأصبع) حتى تنفذ إلى داخل الأصبع أو تنكسر! ولكم أن تتصوروا العذاب الرهيب والألم الشديد الذي يعتصر السجين في تلك الدقائق وحتى إلى أيام أو أسابيع! وقد ذكر السيد الوالد رحمته الله أنواعاً كثيرة منها في كتاب (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام).

واما السيد مهدي الحكيم رحمته الله فقد أمكنه أن يهرب متخفياً، ولكن قوات الأمن طوقت منزل المرجع الأعلى السيد الحكيم رحمته الله وقطعت عنه الماء والكهرباء لفترة من الزمن، ومع ذلك كله لم نجد الناس يركون ساكناً؛ نعم خرجت بعض المظاهرات وعطلت الأسواق لفترة، ولكن الناس استسلموا بعد ذلك! وبقي السيد الحكيم رحمته الله وحده! ولكن ذلك كله لم يثته عن عزمه أبداً.

وموطن الشاهد: إن تلك الأيام انقضت، وبقي السيد الحكيم رحمته الله قامة شاحخة في سماء العلم والجهاد، ورمى التاريخ الشيوعيين والبعثيين بلعناته وأصبحوا مثلاً للطغاة الذي ينتقم الله منهم شر انتقام ولو بعد مضي السنين والأعوام فإن (الله يمهل ولا يهمل) إذ قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ الظَّالِمَ حَتَّى يَقُولَ قَدْ أَهْمَلَنِي ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَخْذَةً رَابِيَةً، إِنَّ اللَّهَ حَمِدَ نَفْسَهُ عِنْدَ هَلَاكِ الظَّالِمِينَ فَقَالَ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»^(١) (٢) و﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام: ٤٥.

(٢) أعلام الدين: ص ٣١٥.

(٣) سورة الفجر: ١٤.

والتاريخ يعيد نفسه وباستمرار...

مستقبلكم بأيديكم: إما من أعوان الظلمة أو من أنصار المظلومين!

وكلكم أخوتي الأفاضل وأبنائي الكرام طوال سنيّ عمركم القادمة، وقد تكون عشرات السنين بإذن الله، ستواجهون حكومات جائرة في أي بلد عشتم فيه وستشهدون قرارات ظالمة من الحكومات المتعاقبة، فاحسموا أمركم: فهل تريدون عرض الحياة الدنيا أم تريدون رضا الله والآخرة! وهل تريدون عزاً زائلاً أو تطلبون مجداً خالداً؟ وهل تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو تكونون من أعوان الظلمة وأنصار المستبدين؟

مهما كان فتذكروا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾^(١) و﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِإِمْصَادٍ﴾ وقوله ﷺ: «وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغْبِ مَظْلُومٍ»^(٢) وقوله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ عِزًّا بَلَا سُلْطَانَ وَكَثْرَةً بَلَا إِخْوَانَ وَهَيْبَةً بَلَا مَالَ فَلْيَتَّقِلْ مِنْ ذَلِكَ مَا عَصَى اللَّهَ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ»^(٣).

(١) سورة هود: ١١٣.

(٢) نهج البلاغة: ص ٤٩.

(٣) تحف العقول: ص ٣٧٦.

الملحق

كِتَابُ الْإِمَامِ السَّجَادِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ يَعْظُهُ:
 «كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتَنِ وَرَحِمَكَ مِنَ النَّارِ فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَالٍ يَنْبَغِي
 لِمَنْ عَرَفَكَ بِهَا أَنْ يَرْحَمَكَ فَقَدْ أَثْقَلْتُكَ نِعْمَ اللَّهُ بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ وَأَطَالَ مِنْ
 عُمُرِكَ وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجُجُ اللَّهِ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ وَفَقَّهَكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ
 وَعَرَفَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فَرَضَ لَكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ وَفِي كُلِّ
 حُجَّةٍ احْتَجَّ بِهَا عَلَيْكَ الْفَرَضُ ، فَمَا قَضَى إِلَّا ابْتَلَى شُكْرَكَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَى فِيهِ
 فَضْلَهُ عَلَيْكَ فَقَالَ ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ فَاَنْظُرْ
 أَيُّ رَجُلٍ تَكُونُ غَدًا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعْمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا
 وَعَنْ حُجُجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ قَابِلًا مِنْكَ بِالتَّعْذِيرِ وَلَا رَاضِيًا مِنْكَ بِالتَّقْصِيرِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ
 لَيْسَ كَذَلِكَ أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ لَتَبِينَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ وَاعْلَمُ
 أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَأَخَفَ مَا احْتَمَلْتَ أَنْ أَنْتَ وَحِشَّةُ الظَّالِمِ وَسَهَّلْتَ لَهُ طَرِيقَ
 الْغِيِّ بِدُنُوكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وَإِجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ فَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبَوُّءُ
 بِإِثْمِكَ غَدًا مَعَ الْخَوْنَةِ وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّالِمَةِ إِنَّكَ
 أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ مِنْ أَعْطَاكَ وَدَنَوْتَ مِنْ مَنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا وَلَمْ تَرُدَّ بِاطِلًا
 حِينَ أَدْنَاكَ وَأَحْبَبْتَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ.

أَوْلَيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ جَعَلُوكَ قُطْبًا أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ
 وَجَسْرًا يَعْبرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بِلَايَاهُمْ وَسَلْمًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ دَاعِيًا إِلَى غِيِّهِمْ سَالِكًا
 سَبِيلَهُمْ يَدْخُلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَالِ إِلَيْهِمْ فَلَمْ
 يَبْلُغْ أَوْسَطُ زُرَائِهِمْ وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ

وَإِخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ فَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطَوْكَ فِي قَدْرِ مَا أَخَذُوا مِنْكَ وَمَا
أَيْسَرَ مَا عَمَرُوا لَكَ فَكَيْفَ مَا خَرَبُوا عَلَيْكَ.

فَانظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ لَهَا غَيْرُكَ وَحَاسِبُهَا حِسَابَ رَجُلٍ مَسْئُولٍ وَانظُرْ
كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا فَمَا أَخَوْفِي أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ
فِي كِتَابِهِ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا إِنَّكَ لَسْتَ فِي دَارٍ مُقَامٍ أَنْتَ فِي دَارٍ قَدْ أَذْنَتْ بِرَحِيلٍ فَمَا بَقَاءُ
الْمَرْءِ بَعْدَ قُرْنَائِهِ طُوبَى لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ يَا بُوَسَّ لِمَنْ يَمُوتُ وَتَبَقَى
ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

احذِرْ فَقَدْ نَبَّتْ وَبَادِرْ فَقَدْ أَجَلَّتْ إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَجْهَلُ وَإِنَّ الَّذِي يَحْفَظُ
عَلَيْكَ لَا يَغْفُلُ تَجَهَّزْ فَقَدْ دَنَا مِنْكَ سَفَرٌ بَعِيدٌ وَدَاوُ ذَنْبِكَ فَقَدْ دَخَلَهُ سَقَمٌ شَدِيدٌ وَلَا
تَحْسَبْ أَنِّي أَرَدْتُ تَوْبِيخَكَ وَتَعْنِيفَكَ وَتَعْيِيرَكَ لَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْعَشَ اللَّهُ مَا قَدْ
فَاتَ مِنْ رَأْيِكَ وَيُرَدَّ إِلَيْكَ مَا عَزَبَ مِنْ دِينِكَ وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
وَذَكَرُ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْنَانِكَ وَأَقْرَانِكَ
وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ كَقَرْنٍ أَعْضَبَ انظُرْ هَلْ ابْتَلَوْا بِمِثْلِ مَا ابْتَلَيْتَ أَمْ هَلْ وَقَعُوا فِي مِثْلِ
مَا وَقَعْتَ فِيهِ أَمْ هَلْ تَرَاهُمْ ذَكَرْتَ خَيْرًا عِلْمُوهُ وَعَلِمْتَ شَيْئًا جَهْلُوهُ بَلْ حَظِيَتْ
بِمَا حَلَّ مِنْ حَالِكَ فِي صُدُورِ الْعَامَّةِ وَكَلَّفَهُمْ بِكَ إِذْ صَارُوا يَقْتَدُونَ بِرَأْيِكَ
وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ إِنْ أَحَلَّكَ أَحْلُوا وَإِنْ حَرَّمْتَ حَرَّمُوا وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَلَكِنْ
أَظْهَرَهُمْ عَلَيْكَ رَغْبَتَهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ ذَهَابُ عُلَمَائِهِمْ وَغَلْبَةُ الْجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ
وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ وَطَلَبُ الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُمْ أَمْ مَا تَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغِرَّةِ
وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ قَدْ ابْتَلَيْتَهُمْ وَفَتَنْتَهُمْ بِالشُّغْلِ عَنْ مَكَاسِبِهِمْ مِمَّا
رَأَوْا فَتَاقَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنَ الْعِلْمِ مَا بَلَغْتَ أَوْ يُدْرِكُوا بِهِ مِثْلَ الَّذِي

أَدْرَكَتْ فَوْقَهُوا مِنْكَ فِي بَحْرٍ لَا يَدْرِكُ عَمَقَهُ وَفِي بَلَاءٍ لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ فَاللَّهُ لَنَا وَلَكَ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ.

أَمَّا بَعْدُ فَأَعْرَضَ عَن كُلِّ مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِالصَّالِحِينَ الَّذِينَ دُفِنُوا فِي أَسْمَائِهِمْ لَأَصِقَةَ بَطُونِهِمْ بِظُهُورِهِمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ وَلَا تَفْتِنُهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْتِنُونَ بِهَا رَغِبُوا فَطَلَبُوا فَمَا لَبِثُوا أَنْ لَحِقُوا فَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا تَبْلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هَذَا الْمَبْلَغَ مَعَ كِبَرِ سِنَّكَ وَرُسُوخِ عِلْمِكَ وَحُضُورِ أَجْلِكَ فَكَيْفَ يَسْلَمُ الْحَدِيثُ فِي سِنِّهِ الْجَاهِلُ فِي عِلْمِهِ الْمَأْفُونُ فِي رَأْيِهِ الْمَدْخُولُ فِي عَقْلِهِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى مِنَ الْمَعُولِ وَعِنْدَ مِنَ الْمُسْتَعْتَبِ نَشْكُو إِلَى اللَّهِ بِشَأْنِنَا وَمَا نَرَى فِيكَ وَنَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ مُصِيبَتَنَا بِكَ فَانظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَّاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا وَكَيْفَ إِعْظَامُكَ لِمَنْ جَعَلَكَ بِدِينِهِ فِي النَّاسِ جَمِيلًا وَكَيْفَ صِيَانَتِكَ لِكِسْوَةِ مَنْ جَعَلَكَ بِكِسْوَتِهِ فِي النَّاسِ سَتِيرًا وَكَيْفَ قُرْبِكَ أَوْ بَعْدُكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ قَرِيبًا ذَلِيلًا مَا لَكَ لَا تَنْتَبِهَ مِنْ نَعْسَتِكَ وَتَسْتَقِيلُ مِنْ عَثْرَتِكَ فَتَقُولُ وَاللَّهِ مَا قُمْتُ لِلَّهِ وَاحِدًا أَحْيَيْتُ بِهِ لَهُ دِينًا أَوْ أَمْتُ لَهُ فِيهِ بَاطِلًا فَهَذَا شُكْرُكَ مَنْ اسْتَحَمَلَكَ مَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا اسْتَحَمَلَكَ كِتَابُهُ وَاسْتَوَدَعَكَ عِلْمُهُ فَأَضَعْتَهَا فَنَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَالسَّلَامُ»^(١).

خامساً: الهداية الشهودية بعد الهداية العلمية

الجواب الخامس: سبق الكلام عن شبهة: إن طلب الهداية من الله تعالى في قولنا ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إنما هو طلب للحاصل، خاصة وإن هذا الطلب في هذه السورة جاء بعد التصريح بالإذعان بالله تعالى وبصفات جماله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وبحمده والثناء عليه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ويكونه المربي للعوالم كلها ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وبعد التصريح بالإيمان بالآخرة وأنه تعالى مالك لها ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثم بعد كل تلك الاعترافات تقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أفليس ذلك طلباً للحاصل؟

وقد أجبنا عن ذلك بأجوبة عديدة وأما الجواب الآخر^(١) فهو:

إن الهداية على قسمين: الهداية العلمية - العقلية، والهداية القلبية - الشهودية^(٢)، فيكون من مصاديق الآية الشريفة الدعاء بالهداية القلبية والشهودية بعد حصول العلمية والعقلية، وتوضيح ذلك:

إن الهداية العقلية - العلمية تعتمد على البراهين والأرقام الجافة وعلى المعادلات الجامدة، وذلك كبرهان إبطال الدور أو التسلسل لإثبات أن الممكن لا يبدؤ له من خالق هو واجب الوجود بالذات وإلا للزم أحدهما، وهذه البراهين تفيد العلم لكن العلم جاف بطبعه فإنه يتعامل مع الحقائق كما هي ومع منطقة العقل فقط، أما القلب فإنه منطقه المحبة والعاطفة والتفاعل الوجداني، فقد يعتقد الإنسان بوجود الله تعالى وقد يتعلق لُبُّه به فيستشعر محبته في أعماق كيانه ويخفق قلبه عند ذكر اسمه تعالى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٣) وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا

(١) وهو الجواب الخامس.

(٢) وهي لدى التحقيق أربع أنواع، فتدبر.

(٣) سورة البقرة: ١٦٥.

كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ»^(١) وعندما سألَ عَائِشَةُ عَنِ الْمَعْنَى أَجَابَ «وَيْلَكَ لَا تَدْرِكُهُ الْعَيُونَ فِي مُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ».

ويتضح الفارق بين لغة العقل والعلم من جهة وبين لغة القلب والعاطفة والمحبة والشهود من جهة أخرى، في أمثلة عديدة منها مثال (الضيافة):

(الضيافة) بين لغة الأرقام ولغة القلب

فإن استضافة الغرباء بل حتى الأقرباء بمنطق القلب والحب فضيلة وكمال وربح ومغرم وقوة، لكنها بمنطق العقل والأرقام خسارة في خسارة: إذ إنها خسارة في الوقت وخسارة في المال (إلا فيمن يستضيف الآخرين ليستدرجهم إلى توظيفه أو قضاء حوائجه مثلاً!) فإن من كان من ذوي الدخل المحدود الذي يغطي بالكاد نفقات معيشته أو إذا كان يعاني من عجز شهري، فإن استضافته للآخرين عمل خاطئ بمقياس الأرقام الجامدة والفكر المادي الصرف، لكنه بمقياس العقل والعاطفة والمحبة والشائج الاجتماعية قيمة من أسمى القيم وكمال من أفضل أنواعه وهو الرصيد والربح الأكيد، وقد شاهد الكثيرون في الغرب الكثير من الماديين الذين يكرهون الضيوف لأنهم يقيسون الأمور بمقياس عقلي - علمي صرف ويتعاملون بلغة الأرقام فقط.

وكذلك الاعتقاد بالله تعالى فقد يكون معتقداً به على حسب ما أدى إليه الدليل الجاف الجامد، وقد يترقى اعتقاده ليستشعر هيمنة الله تعالى وحضوره وكونه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٢) و﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٣) وأين هذا من ذاك؟

(١) الكافي: ج ١ ص ٩٥.

(٢) سورة الحديد: ٤.

(٣) سورة البروج: ٢٠.

العلامة الاميني رحمته حافياً حاسراً ذاهلاً!

والحديث عن ذلك رائع وطويل ولكن: لنختم بمثال رائع معبر وقصة مميزة من العلامة الأميني رحمته فقد كان رحمته متيماً ولهان بأمر المؤمنين عليه السلام إذ لم يكن ممن يعتقد به فحسب بل كان العاشق الحقيقي له، وكان ذلك هو الباعث له ليسحق كافة ملذات الجسد متفرغاً للكتابة والتحقيق عنه صلوات الله عليه حتى أنه كان في الكثير من الأيام لا ينام - حسب المنقول عنه - في اليوم والليلة إلا ساعتين أو ثلاثة ويقضي ٢١ ساعة تقريباً في الاستنساخ والتحقيق والكتابة وما إلى ذلك.

والقصة التالية تعبر عن مدى محبته لسيد الأوصياء عليه السلام فقد نقل بعض الأكارم أنه قرّر جمع من الوجهاء زيارة العلامة الأميني رحمته أيام كان في طهران، وكان معهم رادود (مداح) ممن يعرف عمق محبة العلامة الأميني لأمر الكائنات عليه السلام فتحركوا جميعاً إلى منزله وعندما اقتربوا من زقاق الدار قال لهم المداح هل تريدون أفعل شيئاً يفقد معه العلامة رزاقته وهيبته المعهودة ويخرج راكضاً إلى الشارع كالذاهل! قالوا: لِمَ؟ قال: لِسِرِّ رَائعٍ عظيمٍ سأكشفه لكم بذلك، وبطريقة مبتكرة! قالوا: أفعل ما شئت! فرفع صوته الشجي منشداً أشعاراً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وإذا بهم يفاجأون بالعلامة الأميني رحمته خارجاً من منزله مسرعاً نحو مصدر الصوت ذاهلاً حاسراً حافياً وقد أنشد إلى تلك المدائح كما ينشد الحديد إلى المغناطيس!

قال لهم الرادود: أوجدتم كيف إنه العاشق حقاً للأمر عليه السلام حيث شدّه المديح إليه بلا اختيار حتى ذهل عما كان يعمل وخرج مسرعاً نحو مصدر الصوت الذي يصدح بذكر الحبيب!!

.. وهكذا، الهداية قسمان: قلبية شهودية ينبض معها القلب بالحب

ويتموج بالعشق ، وعقلية علمية تصلح لقطع الشك باليقين وإفحام المعاندين ، لكنها إذا جمدت على هذا المستوى بقيت أرقاماً مجردة وهياكل متقنة ولكنها بلا روح أو عاطفة أو هيام .

وهكذا نتلوا وندعوا ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ لِيُرِيَ الْمَوْلَى جَلَّ اسْمُهُ قُلُوبَنَا الصِّرَاطَ وَرُوعَتَهُ وَجَمَالَهَ بَعْدَ أَنْ رَأَتْ عَقُولُنَا صَوَابِيَّتَهُ وَصَحَّتَهُ .

منطقتا القلب والعقل، وما تحتضنانه

وبعبارة أخرى : هنالك منطقتان في الإنسان تحتضن كل منهما سلسلة من الخصائص والمواصفات والقدرات وهما : منطقة القلب ومنطقة العقل .

فأما منطقة القلب فتحتضن فيما تحتضن : الجبن والشجاعة ، والجود والبخل ، والحب والبغض ، وأما منطقة العقل فتحتضن العلم والمعرفة .

ف(الجبن والشجاعة) يرتبطان بقوة القلب وضعفه ورباطة الجأش وعدمها وليستا من الأمور العلمية العقلية الصرفة فإن الكثير من الناس يعلم مثلاً بأن الميت لا يمكنه إيذاؤه لكنه مع ذلك يخاف من النوم في حجرة واحدة مع الميت وذلك لضعف قلبه وسيطرة القوة المتخيلة عليه ، والكثير منهم يخاف من الذهاب إلى المقبرة ليلاً أو يخاف من المشي على الحبل حتى وإن علم أنه لا يسقط ، بل بعضهم يعاني من رهاب الطائرة أو المناطق العالية أو غير ذلك .

وكذلك (الجود والبخل) فإنهما يرتبطان بالنفس والقلب ، لا المخ والعقل ، فإن الكثير من الناس يقطع بثواب الآخرة وبتعويض الله تعالى له أضعافاً مضاعفة إن هو جادٌ وأعطى ، لكنه مع ذلك يبخل بالصدقة والعطاء والبرِّ والإحسان ، بل قد يبخل حتى بأداء الواجب من الخمس والزكاة وردّ المظالم والكفارات والنفقة الواجبة .

وبالعكس : الكثير من الناس جواد كريم لا لأنه يعلم بأن سيعوّض بل مع علمه بأنه سيفتقر إذا بذل وأعطى لكنه مع ذلك يجود ويعطي وذلك لأن طبعه الكرم ولأن قلبه جواد.

تعارض مدركات العقل مع أحاسيس القلب

وفوق ذلك كله : (الحب والبغض) فإن كثيراً من الناس ينبعث عن الحب في أعماله وتصرفاته أكثر مما ينبعث عن الأحكام العقلية، أو ينبعث عن البغض أكثر مما ينزجر عن أحكام العقل والمدركات النظرية.

بل قد يدخل ذلك في باب التعارض أو التزاحم أيضاً فإن مدركات العقل قد تتعارض أو تتزاحم مع أحاسيس القلب، وقد تكون الغلبة تارة للعقل وأخرى للقلب؛ ألا ترى أنه كثيراً ما يقع بعض الأشخاص في غرام امرأة يحكم عقله بضرورة الابتعاد عنها لكن قلبه يأسره ويستعبده؟ أو العكس إذ إنه كثيراً ما ينقبض قلبه من شخص ما لكن حساباته العقلية تدفعه للتقرب إليه والتودد له بل وإطاعته والانقياد له؟

وصفوة القول بناءً على ذلك : إن الهداية تارة تكون عقلية مبتنية على الأدلة النظرية والبراهين العقلية العلمية دون أن تلامس شغاف القلب كي يحن ويخفق، وأخرى تكون قلبية تتملك قلبه وتهيج مشاعره وتتفاعل معها كافة جوانحه حتى كأنها تنبض بالنور والهدى وتتموج بالحب والإيمان.

وقد قال تعالى : ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١) واللافت للنظر أنه تعالى لم يقل (سنعلمهم آياتنا) مع أن العلم هو القطع المطابق للواقع الذي لا يمتل مع الخلاف، إلا أن الرؤية هي فوق ذلك

(١) سورة فصلت : آية ٥٣.

وذلك لأنه قد يعلم الشخص بآيات الله علماً نظرياً، وقد يراها بأم عينيه (الباصرتين) وقد يراها بعين قلبه، وهذه هي الدرجة العليا من الهداية ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ»^(١) و«لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ فِي مُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ».

ولعل المراد من ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ رؤية القلب، لا البصر المجرد عن رؤية القلب فإنه قليل القيمة إن لم يكن عديمها، ولعل ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ تصلح قرينة على أن المراد: رؤية القلب لا الباصرة إذ ما في النفس لا يرى بالعين الباصرة، وقد يكون المراد: الأمران معاً فيما أمكنا فيه وإلا فرؤية القلب خاصة، فتدبر!

شهادة الرسول صلوات الله وسلامه عليه لأويس القرني بالجنة

وفي حالات أويس القرني الرائعة أكبر الشواهد على ذلك وأكبر العبر أيضاً:

فقد كان (أويس القرني) من القلائل الذين بشرهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالجنة، بل إن الغريب أن النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه كان يكرر في مواطن شتى وعلى رؤوس الأشهاد الشهادة له بالجنة، حتى تضافرت رواية ذلك عند العامة والخاصة، ولعله من القلائل الذين أجمعت العامة والخاصة على جلالته شأنهم وإنه من أهل الجنة، ولعل السر في ذلك أن النبي صلوات الله وسلامه عليه أراد أن يصنع مرجعيات وأعمدة هداية كبرى وشواهد صدق عظمى لا يمكن لأحد من الناس أن ينكرها، على حقانية أمير المؤمنين عليه السلام وأنه الخليفة الأول بعد الرسول ووصيه ووارث علمه، حتى إذا ما اختلف الناس وجار المبطلون ضد أمير المتقين عليه السلام صدح أولئك بالحق فتمت الحججة على الجميع.

(١) الكافي: ج ١ ص ٩٥.

وجاء في منتهى المقال في أحوال الرجال :

(أويس القرني : بفتح الراء، أحد الزهاد الثمانية، قاله الفضل بن شاذان، صه^(١) .
وفي كش^(٢) : علي بن محمد بن قتيبة، قال : سئل أبو محمد الفضل بن شاذان
عن الزهاد الثمانية فقال : الربيع بن خيثم وهرم بن حيان وأويس القرني وعامر بن
عبد قيس، وكانوا مع علي عليه السلام ومن أصحابه، وكانوا زهاداً أتقياء^(٣) .
وقال : (وكان أويس من خيار التابعين، لم ير النبي صلى الله عليه وآله ولم يصحبه .
فقال النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم لأصحابه : «أبشروا برجل من أمتي يقال له : أويس
القرني، فإنه يشفع لمثل ربيعة ومضر»... إلى أن قال^(٤) : ثم قتل بصقن في
الرجالة مع علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفيه أيضاً في أوائل الكتاب : ... قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام :
«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين حوارى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الذين لم
ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر .
ثم ينادي المنادي : أين حوارى علي بن أبي طالب عليه السلام وصي
رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فيقوم عمرو بن الحمق، ومحمد بن أبي بكر، وميثم التمار
- مولى بني أسد - وأويس القرني .

ثم ينادي المنادي : أين حوارى الحسن عليه السلام ؟ ... »^(٥) .

وقال : (ومضى في الفوائد حصول الظن المعبر شرعاً من أمثال هذه الروايات .

(١) الخلاصة : ج ٨ ص ٢٤ .

(٢) رجال الكشي .

(٣) منتهى المقال في أحوال الرجال : ج ٢ ص ١١١ - ١١٢ .

(٤) أي الكشي .

(٥) منتهى المقال في أحوال الرجال : ج ٢ ص ١١٢ - ١١٣ .

وفي حواشي السيد الداماد على كشف: هذه الرواية يعول عليها في ارتفاع منزلة هؤلاء المتحورين السابقين المقربين؛ وقول بعض شهداء المتأخرين في حواشي صه: إن في طريقها علي بن سليمان وهو مجهول، لا تعويل عليه كما قد دريت^(١).

وجاء في مستطرفات المعالي: (أويس القرني: عن النبي ﷺ أنه خير التابعين أو: من خير التابعين أويس القرني. واستشهد مع أمير المؤمنين في صفين. وهو من الزهاد الثمانية. وهو من حوارى أمير المؤمنين عليه السلام).

قال المامقاني: أتفق الفريقان على وثاقة الرجل، وتقواه وزهده، وعلاه^(٢).

عمر يبلغ سلام الرسول ﷺ لأويس!

وقد بلغ من إشادة النبي ﷺ به أنه أوصى من يسمع شهادته له بالجنة، بأن يبلغه سلامه إن رآه، أي أن يبلغ سلام النبي ﷺ لأويس، وقد شاع ذلك وضاع عطره وذاع صيته، حتى أن عمر بن الخطاب أبان حكومته ارتقى المنبر ذات يوم وأعلن للناس عن أنه سمع الرسول ﷺ يطلب أن يبلغوا سلامه إلى أويس!!، وقد نقل إنه: (قال لعمر: "يا عمر إن أنت أدركته فاقرأه مني السلم" فبلغ عمر مكانه بالكوفة فجعل يطلبه في الموسم لعله أن يحج حتى وقع إليه هو وأصحاب له وهو من أحسنهم هيئة وارثهم حالاً، فلما سأل عنه انكروا ذلك وقالوا: يا أمير المؤمنين تسأل عن رجل لا يسأل عنه مثلك! قال: فلم؟ قالوا: لأنه عندنا مغمور في عقله وربما عبث به الصبيان! قال عمر: ذاك أحب إلي! ثم وقف عليه فقال: يا أويس إن رسول الله ﷺ أودعني إليك رسالة وهو يقرأ عليك السلم، وقد أخبرني أنك تشفع لمثل ربيعة ومضر فخر أويس ساجداً

(١) منتهى المقال في أحوال الرجال: ج ٢ ص ١١٤.

(٢) مستطرفات المعالي أو منتخب المقال والأقوال في علم الرجال: ص ٤٢.

ومكث طويلاً ما ترقى له دمعة^(١).

وهنا ملاحظات:

الأولى: إن النبي ﷺ أمر عمر - على فرض صحة الرواية - أن يبلغه سلامه لأويس، كي تقع الحجة عليه وعلى كافة من يتبعه، في أن أويس هو رجل الحق والجنة، وبذلك يتجلى بوضوح أن الحق مع علي عليه السلام لأن أويساً كان من أشد المدافعين عنه حتى أنه قتل بين يديه في صفين.

الثانية: إن عمر كان يريد بذلك وأشباهه إضفاء الشرعية على حكومته كي يرى الناس بذلك أنه أصبح وسيط إبلاغ سلام رسول الله ﷺ لشخصية عظيمة من أهل الجنة!

الثالثة: إن أويساً أطال السجود كي يتهرب من الكلام مع عمر والجواب عليه، وعندما اضطر أجاب بما أتم الحجة عليه أكثر^(٢).

وعلى أي حال، فإن عمر عندما طلب من الناس أن يبلغوا سلام الرسول ﷺ لأويس، أجابه بعض من يعرفون أويساً - مستغربين - بأن أويساً مغمور في عقله مجنون، وأنه يعث به الصبيان ويتلاعبون به كشأنهم مع كل مجنون! وذلك كان مثار الاستغراب أكثر إذ كيف يبلغ الرسول ﷺ سلامه لمجنون! بل كيف يهتم بذلك اهتماماً كبيراً ويكرّر الطلب على مجاميع مختلفة؟

لماذا تظاهر أويس بالجنون؟

والذي استظهره: إن أويس القرني كان قد تظاهر بالجنون فراراً من أن يُوليه عمر بعض الولايات والدول، فقد كان عمر حريصاً - وكما سبق - على

(١) مجمع الرجال: ج ١ ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٢) والظاهر أن أمير المؤمنين) هي من إضافة النسّاخ، والدليل قول أويس في نفس الرواية (ما لقيت أذى مثل ما لقيت من عمر).

التلفع بلباس الشرعية التي كان يفتردها بشدة إثر مواجهته لباب مدينة علم رسول الله ﷺ ولفاطمة الزهراء عليها السلام التي أذعن الخاصة والعامة بـ«إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ لِعُضْبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»^(١) وكان من الطرق: ما سبق، ومن الطرق أيضاً: محاولة اصطیاد الأعلام والأوتاد من المعروفين بالقدس والصلاح ليكونوا أمراء على البلاد من قبله، ولذلك طلب من سلمان المحمدي مثلاً أن يكون حاكماً على المدائن، ولولا إذن الإمام علي عليه السلام له لما قبل، ولعله لم تكن المصلحة في أن يتولى أويس امرأة كما لم تكن المصلحة في أن يتولاها أمثال أبو زر، ولعل المستظهر أن الطريقة الوحيدة التي رآها ناجعة للفرار من الامرة والتولية هو التظاهر بالجنون.

والذي يدل على ذلك أنه بعد تجاوز مرحلة الخطر، استعاد أويس القرني، عقله فجأة ورجع كما كان من الرزانة والمتانة ورجاحة العقل، فهذا هو المستظهر بالنظر البدوي والله العالم.

ثم إن أويساً انضم إلى جيش أمير المؤمنين عليه السلام في صفين حتى قتل بين يديه شهيداً فشاهداً.

وقد جاء في مجمع الرجال عن الكشي: (وروى الحسين بن الحسين القمي عن علي بن الحسن العرنبي عن سعد بن ظريف عن الأصبع بن نباتة قال: كنا مع علي عليه السلام بصقين فباعه تسعة وتسعون رجلاً ثم قال عليه السلام: «أين تمام المائة لقد عهد

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٦.

كما جاء في البخاري أن النبي ﷺ قال: «إنما هي بضعة مني، يريني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها». صحيح البخاري: ج ٦ ص ١٥٨. وأن النبي ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني» صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢١٠. وروى في كنز العمال أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «يا فاطمة! إن الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك» كنز العمال: ج ١٢ ص ١١١.

إليَّ رسول الله ﷺ أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل». قال: فجاء رجل عليه قباء صوف متقلداً بسيفين قال: أبسط يدك أبايعك، قال عليّ ؑ: «على ما تبايعني؟» قال: على بذل مهجة نفسي دونك، قال عليّ ؑ: «من أنت؟». قال: أنا أويس القرني. قال: فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قُتل فُوجد في الرَّجالة^(١).

وموطن الشاهد: إن الكثير من الناس يركض وراء الشهرة أو الرياسة بل إنه قد لا يمانع من أن يبيع كل دينه لمجرد أن يحصل على رياسة عادية، بل إن أدنى إشارة يشير بها الحاكم الجائر إلى البعض تكفي ليتراكم نحوها، وذلك على الرغم من علمه ب: ﴿وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٢) ويقول رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَعْوَانُ الظُّلْمَةِ وَمَنْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ رِبَطَ كَيْسَاءٍ أَوْ مَدَّ لَهُمْ مَدَّةَ قَلَمٍ فَاحْشُرُوهُمْ مَعَهُمْ»^(٣) والسبب في هذا الانزلاق الخطير هو إن الهداية لم تتمكن من قلبه ولم تتجاوز حدود العقل النظري الجامد الجاف.

وأويس القرني، في الاتجاه المقابل، يرفض الرياسة ويدفع ثناً غالياً جداً لقاء ذلك ألا وهو التظاهر بالجنون لفترة طويلة جداً، والتظاهر بالجنون صعب جداً جداً لوجهين:

الأول: إن من أعز ما يمتلكه الإنسان - بل الأعز مطلقاً لدى البعض - هو ماء وجهه، بل نجد إن الكثير يضحي بكل شيء حتى بنفسه لأجل ماء وجهه، والجنون يهبط بالإنسان إلى أسفل الدرجات ويفقده اجتماعياً ماء وجهه تماماً، ومن منّا يستعد لهذه التضحية العظمى لأجل الفرار بدينه؟ أو تراه يتعلل بمختلف

(١) مجمع الرجال: ج ١ ص ٢٤٢.

(٢) سورة هود: ١١٣.

(٣) جامع الأخبار: ص ١٥٥.

الأعداء ليبرر تقبله للدخول في سلك ديوان السلاطين.

الثاني: إن نفس التظاهر بالجنون عمل شاق جداً، خاصة إذا كان لفترة طويلة كسنة أو أكثر إذ يجب عليه أن يتقن التمثيل وأن لا يغفل عن دوره كممثل أبداً وإلا افتضح أمره، فهذا كله من جهة.

يعبد الله ٢٤ ساعة متواصلة ثم يشكو من (عين نؤامة)!

ومن جهة أخرى: وكشاهد آخر على مفتاحية اختراق نور الإيمان والهداية منطقة القلب حتى يصير متيماً بحب الله تعالى، فإنه قد جاء في التاريخ: إن أحد الرجال الذين سمعوا عن أويس كثيراً، شدّ الرحال إلى بلاده ليراه عن قرب، وكان ذلك أبان ظهور عقله، وعندما وصل إلى منطقته وسأل عنه قالوا إنه في المسجد، فوصل مع صلاة الفجر فوجده منشغلاً بها فانتظر حتى ينهيها لكنه وجده انشغل بالتعقيب حتى شروق الشمس، فظن أن سينفتل، لكنه استمر إلى أذان الظهر، ثم صلاها ووصل تعقيباتها والأذكار بصلاة العصر، ثم استمر مواصلاً حتى صلى المغرب، فتوهم الزائر أنه سينصرف إلى منزله ليُفطر، لكنه استمر حتى العشاء، ثم - وهنا الغريب حقاً - استمر حتى فجر اليوم الثاني! ثم - ولعل ذلك كان مع طلوع الشمس - يقول الراوي: إنه هومت عينا أويس لدقائق معدودة ثم قام فزعاً متألماً من انقطاعه عن العبادة وقال: (اللهم اني أعوذ بك من عين نؤامة ومن بطن لا يشبع)! ومعنى ذلك إنه يستعيذ من نوم دقائق بعد ٢٤ ساعة عبادة ويعتبرها عيناً نؤامة! ويعتبر رغبته إلى الطعام بعد هذا الإمساك الطويل من سيئات بطنه الذي لا يشبع!.

ولا نعلم كم يوماً كان أويس على هذه الحال، ولعلها كانت مواسم يحببها بالعبادة بهذه الطريقة لأيام أو أسابيع إذ من المعروف أن الإنسان يتحمل الجوع

والحرمان من الطعام حتى ٤٠ يوماً وقد يبلغ بعضهم السبعين يوماً، نعم لا يمكنه تحمل العطش أكثر من ثلاثة أيام، كما أن بعض الناس ممن شاهدناهم تمرن على مقاومة النوم لثلاثة أيام بل لخمس أيام كاملة^(١) (٢).

لماذا تكون عبادة بعضهم نقراً كنقر الغراب!

وموطن الشاهد: إن الإتيان بمثل هذه العبادة وهذا الانقطاع مما لا يمكن أن يكون مبعثه إلا القلب الممتلئ إيماناً وحباً لله وهداية ونوراً، أما العالم بالله فقط من دون أن يمتلأ قلبه بالحب فإنك قد تراه يصلي حتى صلاته الواجبة وذهنه مشتت إلى الشرق أو الغرب، بل إنه قد يصلها مسرعاً للانفلات منها حتى تكون (نقراً كنقر الغراب) كما قال رسول الله ﷺ، عن أبي جعفر ع^{عليه السلام} قال: «بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلي فلم يتم ركوعه ولا سجوده، فقال ﷺ: نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتن على غير ديني»^(٣).

فهذا هو فارق الهداية العقلية التي لا تبعث إلا على أداء الوظيفة الشرعية وبمقدار أدائها فقط، عن الهداية القلبية التي ترتفع بالإنسان إلى مصاف الملائكة المقربين الذين ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٤).

ولنا من الشواهد على ذلك الكثير:

فالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ع^{عليها السلام} كانت تصلي واقفة على رجليها

(١) ومنهم آية الله المفكر الشهيد السيد حسن الشيرازي.

(٢) ولعل الراوي استقام هو تلك الساعة ليرى كيف حال أويس، أو انه أرصد معه شخصاً وتناوبا على رصده، أو انه كلما نام قليلاً وأفاق وجده منشغلاً بالعبادة.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٦٨.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٠.

فترات طويلة جداً حتى ورد أن قدميها تورمتا من كثرة العبادة، وذلك مذهل حقاً إذ إن الرجلين لا تتورمان من كثرة الوقوف إلا إذا استمر ذلك لفترة طويلة جداً، ومن روى ذلك الحسن البصريُّ إذ قال: (مَا كَانَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَعْبَدَ مِنْ فَاطِمَةَ عليها السلام كَأَنْتَ تَقُومُ حَتَّى تَوَرَّمَ قَدَمَاهَا) (١).

وقد أجهد الرسول الأعظم ﷺ نفسه المباركة في العبادة حتى خاطبه الحق تعالى بقوله: ﴿طَهَّ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (٢).

وكان سيد الساجدين عليه السلام يطيل السجود حتى صارت في جبهته الثغفات، والأغرب أنها من كثرتها وتناميها كان يأمر عليه السلام كي تقصَّ في السنة أكثر من مرة! فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كَانَ لِأَبِي عليه السلام فِي مَوْضِعٍ سُجُودِهِ آثَارٌ نَاتِئَةٌ وَكَانَ يَقْطَعُهَا فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ خَمْسَ ثَغْنَاتٍ فَسَمِيَ ذَا الثَّغْنَاتِ لِذَلِكَ» (٣).

وصفة القول: إن منطق العاقل العالم من حيث علمه وعقله المجرد يختلف عن منطق المحبِّ المتيمِّ العاشق الولهان، بل قد لا يدرك العاقل منطق الأحاب وسرِّ الكثير من تصرفات المحبين، وأما الحياة فإنها لا تقوم على منطق العلم وحده بل تتوقف على منطق الحب كذلك، بل الكمال كل الكمال والسعادة كل السعادة قد تكون مرتبهة بالتعامل بمنطق آخر فوق منطق (العدل) و(العلم) و(القانون).

بين منطق العقل والقانون ومنطق القلب والمحبة

ولنضرب لذلك مثلاً: فإن الزوجة لها على الزوج حقوق وبالعكس، ولكن لو تعامل كل منهما مع الآخر بمنطق الحق المجرد ولم يرتفعا بالحياة الزوجية من منطق (العدل) و(القانون) إلى منطق (الإحسان) و(الحب)، لتحولت حياتهما

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ج ٣ ص ٣٤١.

(٢) سورة طه: ١ - ٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ج ٤ ص ١٦٧.

إلى جحيم، فإن حق الزوجة لا يتعدى - حسب المشهور - إلا قضاء الوطر كل أربعة أشهر مرة، ولا يجب عليها الطبخ ولا غسل الملابس ولا حتى إرضاع طفلها (ولو شاءت كان لها أخذ الأجرة على الإرضاع) ولكن تصوروا حياة زوجية تبتني على هذه الطريقة القانونية الصارمة! إنها حياة بلا حب ولا إحسان ولا عاطفة ولا تفاعل، بل قد تكون جحيماً تماماً؛ إنما الحياة السعيدة تبتني على منطق فوق منطق (الواجبات) و(الحقوق المجردة) إذ تبتني على منطق المعاشرة بالمعروف والتضحية والإيثار والشفقة والعفو والصفح وغير ذلك.

الأميني رحمته يبيع داره لطبع كتابه!

ولقد نقلت مرة: إن العلامة الأميني رحمته بعد جهود مريرة استمرت سنين طويلة، أكمل تأليف كتاب (الغدير)، ثم بحث عمن يطبعه لكنه لم يجد أحداً - وذلك غريب حقاً - إذ كان من المفترض أن يتسابق من علم من التجار والشباب والنساء لطبع هذا الكتاب الخالد، لكنه (الغياب) عن منطق الحب الصادق لأمر الكائنات عليه السلام والغرق في أحوال المادة والأرقام والحسابات الضيقة.

ولكن الأميني رحمته كان رجلاً من طراز آخر، لذلك قرر أن يبيع بيته الذي يسكن فيه لطبع به الكتاب! وهكذا كان بالفعل إذ باع بيته رغم أنه لم يكن له مسكن غيره ولا كان يُرتجى أن يُعوضه أحد، وطبع المجلدات العشر في الألواف من النسخ، بثمن البيت كله، فكان هذا السفر الخالد.

إن هذا المنطق (بيع الدار الشخصية لطباعة كتاب) ليس منطق الحسابات المادية الجامدة بل قد لا يكون منطق الفقه أيضاً إذ ليس ذلك بواجب إلا إذا اندرج في عنوان ثانوي مما يحتاج إلى دليل، لكنه منطق الولاء الخالص والحب العميق الصادق لأمر الكائنات عليه الصلاة والسلام.

إن منطق الفقه هو منطق العقل الذي يشرف على كل قضية من زاوية الواجب والحرام والتزاحم ومرجحاته، وقد يرجع إلى الأصول العملية التي قد تقتضي البراءة في المقام، وذلك عكس منطق القلب والحب والولء والهيام. ومن ذلك مثلاً: إن منطق الحق الجامد والفقه والعقل لا يوجب عليك النفقة على الأرحام البعداء كما لا يوجب عليك إقراء الضيف ولا البذل أكثر من الخمس والزكاة، أما منطق الحب والقلب فإنه لا يعرف شعاراً أسمى من شعار المواساة والإيثار، إنه المنطق الذي يملك على أن تقدم كل ما تملك على طبق من ذهب للمؤمنين أو لمن تحب وإن كنت بأحوج ما تكون إليه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١) و﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) و﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٣).

هل نستشعر كل لحظة إشراف إمام العصر والزمان عليه السلام؟

وأخيراً: إن المهدي بالهداية القلبية يستشعر في كل لحظة وعند كل نظرة وهمسة ولمسة وخطرة وخطوة، وبشراشر وجوده، عين الله الناظرة في خلقه، وهي تشرف على كافة تصرفاته وتحيط بها، أنه يحس بهذه الرقابة دائماً وأبداً لذا يستحيل - عرفاً - أن يصدر منه محرم كما يستبعد أن يصدر منه مكروه، أو ليس ولي الله الأعظم عليه السلام هو الناظر له ولأفعاله مباشرة!

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) سورة الطلاق: ٧.

ومن المعروف أن سجل أعمالنا يرفع كل اثنين وخميس إلى ولي العصر والزمان عليه السلام، وذلك وإن كان فيه الحافظ القوي للمؤمن لكي يراقب أعماله كافة، ولكن الأمر أعظم من ذلك فإنه، لمن اهتدى بالهداية القلبية، ليستشعر إحاطة الإمام عليه السلام به، بإذن الله تعالى له، وبأفعاله لحظة بلحظة.

وإذا وصلنا إلى هذا المقام، ترقينا عن مصاف الملائكة الكروبيين، وكان حينئذٍ الأمل أكبر فأكبر بأن يمن علينا إله الكون بتعجيل فرج وليه الأعظم عليه السلام، ومن يدري؟ فلعله يكون - بإذن الله تعالى - في الفترة القريبة القادمة؛ وليس ذلك من باب التوقيت لبطلانه وحرمته، بل هو من باب القضية الشرطية^(١) والأمل والرجاء وما ذلك على الله بعزيز وقد ورد: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصَلِّحُ لَهُ أَمْرَهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ»^(٢) وقد نقل بعض العلماء أنه ورد: (إنه يصلح الله تعالى أمره في ساعة). وهكذا.. علينا أن ندعوا الله تعالى دوماً وأبداً أن يهدينا إلى الصراط المستقيم .. إنه السميع القريب المجيب البر الرحيم.

(١) كما دلت عليه الرسالة المفيد مُنْتَشَرٌ وغيرها.

(٢) إعلام الوري: ص ٤٣٥.

البحث الثاني:

هل الهداية فعل الله قسراً أو هي فعل العبد؟

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

السؤال الذي أرق الكثير من الباحثين في علم الكلام والفلسفة على مرّ التاريخ هو إن الهداية هل هي فعل الله تعالى تكويناً أم هي فعل العبد؟ وإذا كانت فعل العبد فهل هي فعله طوعاً أو هي فعله قسراً؟!

أقسام عطايا الله تعالى

إن تحقيق ذلك يبتني على مقدمة هامة وهي: إن عطايا الله ومنحه للعباد على ثلاثة أقسام:

ما يمنحه للعبد دون توسط ميثئته

الأول: ما يمنحه الله تعالى لعبده من دون توسط ميثئته^(٢) أي من غير أن تكون للعبد ميثئة فيه أو إرادة واختيار، وذلك كنعمة الوجود إذ وهبها الله لنا من غير أن يكون لنا من الأمر شيء، وكذلك بعض الصفات والملكات الأخرى، كالذكاء والبلادة، والشجاعة والجنون، والبخل والكرم وشبه ذلك؛ حيث إن بعض الناس يولد ذكياً أو شجاعاً أو كريماً بطبعه أو العكس، وذلك بنحو العلة المحدثة.

(١) سورة الفاتحة: ٦.

(٢) أي ميثئة العبد.

ثم تنقسم الصفات إلى ما لا تكون لإرادة للعبد مدخلية في أصله ولا في درجاته ومراتبه حتى في مرحلة علته المبقية وما يكون له التغيير في أصل الصفة أو الملكة أو في بعض درجاتها، والطول والقصر والجمال والقبح من قبيل الأول، بشكل عام، أما الصفات النفسانية فمن قبيل الثاني بشكل عام، فإنه وإن كان من الصعب جداً تغييرها لكنها تبقى ممكنة، نعم قد يقال بأن البعض غير قادر على تغيير بعض ملكاته، وتحقيق ذلك في مبحث (الشاكلة).

ما يمنحه له بواسطة مشيئته وإرادته

الثاني: ما يمنحه الله تعالى لعبده بتوسط إرادته^(١) فلا يملكه قسراً بل طوعاً، وذلك إن شاء وسعى وجد واجتهد، وذلك نظير العلم النظري الاكتسابي، وهو ما عدا الفطري وما عدا مطلق الأوليات اليقينية، فإن العلم موكول أمره إلى الإنسان فإن سعى وتعلم علم - بدرجة أو أخرى - سواء أكان تعلمه بدراسة أم تفكير أم اعتبار أم تجربة أم غير ذلك، وإن لم يسع ولم يتعلم فإنه يبقى جاهلاً، وأما العلم اللدني بالإفاضة الإلهية، فنادر مختص بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

ما يكون مزيجاً من الأمرين

الثالث: ما يكون مزيجاً من الأمرين، فقد يكون بسعي الإنسان وإرادته وقد لا يكون وذلك نظير الرياضة والرزق والمحبوبة:

أ. الرياضة:

فالرياضة كثيراً ما يصل إليها الإنسان بالسعي، ولكنها قد تصل للبعض بدون أي نوع من أنواع السعي بل قد تراه يفرّ منها لكنها تطارده حتى تقتحم عليه حياته وتوقعه في شباكها طائعاً أو مكرهاً! وقديماً قال الشاعر:

(١) أي إرادة العبد.

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

وبالعكس من ذلك من تجده يسبب كافة الأسباب الظاهرية ليصل إلى
الرياسة الدنيوية ولكن لا تتحقق له أمنيته، لطارئ غير اختياري أو حتى لأن
ملك الموت سارع إليه قبل أن يحقق أحلامه أو وهو على بعد خطوات منها!

ب. الرزق:

وكذلك الرزق، وقد ورد: «الرِّزْقُ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ
فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ...»^(١) فممنه ما هو بالسعي بالزراعة والتجارة وغيرهما، ومنه
ما ليس هو بالسعي كما فيما يصل للإنسان من إرث أو هبة غير متوقعة أو غير
ذلك، وذلك لجهات عديدة منها: أن الأرزاق توزع بين الطلوعين فمن نام
بينهما تعداه رزقه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «نَوْمَةُ الْغَدَاةِ مَشْوَمَةٌ تَطْرُدُ الرِّزْقَ
وَتَصْفَرُّ اللَّوْنَ وَتَقْبَحُهُ وَتَغْيِرُهُ وَهُوَ نَوْمٌ كُلُّ مَشْعُومٍ إِنْ لَلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْسِمُ
الْأَرْزَاقَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَيَأْكُمُ وَتِلْكَ النَّوْمَةُ»^(٢) وَقَالَ
الرُّضَا عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾، قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تُقْسِمُ
أَرْزَاقَ بَنِي آدَمَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَمَنْ يَنَامُ فِيمَا بَيْنَهُمَا يَنَامُ
عَنْ رِزْقِهِ»^(٣)، والظاهر أن المراد نوع من الرزق وهو الذي قد يسمى برزق الفضل
مقابل الرزق المحتوم، والمحتوم هو الذي يطلب الإنسان حتى يدركه وإن فر منه،
والفضل رزق جعل له الله تعالى أسباباً غير مادية كصلة الرحم واليقظة بين

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٠٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٠٤.

الطلوعين والصدقة، وقد ورد: «اسْتَنْزَلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ»^(١) وإن كانت هناك وجوه ظاهرية أو مادية أيضاً لتأثيراتها.

ج . المحبوبة:

وكذلك المحبوبة فقد ترى من يحبه الناس حباً جمّاً رغم أنه لا يسعى إليها بل قد لا يفكر فيها أبداً، وقد ترى من يكرهه الناس رغم أنه يسبّب ليحبه الناس كل الأسباب، وقد ورد ما مضمونه: إن الملائكة تضحك في موضعين، الأول: إذا أراد الله أن يعز عبداً وأراد الناس أن يذلوه (ولا يكون إلا ما يشاء الرب)، الثاني: إذا أراد الله أن يذل عبداً وأراد الناس أن يعزّوه (ولا يكون إلا ما يريد الرب تعالى).

الكافي: الهداية فعل الله، ولا يمكننا هداية من أراد الله ضلّالته

وأما الهداية، فهل هي من النمط غير الاختياري؟ أو هي من النمط الثاني الاختياري؟ أم هي من النمط الثالث المزيج المنوع منهما؟!

ذهب البعض إلى أن الهداية غير اختيارية أبداً بل هي فعل الله قسراً وذلك استناداً إلى عدد من الروايات ولنقتصر هنا على واحدة منها:

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجِ عَنْ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا ثَابِتُ مَا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ كَفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا تَدْعُوا أَحَدًا إِلَى أَمْرِكُمْ فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَهْدُوا عَبْدًا يَرِيدُ اللَّهُ ضَلَالَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا عَلَيَّ أَنْ يَهْدُوهُ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يُضِلُّوا عَبْدًا يَرِيدُ اللَّهُ هِدَايَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُضِلُّوه كَفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ

عَمِّي وَأَخِي وَأَبْنُ عَمِّي وَجَارِي فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَيَّبَ رُوحَهُ فَلَا يَسْمَعُ مَعْرُوفًا إِلَّا عَرَفَهُ وَلَا مُنْكَرًا إِلَّا أَنْكَرَهُ ثُمَّ يَقْذِفُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ كَلِمَةً يَجْمَعُ بِهَا أَمْرَهُ»^(١).

وقبل الخوض في تحليل هذه الرواية نشير إشارة هامة إلى حقيقة مفتاحية نوعية هامة تتعلق بشاكلة الناس وباتجاههم العام في الحياة وهي:

المواقف المتنوعة من هذه الروايات

إن مواقف الناس تجاه أمثال هذه الرواية، تتوزع بين ثلاث أنواع من

المواقف:

♦ موقف المستسلم

الموقف الأول: موقف المستسلم بل المتواكل بل المتخاذل، والمتخاذل أسوأ حالاً من المتواكل والمتواكل أسوأ حالاً من المستسلم؛ ذلك أن البعض يجد في أمثال هذه الرواية تبريراً لتقاعسه عن النشاط والعمل وعن التبليغ والهداية والإرشاد ونصرة الدين وأهله والدفاع عن أهل البيت عليهم السلام، أما البعض الآخر فليس بالتقاعس المتخاذل بل هو المستسلم الذي خيم اليأس على زوايا قلبه فاستسلم للأمر الواقع أو الذي عدّ كل ذلك من القضاء القاسر والقدر اللازم القاهر، ومن ذلك ما فسّر به هذا الفريق من الناس أحاديث الانتظار ك: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي أَنْتِظَارُ الْفَرَجِ»^(٢) إذ لا يرون في معناه إلا السكون والجمود والانتظار السلبي فقط، مع أن المنتظر الحقيقي هو من يُعدّ ويستعد وينتظر بقوله وعمله وقلبه وسلوكه؛ ألا ترى من ينتظر غائباً عزيزاً عليه كأمه أو ابنه يستعد أبلغ الاستعداد ليستقبله أفضل الاستقبال؟

(١) الكافي: ج ١ ص ١٦٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ج ٤ ص ٤٢٥.

◆ موقف المتهور

الموقف الثاني: موقف الاقتحامي والثوري المتهور، الذي ما إن يسمع برواية من أمثال هذه إلا وتجدد يرميها بالضعف أو يضرب بها فوراً عرض الحائط أو حتى - لا سمح الله - يستهزأ بها أيضاً.

وكنت قد جمعني مجلس بأحد العلماء:

فقال لي: يجب أن نهذب الكافي ونظائره من كثير من الروايات!!

فقلت: مثل ماذا؟

فقال: مثل ما ورد في الكافي مما ظاهره التجسيم.

أقول: لعله يقصد نظير ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُءُوسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ بِهَا عَقُولَهُمْ وَكَمَلَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ زَبْرَجْدَةٍ خَضْرَاءَ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ عَنْ يَمِينِهِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٍ، وَجُوهُهُمْ أَشَدُّ بَيَاضًا وَأَضْوَاءَ مِنَ الشَّمْسِ الطَّالِعَةِ يَغْطِيهِمْ بِمَنْزِلَتِهِمْ كُلِّ مَلِكٍ مُقْرَبٍ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ يَقُولُ النَّاسُ مِنْ هَؤُلَاءِ فَيُقَالُ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ»^(٢).

فقلت له: وماذا تصنع بالقرآن الكريم؟ قال: كيف؟

قلت: جوهر المضمون نفسه ورد فيه نظير: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٣) و﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤) و﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٥)؟

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٥.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٢٦.

(٣) سورة الفجر: ٢٢.

(٤) سورة الفتح: ١٠.

(٥) سورة القيامة: ٢٢ - ٢٣.

فتحير وقال: وما العمل؟!

قلت: كما إن الآيات تحمل على المجاز بقريئة سائر الآيات ك: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) وبقريئة القواعد العقلية المسلّمة، كذلك أمثال هذه الروايات فما تقوله في الآيات قلة في الروايات!

◆ موقف الصراط - الوسط

الموقف الثالث: هو موقف الصراط - الوسط، وهو موقف الباحث عن الحقيقة والمنصف غير المتسرّع الذي لا يحكم بعجلة ولا يبدي رأياً بغير رويّة، وهو الموقف الذي يتصفح جميع الآيات الكريمة والروايات الشريفة ويستعرض مختلف القواعد الأصولية والفقهية، ويبحث عن وجوه الجمع والمحمل الصحيحة، إذ قد ورد: «أَنْتُمْ أَفْقَهُ النَّاسِ مَا عَرَفْتُمْ مَعَانِي كَلَامِنَا إِنَّ كَلَامَنَا لَيَنْصَرَفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا»^(٢) وورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «قَالَ حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ تَرْوِيهِ وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَقِيهَا حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا، وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلَامِنَا لَتَنْصَرَفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهًا لَنَا مِنْ جَمِيعِهَا الْمَخْرَجُ»^(٣).

وجوه الجواب عما ظاهره قسرية الهداية

ومن الوجوه التي يمكن أن تذكر:

١- عرضها على كتاب الله

الوجه الأول: عرض هذه الروايات وأشباهاها على الكتاب فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقٌّ حَقِيقَةً وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُورًا فَمَا وَافَقَ كِتَابَ

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) الاختصاص: ص ٢٨٨.

(٣) معاني الأخبار: ١٤٠٣ هـ، ص ٢.

اللَّهِ فَخَذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ»^(١)، وورد أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَا لَمْ يُوَافِقْ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ فَهُوَ زُخْرُفٌ»^(٢)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثَانِ مُخْتَلِفَانِ فَأَعْرِضُوهُمَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخَذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَارُدُّوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَأَعْرِضُوهُمَا عَلَى أَخْبَارِ الْعَامَّةِ فَمَا وَافَقَ أَخْبَارَهُمْ فَارُدُّوهُ وَمَا خَالَفَ أَخْبَارَهُمْ فَخَذُوهُ»^(٣).

وظاهره إرادية الدعوة والهداية

وعند عرض هذه الطائفة من الروايات على الكتاب نجدها مخالفة بظاهرها لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٤) و﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٥) حيث ورد فيهما الأمر بالدعوة والحض على التبليغ، وكذلك: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٦) و﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٧) وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٨) و﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٩).

(١) الكافي: ج ١ ص ٦٩.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٦٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١١٨.

(٤) سورة النحل: ١٢٥.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٦) سورة إبراهيم: ٥٢.

(٧) سورة النحل: ٨٢.

(٨) سورة النور: ٥٤.

فهذا من جهة وجوب الدعوة وإبلاغ رسالات الله للناس وإنذارهم وأمرهم بإطاعة الله تعالى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأيُّ معروف أعظم من الدعوة للتوحيد والنبوة والإمامة، وحيث كانت تلك الروايات مخالفة للكتاب وجب حملها على بعض المحامل وإن كانت على خلاف ظاهرها، وإلا للزم طرحها رأساً ولا وجه له مع إمكان الحمل على خلاف الظاهر للقربة القطعية.

وهي ما يُحلّ بالطولية

ومن جهة أخرى: يجب عرض هذه الروايات على الكتاب من حيث توهم قسرية الهداية والضلال إذ إن هذه الرواية وأشباهاها هي صغرى كبريات آيات كريمة قد يتوهم منها الجبر، والجواب عنها هو الجواب عنها، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(٢) و﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾^(٣) و﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٤).

وظاهر هذه الآيات إننا لسنا الزارعين بل: ﴿نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ بل وأقوى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، لكن وجه الحل بالطولية الذي هو صريح الآية الأخيرة: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إذ إن الله تعالى أعطانا القدرة والإرادة والمشية فنفعل الأشياء بها، ولكن مشيئتنا رغم ذلك هي تحت هيئته جل اسمه، فله أن يمنع تكويناً مشيئتنا عن النفوذ وله أن يسلبها أصلاً، لكنه سبحانه لمقتضيات الامتحان لا يفعل ذلك عادة أي إنه منحنا القدرة على الطاعة والمعصية وأعطانا الإرادة فإذا أطعنا كان بإرادتنا وإذا عصينا كان بإرادتنا أيضاً لكن ذلك كله تحت

(١) سورة لقمان: ١٧.

(٢) سورة الأنفال: ١٧.

(٣) سورة الواقعة: ٦٤.

(٤) سورة الإنسان: ٣٠.

سيطرته فلو شاء لمنع.

وقد وجه السيد الوالد رحمته أمثال هذه الآيات والروايات بأن إرادته جل اسمه هي: (على حسب ما قرره من القوانين) فمثلاً في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾^(١)، المراد أنه إن أراد أن يهديه بحسب ما قرره من السنن فمن سلك سبيل الهداية وأسلم نفسه لله هداه ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾^(٢)، هذا في الزيادة وأما في الأصل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾^(٣)، فلاحظ موقع باء السببية في ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ والأمر في الرواية كذلك: «فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوا عَبْدًا يُرِيدُ اللَّهُ ضَلَالَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوهُ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرْضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضِلُّوا عَبْدًا يُرِيدُ اللَّهُ هِدَايَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَضِلُّوهُ...» ف«يريد الله ضلالته» أي بحسب ما قرر من السنن، ومنها: إن من أكثر من المعاصي ران على قلبه فانحرف وضل وأضل وربما كفر، ومن أكثر من الطاعات كان ذلك سبباً لهديته بنحو العلة المعدّة.

٢ - طرحها؛ للإشكال سندياً فيها

الوجه الثاني: طرح هذه الروايات؛ وذلك للإشكال السندي فيها، فإن هذه الرواية مجهولة كما صرح به العلامة المجلسي، لكون بعض روايتها مجهولين وبعضهم مشترك، ولكن هذا الوجه قد يرد بتواترها الإجمالي أو المضموني، فتأمل!

(١) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٢) سورة مريم: ٧٦.

(٣) سورة يونس: ٩.

٣ - حملها على أنها قضية خارجية ومن التقية

الوجه الثالث: حملها على أنها قضية خارجية وليست حقيقية، ومن وجوه كونها خارجية أنها كانت صادرة تقية.

كلام العلامة المجلسي رحمته الله في مرآة العقول

قال العلامة المجلسي رحمته الله في مرآة العقول: (ويمكن الجمع بينها بوجوه: الأول:- حمل أخبار النهي على التقية والاتقاء على الشيعة، فإنهم لحرصهم على هداية الخلق ودخولهم في هذا الأمر كانوا يلقون أنفسهم في المهالك، ويحتجون على المخالفين بما يعود به الضرر العظيم عليهم وعلى أئمتهم عليهم السلام، كما كان من أمر هشام بن الحكم وأضرابه، فهوهم عن ذلك وأزالوا التوهم الذي صار سبباً لحرصهم في ذلك من قدرتهم على هداية الخلق بالمبالغة والاهتمام في الاحتجاج فيها، بأن الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب من قبل الله تعالى، ولو علم الله المصلحة في جبرهم على اختيار الحق لكان قادراً عليه ولفعل، فإذا لم يفعل الله ذلك لمنافاته للتكليف وغير ذلك من المصالح، فلم تتعرضون أنتم للمهالك، مع عدم قدرتكم عليه، وقد منع الله نبيه صلوات الله عليه من ذلك وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(١) وأما إظهار الحق فإنما يجب مع عدم التقية، مع أنه قد تبين الرشد من الغي وتمت الحجة عليهم بما رأوا من فضل الأئمة وعلمهم وورعهم وكمالهم، وفجور خلفائهم الجائرين وبغيهم، وانتشرت الأخبار الدالة على الحق بينهم، ويكفي ذلك لهدايتهم إن كانوا قابلين، ولإتمام الحجة عليهم إن كانوا متعنتين)^(٢).

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليهم السلام: ج ٢ ص ٢٤٣.

مؤيدات للتقية في الرواية

ويمكن تأييد كلام العلامة المجلسي رحمته بوجوه:

منها: إن كلمة (الناس) في مصطلح الروايات، كما هو مقتضى تحقيق بعض الأعلام، يراد به أهل العامة، لا عامة الناس ولا ما يشمل الكفار والمسيحيين واليهود، فيدل تخصيص الكفّ عن الدعوة بهم، على أن في أهل العامة خصوصيةً وليست إلا التقية إذ كان المذهب الرسمي هو مذهب أهل العامة وكانوا على عدااء شديد مع أهل البيت عليهم السلام وكانت دعوة أهل العامة للتشيع تعد جريمة سياسية خطيرة.

ومنها: ورود كلمة (أمركم) فإن (الأمر) في (هذا الأمر) ظاهر في أن المراد به أمر التشيع وأما (أمركم) فهو صريح في ذلك إذ لا يقال (أمركم) إلا في مقابل العامة ولم نجد إطلاق أمركم في مقابل الكفار مثلاً.

وهناك وجوه ومحامل عديدة لهذه الرواية وأمثالها، ذكرها العلامة المجلسي

طاب ثراه في مرآة العقول، فراجع!

اهدنا الصراط المستقيم

الفصل الثاني

بحث عن (الصراط)

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

من البصائر: (الصراط المستقيم) هدف أو وسيلة؟

قد يُواجه المتدبر في هذه الآية الكريمة، بتساؤل هام عن الوجه في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مع أن الصراط هو الطريق والطريق مقصود لغيره، وذو الطريق هو المقصود لذاته، وبعبارة أخرى: الطريق مقدمة وذو المقدمة هو المطلوب لذاته، فكان الأولى أن تُطلب الهداية للهدف والغاية بدل أن تطلب للمقدمة إليها فإن هذا الطلب: (طلب الهداية للطريق والمقدمة) وإن صح لكنه لا يكون إلا بلحاظ الغاية والهدف وذو الطريق!

الجواب: الأقسام ثلاثة

ويمكن الجواب عن ذلك بوجه دقيق يبتني على مبحث مبني هام، وهو: إن المعروف هو تقسيم الأمور إلى مقدمة وإلى ذي المقدمة، والذي يتصوره البعض هو أن المنفصلة حقيقية، لكن التحقيق يقودنا إلى وجود قسم ثالث وهو ما كان مقدمة وذا المقدمة في الوقت نفسه أي ما كان مطلوباً لنفسه ومطلوباً لغيره وما كان هدفاً ووسيلة في الوقت ذاته، وطريقاً وغاية وهدفاً معاً جميعاً، وعليه فتكون الأقسام ثلاثة:

(١) سورة الفاتحة: ٦.

المتحمّض في المقدمة والآلية

الأول: ما هو متحمّض في جهة المقدمة أو الطريقة، وذلك كنصب السّلم للصعود على السطح فإنه لا موضوعية فيه أبداً، ولذا لو أمكنه الطيران للسطح بآلة أو القفز إليه بالمظلة فرضاً بدون مؤونة زائدة أو مضاعفات سلبية لما كان للسّلم حينئذٍ قيمة أبداً.

المتحمّض في المطلوبة الذاتية

الثاني: ما هو متحمّض في جهة الغائية أي ما كان مطلوباً لذاته لا لمقدمته لشيء آخر (وإن أمكن أن يقع مقدمة أيضاً لكنه وقع مورد الطلب نظراً للجهة الأولى بالأساس) وذلك كالإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته، فإنه مطلوب لذاته فحتى لو لم يردعه ذلك عن المعصية فإنه مطلوب نفسي ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، نعم لا شك في أن المؤمن بالله مع تجنبه معاصيه أفضل من المؤمن فقط، لكنّ القصد هو أن الإيمان به تعالى مطلوب نفسي بل هو أسمى الغايات والأهداف؛ وبذلك أيضاً يظهر الفرق بين شخصين كلاهما يخدم الناس ويتجنب أمثال الرشوة والغش والخداع والتدليس والظلم والإيذاء، لكن أحدهما يؤمن بالله ورسوله والآخر يكفر بهما فإن المؤمن المتقي العامل أفضل من الكافر غير العامل بلا شك، وليس ذلك من منظار المسلم المسلم فقط بل حتى من منظار العلم والعقل إذ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)؟ فمن يعلم قوانين الطبيعة والفيزياء والكيمياء ويعمل بها أشرف ممن يعمل بها من دون علم بلا شك، بل العامل

(١) سورة النساء: ١١٦.

(٢) سورة الزمر: ٩.

العالم بها عن اجتهاد أفضل من العامل العالم عن تقليد.

الجامع للجهتين

الثالث: ما هو جامع للجهتين بأن يكون مطلوباً لذاته ومطلوباً لغيره، وذلك إنما يكون إذا كانت في ذاته مصلحة ملزمة وكان أيضاً مقدمة لغاية ذات مصلحة ملزمة أهم أو حتى مساوية له في الأهمية، فيكون هدفاً من جهة ووسيلة من جهة أخرى فهو هدف لأنه حامل للمصلحة بذاته وهو وسيلة لأنه مقدمة للوصول إلى غاية أخرى، ولنمثل لذلك بمثالين:

أ- تعلم العلم

الأول: تعلم العلم فإن العلم مطلوب لذاته كما هو مطلوب لغيره إذ العلم (كعلم العقائد والفقهاء والأصول، وعلم الطب والهندسة، وعلم الكيمياء والفيزياء) كمالٌ وفضيلة في حد ذاته ولذا كان العالم أشرف من الجاهل حتى إذا كان العالم مثلاً مسجوناً في طامورة تحت الأرض بحيث لا يُتَنفَع بعلمه أبداً إلا أنه في حد ذاته أشرف من الجاهل وإن كان طليقاً.

وجه أفضلية الزهراء عليها السلام على الإمام الصادق عليه السلام

وهذا ما يفسر به أفضلية مثل السيدة الصديقة الزهراء عليها السلام على الأئمة الأطهار عليهم السلام وسائر الخلائق رغم أن قتلها في عمر الورود وهي ذات ثماني عشرة سنة حال دون الكثير الكثير جداً من عطاءاتها للبشرية فكيف تكون أفضل من الإمام الصادق عليه السلام مثلاً وقد طبقت علومه الدنيا؟

والجواب واضح وهو: إن القيمة قيمتان: قيمة ذاتية وغيرية، والأشخاص - كما الأشياء - تتفاضل بقيمتها الذاتية أولاً وبالذات، ألا ترى أن الذهب أفضل

وأشرف من الفضة وهما أشرف من التراب، في حد ذاتها؟ وكذلك الإمام الكاظم عليه السلام الذي كان مضطهداً مغلولاً في ظلم المطامير وبطون السجون لسنوات قيل إنها بلغت ١٤ عاماً فهل أنقص ذلك من قيمته شيئاً؟ كلا ثم كلا.

ب- حبّ الله والرسول والآل عليهم السلام

الثاني: الحب، فإنه كذلك؛ ألا ترى أن حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأنبياء والأئمة عليهم السلام له الموضوعية في حد ذاته (وإن كانت له الطريقية أيضاً) ولذا ورد في الحديث: «حُبُّ عَلِيِّ عليه السلام حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ...»^(١).

كيف يكون «حُبُّ عَلِيِّ عليه السلام حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ»؟

وقد اعترض أحد الطلاب على أحد العلماء بأن هذا غير معقول فأجابه العالم قائلاً: سألك سؤالين فأجب عنهما وستعرف وجه الحقيقة بوضوح!
قال: تفضل! فقال:

السؤال الأول: ألا تعتقد بالشق الأول من الحديث وهو «حُبُّ عَلِيِّ عليه السلام حَسَنَةٌ»؟ فقال الطالب: نعم فإنه قد وردت الروايات من كتب الفريقين بذلك. (بل ورد أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ...»^(٢)) وقال عليه السلام: «لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَضِي فَأَنْقَضِي عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا

(١) عوالي اللآئى: ج ٤ ص ٨٦.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٣١٩.

يُبَغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»^(١) ^(٢) فلا شك في أن حبَّ عليٍّ عليه السلام حسنة كما أن حبَّ رسول الله حسنة، ولكن الإشكال في الشق الثاني: «لَا تَصُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةً؟» فقال العالم: إذا أجب على السؤال الثاني: ألم يقل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٣)؟

فقال الطالب: نعم! فقال العالم: إذا حب علي حسنة بنص الروايات فهذه هي الصغرى، و﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ بنص الآية فهذه الكبرى، فأين وجه الاعتراض!

ولا يعني ذلك الإغراء بالمعصية أبداً

أقول: وإن ذلك لكذلك، ولا يعني ذلك إغراء الناس بالمعاصي إذ كما أن الاستغفار يحو الذنوب فكذلك حب الرسول والآل عليهم السلام، وكما أن الله إذ اعتبر الاستغفار ماحياً للذنوب لم يكن مشجعاً لهم بذلك على المعصية فكذلك إذا اعتبر حب الرسول والآل عليهم السلام ماحياً للذنوب.

نعم يبقى أن الذنب تكمن خطورته في أنه يترك أثراً وضعياً على المحبة فمن يذنب ثم يذنب ثم يذنب فإنه يخشى أن تُفقد ذنوبه المتتالية محبته لله تعالى والرسول عليه السلام والأمير عليه السلام، فيكون إيمانه مستعاراً لا مستقراً، بل حتى من يذنب الذنب الواحد فلا يستهين به إذ قد يجره إلى ثانٍ فثالثٍ فرباعٍ حتى يفقده إيمانه والعياذ بالله، بل إن الذنب الواحد مما يترك أثراً على المحبة والتعلق القلبي والفكري والنفسي والروحي بقدره ولذا نجد أن من نظر إلى المرأة الأجنبية لا سمح الله فإن رغبته في الصلاة ومناجاة الرب وحضور قلبه في الصلاة يقل أو

(١) نهج البلاغة ص ٤٧٧.

(٢) ما بين القوسين إضافة توضيحية منا.

(٣) سورة هود: ١١٤.

ينعدم وقد تقفز صورتها إلى ذهنه وهو وسط الصلاة أو الدعاء أو الزيارة فتسلبه

خشوعه بالمرّة، وما أعظم تلك من خسارة!

تَعْصِي الإِلهِ وَأَنْتِ تُظَهِّرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَحِبُّ مُطِيعٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتِ لَشَكْرٍ ذَاكَ مُضِيعٌ

وقد فصلنا الكلام حول ذلك وحول أصل الإشكال والجواب في كتاب

(شعاع من نور فاطمة)، فراجع!

وموطن الشاهد هو أن العلم والحب، كل منهما مطلوب لذاته لما فيهما من

الشرف الذاتي والمطلوبية الذاتية وقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) و﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٢) و﴿هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ﴾^(٣)

كما أنهما مطلوبان طريقياً أيضاً فإن حب الله طريق إلى إطااعته أيضاً وإلى تجنب

معاصيه، كما ظهر مما سبق أن حبه طريق لجهة أخرى وهي محو ذنوبه أيضاً،

فالحب إذاً: ١- ذو قيمة ذاتية. ٢- كما أنه طريق إلى محو الذنوب الماضية. ٣- كما

أنه طريق مشجع للالتزام بالطاعات والعبادات؛ فإنه على قدر المحبة تزداد

الإطاعة والمودة.

وكذلك العلم فإن الطالب الجامعي يدرس ليتخرج ليتوظف لينفق على

عياله، فتعلّمه مطلوب وكمال وفضيلة كما هو مقدمة لغاية أخرى وهي صون

ماء الوجه وحفظ النفس والإنفاق على الأهل والعيال.

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ٧٩.

ج - الركض نحو الجامعة!

بل ويمكن التمثيل لذلك بمثال عرفي معروف وهو الركض كرياضة من الرياضات فإنه مطلوب لذاته لما فيه من المصلحة إذ به يحافظ المرء على صحته الجسدية والنفسية والعقلية أيضاً فهو مطلوب نفسي بما هو هو (أي المصلحة كامنة فيه) فإذا ركض باتجاه المدرسة أو الجامعة كي يصل إليها في الموعد المحدد فإنه يكون مطلوباً غيرياً أيضاً.

وجه جديد لكون الثواب على نفس المشي لزيارة الحسين عليه السلام
وبذلك تنحلّ عقدة معروفة وشبهة طرحها صاحب الكفاية وهي أن الأجر يكون على ذي المقدمة لأنه المأمور به والمطلوب وحامل المصلحة، وعليه فلا معنى لأن يؤجر الإنسان على المقدمة لأنها لا مصلحة فيها أبداً، وعليه: فكيف نفس الأجر العظيم المذكور للمشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مثلاً؟ فإن المشي طريقي مقدمي، فأجاب: بأنه إما من باب أن خير الأعمال أحزمها أو من باب التفضل الإلهي المحض والصرف.

ولكن التحقيق غير ذلك وهو يعتمد على هذه المقدمة التي أشرنا إليها، وهي أن من الأشياء ما هو جامع للجهتين: الطريقية والموضوعية، إذ تكون فيه في حد ذاته المصلحة كما أنه مقدمة لأمر آخر فيه المصلحة أيضاً كما سبق من مثال العلم والحب لله، والمشى لزيارة الإمام الحسين عليه السلام هو كذلك، فإنه من جهة مقدمة للزيارة فالغاية هي الزيارة وهي الهدف وهي الحامل للمصلحة، ولكن ومن جهة أخرى فإنه مطلوب لذاته أي إن المطلوب ليس فقط (المشي لزيارة الإمام عليه السلام) بل المطلوب أيضاً (المشي في طريق زيارة الإمام عليه السلام) فإذا فرض أن شخصاً لا يستطيع الزيارة وأمكنه فقط أن يمشي خطوات مع (المشاية) فإن فيها

الثواب أيضاً^(١)، وهذا جواب آخر نضيفه إلى أجوبة أخرى ذكرناها في ذلك المبحث. وتحقيق هذا الجواب مع الأخذ والرد فيه موكول لذلك الموطن. و(الصراط المستقيم) هو من هذا القسم الثالث فإنه مطلوب لنفسه ومطلوب لغيره، وهو غاية وهدف وهو في الوقت نفسه وسيلة، وهو الحامل للمصلحة بذاته كما أنه طريق للوصول إلى ما فيه المصلحة، فافهم يا من رعاك الله واغتنم!.

معاني الصراط المستقيم

ويظهر ذلك أكثر بالتدبر في المعاني التي ذكرت للصراط المستقيم والمعاني وهي:

أولاً: القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو الصراط المستقيم، كما فسرت به بعض الروايات فقد ورد عن الحارث الأعور قال: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ سَمِعْنَا الَّذِي نَشُدُّ بِهِ دِينَنَا^(٢)، وَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ سَمِعْنَا أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةً مَغْمُوسَةً، لَا نَدْرِي مَا هِيَ؟! قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوْ قَدْ فَعَلُوهَا؟!»^(٣).

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، سَتَكُونُ فِي أُمَّتِكَ فِتْنَةً. قُلْتُ: فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ فَقَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ بَيَانُ مَا قَبْلَكُمْ مِنْ خَبْرٍ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ

(١) حتى إن لم يقصد الزيارة، بل قصد مجرد الكون مع المشاية والزيارة معهم.

(٢) أي من نصائح وإرشادات ومواعظ وحكم وترغيب في الثواب وترهيب من العقاب.

(٣) لعل المراد: بغضبهم الخلافة، أو بتجريهم على تفسير كتاب الله وتأويله بغير علم ولا هدى.

مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلَ، مَنْ وَليهِ مِنْ جَبَّارٍ فَعَمَلٌ بغيرِهِ قَصَمَهُ اللهُ^(١)، وَمَنْ التَّمَسَّ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَيْلُ اللهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، لَا تُزِيغُهُ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْسِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبِهِ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ.

هُوَ الَّذِي لَمْ تُكِنِّهِ الْجِنَّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾^(٢) مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، هُوَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣) ^(٤).

فإنه - القرآن الكريم - مطلوب لذاته فإنه المقصد والغاية كما هو مطلوب لغيره فإنه الطريق إلى الله تعالى، ولذلك تجد أن تلاوة القرآن في حد ذاتها لها الثواب، وكذلك حفظه أو النظر إليه، ثم بعد ذلك فإن العمل به له ثواب آخر، فتلاوته فيها المصلحة كما أنه من جهة أخرى مقدمة للعمل كما أنه من جهة ثالثة مقرب إلى الله تعالى.

ثانياً: الأنبياء والمرسلون والأئمة الميامين

إن الأنبياء والأئمة عليهم السلام هم الصراط المستقيم.

أما الأنبياء فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في تفسير هذه الآية العياشي: عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله:

(١) كالظلمة العاملين بالظلم والاستبداد، وقد رأينا كيف قصم الله كثيراً منهم في الربيع العربي، والباقي في الطريق بإذن الله تعالى.

(٢) سورة الجن: ١-٢.

(٣) سورة فصلت: ٤٢.

(٤) البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١٥-١٦.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، فَقَالَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ لِشَيْءٍ فِيهَا الْقَوْلُ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ مِنْ عَلَيَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ مِنْ كَنْزِ الْعَرْشِ، فِيهَا:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْآيَةُ الَّتِي يَقُولُ [فِيهَا]: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دَعَايَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حِينَ شَكَرُوا اللَّهَ حُسْنَ الثَّوَابِ. ﴿وَمَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قَالَ جِبْرِئِيلُ: مَا قَالَهَا مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا صَدَقَهُ اللَّهُ وَأَهْلُ سَمَاوَاتِهِ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَفْضَلُ مَا طَلَّبَ بِهِ الْعِبَادُ حَوَائِجَهُمْ.

﴿هُدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الْيَهُودُ وَ(وَالَّذِينَ ضَلَّوْا) النَّصَارَى. (١).
وَأَمَّا الْأُئِمَّةُ ﷺ فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُمْ: «نَحْنُ وَاللَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» (٢).

ثالثاً: أمير المؤمنين ﷺ ومعرفته

إن (الصراط المستقيم) «هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَمَعْرِفَتُهُ» (٣) كما ورد في الرواية، فنفس الأنبياء والأئمة ﷺ وعلى مقدمتهم أمير المؤمنين ﷺ صراط مستقيم فهم بذاتهم «الْأُدْلَاءُ عَلَى اللَّهِ...» (٤)، وهم مطلوبون لذاتهم كما هم

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢ / وفي (البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١١٥).

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٦٦.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣٢.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٥٧٨.

مطلوبون لأنهم المقربون إلى الله تعالى، ويوضح ذلك إن برّ الوالدين بين مستحب وواجب حتى إذا كانا كافرين فإذا كانا مؤمنين كانت لبرهما جهتان: أ- بما هما والدان. ب- وبما هما والدان مؤمنان، والأنبياء والأئمة عليهم السلام حيث كانوا وسائط الفيض وجب شكرهم وطلب رضاهم من هذه الجهة كما وجب شكرهم لكونهم الطرق إلى الله تعالى.

ولأنه عليه السلام وسائر المعصومين (الصراط المستقيم) لذلك كان قول المعصوم حجة وفعله وتقريره أيضاً، فإنها بأجمعها صراط مستقيم؛ ولذلك كان ما سنّه النبي صلى الله عليه وآله واجب الإتيان مثل ما فرضه الله^(١)، وقد أوضحنا في كتاب (الحجة معانيها ومصاديقها) إن ذات المعصوم ونفسه هي حجة لا قوله وفعله وتقريره فقط فراجع وجه تصوير ذلك هنالك.

والحاصل: إن نفس معرفة أمير المؤمنين عليه السلام كمال بل هي من أسمى الكمالات ولذلك نجد أن كل من ازداد بمقاماته وفضائله ومناقبه وعلومه ومواقفه معرفةً ازداد كمالاً ومنزلةً عند الله تعالى ولديهم أيضاً، ومعرفته، من جهة أخرى، طريق إلى معرفة الله تعالى ومقربة إليه.

رابعاً: حبّ محمد وآله عليهم السلام

كما ورد عن ابن عباس قوله في تفسير الآية (حب محمد وآله) فحبهم موضوعي - طريقي كما أوضحنا ذلك أيضاً.

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) وقال جل اسمه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٣) وفي مقابل الصراط المستقيم تقع

(١) راجع (المعاريف والتورية) وغيرها.

(٢) سورة الفاتحة: ٦.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٣.

السبل كما سبق إذ يقول تعالى مثلاً: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾. ومن أهم سبل الضلال ما ذكره تعالى بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ * وَأَتَّبَعْنَا هُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿١﴾.

من بصائر النور في آية الصراط المستقيم

ولنتوقف أخيراً عند بصيرة قرآنية هامة في آية الصراط المستقيم فنقول: إن مفردة (الصراط) تحتل موقعاً شديداً الأهمية في هذه الآية الكريمة لخصوصيتها وفرادتها وتمييزها على سائر المفردات المضارعة والمشابهة، ومن تلك المفردات (الطريق) فان الصراط كما فسروه يعني (الطريق).

لماذا (الصراط) وليس (الطريق)؟

ولكن لماذا لم يقل جل اسمه (اهدنا الطريق المستقيم) مع أن الطريق مفردة واضحة جلية الدلالة والمعنى؟

وعندما نتدبر ونتفكر في الأسباب والعلل المحتملة الآتية فإننا سنكتشف جانباً من تجليات عظمة القرآن الكريم وبعض أسرار إعجازه في انتقاء الكلمات، بنحو مذهل، ويمكننا ههنا الإشارة إلى بعض ما يخطر بالبال من العلل المطروحة على ساحة البحث والتحليل:

(الصراط) تحمل إراثاً تاريخياً وكنزاً من البطون

أولاً: لأن كلمة (الصراط) تحمل إراثاً تاريخياً وتستبطن كنزاً من البطون والمضامين والدلالات.

ثانياً: لأن كلمة (الصراط) تحيط بها هالة من الإبهام، بحيث تتناسب مع

تعلق مفردة (إهدنا) بها، تماماً.

ثالثاً: لأنها لا مثني لها من لفظها ولا جمع لها، مما يستشتم منه أن الصراط ذاتية الوحدة والتفرد.
وتوضيح ذلك:

اللغويون: الصراط يعني: البلع والازدراء!

١- إن الخزين التاريخي المعرفي الذي يكتنزه (الصراط) يتضح عبر إلقاء نظرة سريعة على ما ذكره اللغويون في مفردة الصراط ومناقشته على ضوء علم فقه اللغة، فقد ذكروا:

(سراط: سَرَطَ الطَّعَامَ وَالشَّيْءَ، بِالْكَسْرِ، سَرَطًا وَسَرَطَانًا: بَلَعَهُ، وَاسْتَرَطَهُ وَازْدَرَدَهُ: ابْتَلَعَهُ، وَلَا يَجُوزُ سَرَطٌ؛ وَاسْتَرَطَ الشَّيْءَ فِي حَلْقِهِ: سَارَ فِيهِ سَيْرًا سَهْلًا. وَالْمَسْرَطُ وَالْمَسْرَطُ: الْبَلْعُومُ، وَالصَّادُ لُغَةٌ. وَالسَّرَوَاتُ: الْأَكُولُ؛ عَنِ السَّيرَافِيِّ. وَالسَّرَاطِيُّ وَالسَّرَوْتُ: الَّذِي يَسْتَرِطُ كُلَّ شَيْءٍ يَبْتَلَعُهُ. وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ: رَجُلٌ سَرَطِمٌ وَسَرَطِمٌ يَبْتَلَعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ مِنَ الْإِسْتِرَاطِ... وَفِي الْمَثَلِ: لَا تَكُنْ حَلُوءًا فَتَسْتَرِطَ، وَلَا مَرًّا فَتَعْقَى، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَعْقَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَرَلْتَهُ مِنْ فِيكَ لِمَرَاتِهِ كَمَا يُقَالُ أَشَكَيْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَرَلْتَهُ عَمَا يَشْكُوهُ. وَرَجُلٌ سَرَطِيطٌ وَسَرَطٌ وَسَرَطَانٌ: جَيِّدُ اللَّقْمِ. وَفَرَسٌ سَرَطٌ وَسَرَطَانٌ: كَأَنَّهُ يَسْتَرِطُ الْجَرِي. وَسَيْفٌ سَرَاطٌ وَسَرَاطِيٌّ: قَاطِعٌ يَمْرُ فِي الضَّرْبَةِ كَأَنَّهُ يَسْتَرِطُ كُلَّ شَيْءٍ يَلْتَمُهُ.

والسَّراطُ: السَّبِيلُ الْوَاضِحُ، وَالصَّرَاطُ لُغَةٌ فِي السَّرَاطِ، وَالصَّادُ أَعْلَى لِمَكَانِ الْمُضَارَعَةِ، وَإِنْ كَانَتْ السَّيْنُ هِيَ الْأَصْلُ، وَقَرَأَهَا يَعْقُوبُ بِالسَّيْنِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ ثَبَّتْنَا عَلَى الْمِنْهَاجِ الْوَاضِحِ؛ وَقَالَ جَرِيرٌ:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ، ... إِذَا أَعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ

والموارد: الطُّرُقُ إِلَى الْمَاءِ، وَاحِدَتَهَا مَوْرِدَةٌ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَنَفَرٌ مِنْ بَلْعَبِرٍ يَصِيرُونَ السَّيْنَ، إِذَا كَانَتْ مُقَدِّمَةً ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا طَاءٌ أَوْ قَافٌ أَوْ غَيْنٌ أَوْ خَاءٌ، صَادًا وَذَلِكَ أَنَّ الطَّاءَ حَرْفٌ تَضَعُ فِيهِ لِسَانُكَ فِي حَنَكِكَ فَيَنْطَبِقُ بِهِ الصَّوْتُ، فَقَلَبْتَ السَّيْنَ صَادًا صُورَتَهَا صُورَةَ الطَّاءِ، وَاسْتَخَفُّوْهَا لِيَكُونَ الْمَخْرَجُ وَاحِدًا كَمَا اسْتَخَفُّوا الْإِدْغَامَ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ الصَّرَاطُ وَالسَّرَاطُ، قَالَ: وَهِيَ بِالْصَّادِ لُغَةٌ قَرِيشٍ...^(١).

فهؤلاء يرون أن الصراط هي بالأصل السراط ثم ؛نهم فسروا السراط بالابتلاع والازدرداد كما يقال سرت الطعام إذا بلعه واسترطت الطعام إذا ازدردته، وسمي الطريق صراطاً لأنه يبتلع سالكه أو لأن سالكه يبتلعه!

قال الراغب في مفرداته: (السَّرَاطُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَسْهَلُ، أَصْلُهُ مِنْ: سَرَطْتُ الطَّعَامَ وَزَرَدْتَهُ: ابْتَلَعْتَهُ، فَقِيلَ: سِرَاطٌ، تَصَوُّراً أَنَّهُ يَبْتَلَعُهُ سَالِكُهُ، أَوْ يَبْتَلَعُ سَالِكُهُ، أَلَّا تَرَى أَنَّهُ قِيلَ: قَتَلَ أَرْضًا عَالِمَهَا، وَقَتَلَتْ أَرْضٌ جَاهِلَهَا، وَعَلَى النَّظَرِينِ قَالَ أَبُو تَمَامٍ:

رَعَتْهُ الْفِيَاثِي بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً... رَعَاهَا وَمَاءُ الْمُزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ^(٢).

أقول: الوجه فيه: إن الراكب على جواد أو في سيارة مسرعة مثلاً فإنه إذا نظر أمامه إلى الأرض فإنه يخيل إليه أن السيارة تبتلع الأرض لسرعة طيها من تحته، أو إن الناظر من بعيد أو من علّ إذا رأى الراكب أو الماشي في الطريق يبتعد رويداً رويداً حتى يختفي فكأنه يستشعر أن الطريق قد ابتلعه!

وبعبارة أخرى: كما أن ابتلاع الطعام يتضمن مروراً للطعام من الفم إلى الحلق والحنجرة والمريء واختفائه، كذلك السائر في الطريق فإنه يذهب فيه

(١) لسان العرب: ج ٧ ص ٣٥٣.

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني مع ملاحظات العاملي: ص ٣٨٨.

إلى أن يختفي.

وقال في معجم مقاييس اللغة: (سرط: السين والراء والطاء أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُّ على غيبةٍ في مرٍّ وذهاب. من ذلك: سرطت الطعام، إذا بلعته؛ لأنَّه إذا سرط غاب. وبعضُ أهل العلم يقول: السُّراط مشتقٌّ من ذلك، لأنَّ الذاهِبَ فيه يعيب غيبةَ الطعام المُستَرط)^(١).

المناقشة: أ- الصراط كلمة من الإرث الإبراهيمي ﷺ

ولكن الظاهر أن ذلك ليس بالصحيح وان الصراط ليس من مادة سرط ولا ان معناه انه يسترط المارة وبيتلعها أو المارة تسترطه وتزدرده! فذلك تكلف واضح واجتهاد حدسي لا دليل عليه وهو مبني على مجرد تقارب الحروف في الكلمتين.

والصحيح هو: إن (الصراط) هي مفردة من إرث الأديان الإبراهيمية وإن هذه الكلمة كانت مجهولة لدى قريش إذ ضاعت كما ضاعت الكثير من معالم ديانة إبراهيم ﷺ، وحيث وجدوها قريبة من سرط توهموا أنها هي! بل نطقوها بالسين أيضاً! وعلى الرغم من أن الكتابة في القرآن الكريم هي بالصاد ولكننا نجدهم يضعون سينا فوقها إشارة إلى أنها بالأصل سين! وهو اجتهاد غريب.

ويكفينا دليلاً على ما ذكرناه أن بعض اللغويين^(٢) نص على أنها: (وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب، قال: وعامة العرب تجعلها سينا)^(٣) كما جاء في لسان العرب.

والظاهر حجية نقل خبراء اللغة في مثل ذلك، كما فصلناه في كتاب (حجية

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٣ ص ١٥٢.

(٢) كالفرء مثلاً.

(٣) لسان العرب: ج ٧ ص ٣٥٤.

مراسيل الثقات المعتمدة)، ويكون نطق العرب للصاد بالسين توهماً منهم فإنهم حيث لم يجدوها بالصاد في لغتهم توهموا أن (الصراط) هو (السرط) مع أنه اجتهاد عقلي في أمر نقلي محض.

وعلى ذلك فالظاهر أن الصراط في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قد ذكر لأنها مفردة جاءت في الديانة الإبراهيمية (عليه وعلى نبينا وآله السلام) فتشير - فيما تشير - إلى أن الإسلام الذي جاء به الرسول المصطفى محمد ﷺ هو الصراط المستقيم الذي أرشد إليه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وأن صراط الله تعالى على امتداد تاريخ البشر هو صراط واحد مستقيم في أصوله وأسسهِ وقواعده وإن كان مما يتكامل في أحكامه وتفصيله. ولعله يمكن استنباط ذلك من بعض الآيات الأخرى كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(١) وإن كان ظاهرها المعنى لا اللفظ خاصة ولا اللفظ والمعنى، فتدبر!

ب- الصراط فيه نوع إبهام، فناسب (أهدنا)

ومن ذلك يظهر وجه احتمال آخر لاختيار كلمة (الصراط) وهي إن فيه، كما ظهر من البحث اللغوي الآنف، نوعاً من الإبهام في نفس اللفظ كما أن فيه نوعاً من الإبهام في ذاته لذا احتاج إلى مرشد من السماء إذ لا يعرف الناس الصراط المستقيم عادة إلا برسل مبعوثين من قبل الله تعالى فاحتاج الصراط الإلهي إلى هداية ربانية، فبذلك يكون عالم الإثبات قد طابق عالم الثبوت ويكون فيه إشارة خفية إلى أنه كما أن الصراط في لفظه تجهله قريش فكذلك هو في مصداقه وجوهره فاحتاج إلى الاستعانة بالله تعالى بالقول بصدق وإخلاص: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

(١) سورة الأنعام: ١٦١ .

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٥٠﴾.

ج- لامثنى للصراط، عكس الطريق

إن الصراط لا مثنى له من لفظه ولا جمع، عكس الطريق والسبيل، ولذا نجد - وكما سبق - إن القرآن الكريم لم يأت بشنية أو جمع للصراط أبداً بل حيث وجب أن يذكر مقابلاً للصراط لم يذكر الصراطات مثلاً بل ذكر السبل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(١).

وذلك يستبطن دلالة أخرى أيضاً وهي إن الصراط واحد ولا يمكن أن تكون هناك صراطات مستقيمة! فكما أن الله تعالى (أحد) لا شريك له كذلك (الصراط) واحد^(٢) لا ثاني له! فكأنها تفيد أن الصراط ذاتية التفرد والوحدة! وذلك هو ما يؤكد حديث الفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة فإن مضمونه يمكن أن يعضد بمثل هذه الآية القرآنية الكريمة.

د- الصراط أعم من الطريق والغاية

إن الطريق يقع في مقابل ذي الطريق أو الغاية أو الهدف وهي (المدينة) أو (السعادة) مثلاً، عكس الصراط فإنه يعم الطريق وذا الطريق جميعاً، ولعل ذلك من النوادر أو الغرائب وذلك لأن (للثنائيات) المتضادة في واقعها، أسماء متباينة أيضاً، فمثلاً (المقدمة وذو المقدمة) فإنها ثنائية متضادة إذ المقدمة بما هي مقدمة مغايرة لذي المقدمة بما هو ذو المقدمة، ولذلك وضع لكل منهما اسم أو صفة فوضع عنوان المقدمة لها وأما ذوها فوضع له عنوان الغاية أو الهدف أو ذو المقدمة، وكذلك ثنائية الانتزاعي ومنشأ الانتزاع كالأربعة والزوجية فإنه لا يطلق

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) تلاحظ الدقة في تغيير أحد إلى واحد.

على أحدهما وصف الآخر، وهذه هي القاعدة العامة في الثنائيات ومنها المقام فإن لنا غاية ولنا طريق إلى الغاية فالغاية هي معرفة الله تعالى والطريق إليها هو التفكير والتدبر في القرآن الكريم مثلاً، ولكن الصراط لعله الاستثناء الوحيد الذي يطلق على الطريق وعلى ذي الطريق أيضاً فكل منهما صراط مستقيم فإن القرآن الكريم مثلاً صراط مستقيم ومعرفة وحدانية الله تعالى وعدله ورحمته صراط مستقيم أيضاً مع أن الأول طريق إلى الثاني، والإمام المعصوم عليه السلام بنفسه هو صراط مستقيم كما أن معرفته صراط مستقيم كما أن حبه أيضاً صراط مستقيم مع أن الأخيرين هما في طول الأول ومع أن المعرفة تقع طريقاً إلى المحبة وقد يصح العكس أيضاً.

وقد دلت على ذلك الروايات أيضاً، فقد ورد في تعريف الصراط

المستقيم:

- «الطريق ومعرفة الإمام»^(١) فالطريق إلى معرفة الإمام صراط، ومعرفته

هي صراط؛ فإن الظاهر أنه ليس من العطف البياني.

- «صِرَاطَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

- «نَحْنُ وَاللَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»^(٣).

كما قيل إنه:

- (حب محمد وآله).

فهم عليه السلام بأنفسهم صراط مستقيم وحبهم صراط مستقيم ومعرفتهم

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢ / وفي (البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١١٥).

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٦٦.

صراط مستقيم وصراتهم وصراط الأنبياء والطريق إليهم صراط مستقيم؛
وذلك من الأسرار المحتملة في وجه اختيار مفردة الصراط، والتي يمكن أن
نقول إنه لا يشبهها في ذلك إلا (الدين) نفسه، حيث إنه يعم الطريق وذا
الطريق أيضاً!

اهدنا الصراط المستقيم

الفصل الثالث

بحث عن (الاستقامة)

من بصائر النور في آية الصراط المستقيم

من البصائر الجوهرية في الآية الكريمة التي ينبغي أن تستوقف الباحث طويلاً، استكشاف السرّ في اختيار مفردة (المستقيم) كوصف للصراط ودلالاتها والمضامين التي يمكن أن تكتنزها هذه المفردة القرآنية الكريمة، ذلك أنه كان من الممكن أن يقال مثلاً (أهدنا الصراط القويم أو القائم) فلماذا اختيار المفردة من تصاريف باب الاستفعال؟

المحتملات في معنى المستقيم

لعل بعض السرّ في ذلك ينجلي باستعراض المحتملات في تفسير مفردة (المستقيم) فان المحتملات بدواً حسب النظر القاصر هي ثلاثة:

أ - المراد به المجرد (القويم)

الأول: إن باب الاستفعال قد يأتي ليفيد معنى المجرد، فمثلاً استقرّ يفيد معنى قرّ فإنه لا يراد به أنه طلب القرار والاستقرار بل إنه يستعمل عادة ويراد به أنه قرّ بالفعل، كما قال الشاعر:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

ولكن لو كان المراد هذا المعنى من (المستقيم) أي كان المراد منه هو نفس

فعل المجرد، لكان من غير المبرر الخروج عن صيغة المجرد إلى باب الاستفعال، فإن القاعدة هي أن هذه التصاريف إنما وضعت لتدل على معنى إضافي زائداً على ما تفيده مادة الكلمة الأصلية، والخروج عنها إلى إرادة المجرد خلاف الأصل، على أنه قليل بل نادر إذ ندر استعمال الاستفعال في معنى المجرد.

ب - المراد به المطاوعة

الثاني: إن باب الاستفعال قد يأتي ليفيد معنى المطاوعة، فمثلاً تقول: (أدرته فاستدار)، فإن المجيء بصيغة الاستفعال ههنا إنما هو ليفيد المطاوعة والتجارب والانفعال عما فعلته، وكان من الممكن أن يقال: (أدرته فدار)، لكنه يكون حينئذٍ خالياً عن نكهة المطاوعة، وكذلك تقول: (أرحته فاستراح)، فإنه لا يراد به أنه طلب الراحة كما هو الأصل في باب الاستفعال بل المراد أنه طوعك في الاستراحة وانقاد لك واستجاب.

فقد يقال إن الوجه في التعبير في الآية الشريفة بـ ﴿الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ هو الإشارة إلى جنبه المطاوعة في الصراط ووجه الاستقامة فيه وإنه هو وجود علة فاعلية له، إذ تقول مثلاً: اقمته فاستقام، فذلك يفيد أن هناك علة لاستقامة الصراط هي التي بها كان الصراط مستقيماً فليس هو مستقيماً بذاته بل هو مستقيم بفعل فاعل وهو الله تعالى فكأنه قيل أهدنا الصراط الذي أقمته يا ربنا فاستقام، وكأن ذلك يستبطن التعليل في لزوم إتباعه فإنه إذا كان الخالق جل اسمه هو الذي أقام الصراط فاستقام فإن من الطبيعي أن علينا حينئذٍ المطاوعة والانقياد والمشية على الصراط المستقيم: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

(١) سورة الملك: ٢٢.

بل إن ذلك يتناغم مع طلب الهداية في صدر الآية الكريمة إذ تقول :
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فحيث إن الصراط هو الذي أقامه الله تعالى فاستقام
بفعله تعالى فإن من اللازم أن نطلب من الله تعالى الهداية إليه ؛ إذ ليس بمقدورنا
أن نستكشف حقائق أفعال الله تعالى وكيفياتها وأغراضها وحدودها إلا منه جل
اسمه ، فإنه حيث كان جل اسمه هو الذي أقام الصراط على كيفية خاصة
ولأهداف محددة وبضوابط معينة فاستقام عليها فإن علينا أن نطلب منه الهداية إلى
ذلك كله والتي لا تكون - طبعياً - إلا عبر الأنبياء والرسل والأوصياء ؛ إذ لا
يوجد - وكما هو واضح - اتصال مباشر بيننا وبين إله الأرض والسماء ، يكفل لنا
إيضاح ذلك إلا عبر الرسل والأوصياء .

ج - المراد به الطلب (طلب القيام والثبات والاستقامة)

الثالث: إن باب الاستفعال يأتي للدلالة على طلب الفعل ، وهذا هو
الأصل فيه والموضوع له ، فمثلاً تقول : إِسْتَغْفَرَ اللهُ تعالى أي أنه طلب غفرانه
لذنبه أو استخراج الذهب من المعدن أي طلب خروجه ، وإن كان قد يراد به
إخراج الذهب منه .

ولكن هذا المعنى قد يقال بانه لا معنى لفرضه في الآية الكريمة إذ الصراط
ليس مما يطلب القيام والقوام ، بل هو مما يوصف بالقيام أو القائم ، نعم يوصف
به الإنسان باعتباره مدرِكاً شاعراً إذ يقال : إنسان مستقيم فقد يراد به المجرد
ومعنى القيام ، وقد يراد به انه طالب للقيام والثبات والاستقامة ؛ كما تقول :
إنسان مستثمِر أي طالب للثمرة والاستثمار ، وشخص مستعمِر أي طالب
للإعمار والعمران ، وشركة مستخرِجة للذهب أي طالبة لخروجه ، وذلك لأن
الإنسان مدرِك شاعر فيصدق عليه أنه يطلب كذا ، أما الصراط فهو غير مدرِك

ولا شاعر لذا لا يصح وصفه بأنه طالب للقيام والقوام والاستقامة كي يوصف بأنه مستقيم بطلب وإرادة وشعور منه.

وصف الصراط بالمستقيم مع أنه لا إدراك له!

ولكنّ النظر الفاحص يقودنا إلى صحة وصف الصراط بالمستقيم وإرادة المعنى الأوّلي الموضوع له لباب الاستفعال منه، وذلك لأن الصراط المستقيم فُسر في الروايات وكما سبق بتفسيرات:

الأول: قال الإمام الصادق عليه السلام: «نَحْنُ وَاللَّهِ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»^(١).

الثاني: «الطريق ومعرفة الإمام»^(٢) كما في رواية أخرى.

الثالث: «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(٣) حسب رواية ثالثة:

أولاً: لأن المراد به المعصومون عليهم السلام

فأما المعنى الأول للصراط وهو الأئمة الأطهار عليهم السلام وكذلك الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، فإن من الواضح صحة نسبة الاستقامة بمعنى طلب الثبات والقيام إليهم، وذلك لأن كل نعمة فمن الله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٥) فإن أصل وجود الممكن من الله تعالى، والرسول والأئمة من الممكنات والمخلوقات لله تعالى كما هو بديهي، كما أن اتصافه بصفاته من الله تعالى أيضاً فإنها ممكنة وليست

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٦٦.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٢٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٢ / وفي (البرهان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١١٥).

(٤) سورة النحل: ٥٣.

(٥) سورة الإسراء: ٧٤.

بواجبة الوجود، وبعبارة أخرى: لا هي واجبة الوجود ولا هي من ذاتي باب البرهان ليكون ثبوتها لذيها ضرورياً، على أن مطلق ذاتي باب البرهان محتاج للفاعل بحاجة ذيه إليه فيوجد بوجوده فهو محتاج إلى جعل ولو بالواسطة.

بل يقول تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١) و﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢).

والحاصل: إن الرسل والأنبياء والأوصياء عليهم السلام يطلبون الثبات على الطريق والاستقامة على الدين القويم من الله تعالى، وعندما نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يراد به - حسب هذا المعنى الأول - أهدنا إلى الأئمة والأنبياء والرسل عليهم السلام الذين هم الصراط المستقيم إلى الله تعالى أي الذين هم صراط مستقيم بمشيئة الله تعالى وباستجابته لطلبهم إذ طلبوا منه الاستقامة والثبات على الصراط المستقيم الذي يراد به في تفسير آخر وإطلاق آخر (دينه) جل اسمه فهذا (وهو هم) صراط وذاك (وهو دينهم) صراط، وهما طولياً موصولان لله تعالى.

ثانياً: لأن الطريق، ككل مخلوق، مدرك شاعر

وأما المعنى الثاني: وهو (الطريق) والثالث هو (صراط الأنبياء) فقد يتوهم أن التعبير بالمستقيم عن الطريق نفسه (أو عن الصراط) مع إرادة المعنى الحقيقي للاستفعال مما لا يمكن إذ لا شعور للطريق ولا إدراك كي يطلب الثبات والاستقامة، وعليه فلا محالة يجب ان يفسر ذلك بلسان الحال لا بلسان القال.

ولكن ذلك غير صحيح؛ وذلك لأن من الثابت أن كل شيء شاعر مدرك قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَقْفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

(١) سورة الأنفال: ١٧.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠.

حَلِيمًا غَفُورًا^(١) والملفت في الآية والصارخ أيضاً أن الله تعالى يَسْمُنَا نحن بالقصور والجهل ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ كي لا نقول بأن المراد من تسبيحهم أنه مجاز أي أنه بلسان الحال! فيقول جل اسمه - ما مضمونه -: إن كل شيء يسبح لكنك أنت لا تفهم! أما إذا كان المراد التسييح بلسان الحال فهو مجاز لا غموض فيه ولا مجال للاستنكار عليه فلا معنى لتقريعنا باننا لا نفقه!

كما يدل على شعورها قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢) وهي ظاهرة من حيث مفردة ﴿عَرَضْنَا﴾ في المقصود؛ إذ لا يعرض الشيء على غير المدرك الشاعر فلا يقال عرضت على الحائط أن أصبغه مثلاً، كما هي صريحه من حيث مفردتي ﴿فَأَبَيْنَ﴾ و﴿وَأَشْفَقْنَ﴾.

وهذه الحقائق القرآنية تقمع غرور الإنسان إذ يتصور أنه العاقل والمدرك الوحيد وأنه أفضل المخلوقات! ولذا نجده تعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣) فالإنسان ليس أفضل خلائق الله كما يتوهمه الكثيرون بل هناك أفضل منه ولذا قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ وليس على الجميع والكل.

وعليه: فالطريق والصراط مدرك شاعر يطلب من الله تعالى الثبات على

القوامية والقيامية والاستقامة!

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٣) سورة الإسراء: ٧٠.

ماذا يعني ان يطلب الصراط الاستقامة؟

ولكن ماذا يعني أن يطلب الصراط الاستقامة؟ وما هو وجه ذلك؟
الجواب: أولاً: لأن الاستقامة ليست ذاتية له بل هي من الأعراض وكل ما كان كذلك فإنه بحاجة إلى جعل.

ثانياً: فلأن الاستقامة ليست هي الاستواء والسير على خط مستقيم بالضرورة، بل إن هذا هو المعنى الأولي أو الظاهري أو المادي للاستقامة؛ إذ قد يكون الصراط المستقيم هو المتعرج أو المتموج أو الحنيف: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ مِثْلَةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(١) فهو المائل عن سبيل المشركين أي بالمعنى الحسي المعهود، ولكنه المستقيم بالمعنى الحقيقي الآخر المنشود، وحيث كانت الاستقامة بالمعنى الآخر الأعمق، غامضة في كثير من الأحيان، وصعبة المرتقى، لذلك استدعت تأكيد طلبها من الله تعالى وإفاضتها آنأ فأن وموقفاً فموقف وحادثة فحادثة وهذه حقيقة في غاية الأهمية ومزيد توضيحها:

معاني الاستقامة

إن الاستقامة بمعنى الاستواء والسير على الخط المستقيم (بالمعنى المعهود) ليست مطلوبة لذاتها بل قد تكون هي الخطأ والضلال بعينه ويكون الهدى والرشاد في الاستقامة بمعنى آخر بل بمعاني أخرى أربعة وهي الاستقامة بلحاظ الغاية، والفاعل، والموضوع، والقابل.

أولاً: الاستقامة بلحاظ الغاية

ولنمهد لذلك بمثلين من عالم التكوين:

(١) سورة الأنعام: آية ١٦١.

الصواريخ الذكية

المثال الأول: الصواريخ الذكية، فإن هذا النوع من الصواريخ قيمته الحقيقية في أنه يتبع الهدف (وهو الطائرات الحربية المُنغرة على البلاد) بكل إلحاح وإصرار فمهما غيّرت الطائرة الحربية مسارها وتعرجت وارتفعت أو انخفضت فإنه يتبع نفس المسار المتعرج، وهذا يعني أن استقامة الصاروخ الذكي ليست في سيره في خط مستقيم بل إن استقامته واقعاً هي في سيره باتجاه الهدف فمهما استقام ومهما انحرف انحرف.

والسر إن الاستقامة بمعنى الاستواء ليست هدفاً ولا مطلوباً لذاته بل إنما قيمة الطريق هي بالايصال إلى المقصد والغاية فحينئذ يكون طريقاً وإلا كان مضلّةً ومُنزلقاً ومتهماً، وعليه: فطريقة الطريق هي بأن يوصل للهدف فقد يجب أن يكون متعرجاً حينئذ فيكون هو المستقيم حقاً وإن كان غير مستقيم بالمقياس المادي الظاهري لكونه متعرجاً، وقد يجب أن يكون مستقيماً بالمعنى المعهود لأنه الموصل للهدف.

الطرق الجبلية

المثال الثاني: الطرق الجبلية الضيقة المتعرجة المنحرفة الملتوية التي تستدير باستدارة الجبل وتعرج بتعرجه، وهنا نشهد بوضوح أن المستقيم بالمعنى المعهود أي السير في خط مستوٍ هو غير المستقيم واقعاً إذ به الهلاك والضلال والسقوط في أسفل الوادي السحيق، وبالعكس فإن المستقيم بالمعنى الحقيقي هو الانحراف بانحراف الجبل والالتواء مع التواءاته.

السرفي التعبير بـ «يدور حينثما دار»

ومن هنا نفهم بعض السرفي في قوله والله أعلم: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ»

يَدُورُ حَيْثُمَا دَارَ»^(١) بل المذهل هو التعبير بـ«يدور» و«حيثما دار» وعدم التعبير بالمعهود كالقول بأنه يمشي معه على خط مستقيم أو أنه يواصل سيره معه في خط مستقيم أو شبه ذلك ، والسر هو إن الغاية هي الملاك والمقياس فقد تقتضي الدوران وقد تقتضي الاستقامة بالمعنى المعهود.

وهذا هو الذي لم يفهمه الخوارج من (علي صلوات الله عليه) حيث توهموا أنه كان يجب عليه أن يمشي على خط مستقيم ويرفض (التحكيم) مهما بلغ الأمر ، كما غفل الجهال من أسلافهم إذ اعترضوا على صلح الحديبية ، غافلين عن أن الهدى (وهو رضا الله تعالى) قد لا يكون في ذلك ، فمثلاً: قد يكون الصراط المستقيم في الحركة وقد يكون في الجمود والسكون وقد ورد «كُونُوا أَحْلَاسَ بِيُوتِكُمْ»^(٢) فقد تكون الثورة هي الصراط المستقيم كما صنع أبو الأحرار وسيد الشهداء عليه السلام وقد تكون الهدنة هي الصراط المستقيم كما صنع السبط الأكبر عليه السلام وقد تكون المعاهدة أو حتى التحالف.

ومن هنا يتأكد أن الصراط المستقيم بلحاظ الغاية لا يتطابق بالضرورة مع الصراط المستقيم بلحاظ نفس صفة الاستقامة الحسية الظاهرية.

لأن علياً عليه السلام صَمَتَ وَسَكَنَ إِذْ وَجِبَا وَنَهَضَ وَنَطَقَ إِذْ لَزِمَا

ومن هنا نفهم أيضاً السرّ في عظمة علي عليه السلام حيث إنه صمت إذ وجب الصمت ونطق إذ وجب النطق ، ونعرف أنه كان في قمة البطولة والشجاعة والشموخ والتسليم لأمر الله تعالى والرضا بقضائه والصبر على بلائه إذ شهد هجوم الأعداء على الصديقة الزهراء عليها السلام ولم يقاتلهم مع أنه كان بمقدوره أن

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٤٣٢.

(٢) الغيبة: ص ١٩٦.

يزلزل بنيانهم ويجندل أبطالهم كما جندل أسلافهم من قبل ، فذلك لأنه (قيّده وصية من أخيه) فقد ورد :

عَنْ عَيْسَى بْنِ الْمُسْتَفَادِ أَبِي مُوسَى الضَّرِيرِ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَلَيْسَ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَاتِبَ الْوَصِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَمْلُوعِ عَلَيْهِ وَجَبْرَيْلُ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شُهُودٌ؟ قَالَ : فَأُطْرُقُ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ قَدْ كَانَ مَا قُلْتَ وَلَكِنْ حِينَ نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأَمْرُ نَزَلَتْ الْوَصِيَّةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كِتَابًا مُسَجَّلًا نَزَلَ بِهِ جَبْرَيْلُ مَعَ أَمْنَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ جَبْرَيْلُ : يَا مُحَمَّدُ مَرِّ بِأَخْرَاجِ مَنْ عِنْدَكَ إِلَّا وَصِيكَ لِيَقْبِضَهَا مِنَّا وَتَشْهَدْنَا بِدَفْعِكَ إِيَّاهَا إِلَيْهِ ضَامِنًا لَهَا - يَعْنِي عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَخْرَاجِ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مَا خَلَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَاطِمَةَ فِيمَا بَيْنَ السِّتْرِ وَالْبَابِ .

فَقَالَ جَبْرَيْلُ : يَا مُحَمَّدُ رَبِّكَ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ هَذَا كِتَابٌ مَا كُنْتُ عَهَدْتُ إِلَيْكَ وَشَرَطْتُ عَلَيْكَ وَشَهِدْتُ بِهَ عَلَيْكَ وَأَشْهَدْتُ بِهَ عَلَيْكَ مَلَائِكَتِي وَكَفَى بِي يَا مُحَمَّدُ شَهِيدًا . قَالَ : فَارْتَعَدْتُ مَفَاصِلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا جَبْرَيْلُ رَبِّي هُوَ السَّلَامُ وَمِنَهُ السَّلَامُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَامُ صَدَقَ عِزُّ وَجَلَّ وَبَرَّ هَاتِ الْكِتَابَ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِدَفْعِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : اقْرَأْهُ فَقَرَأَهُ حَرْفًا حَرْفًا فَقَالَ : يَا عَلِيُّ هَذَا عَهْدُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيَّ وَشَرَطُهُ عَلَيَّ وَأَمَانَتُهُ وَقَدْ بَلَغْتُ وَنَصَحْتُ وَأَدَيْتُ ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَنَا أَشْهَدُ لَكَ بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ بِالْبَلَاغِ وَالنَّصِيحَةِ وَالتَّصَدِيقِ عَلَى مَا قُلْتَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِهَ سَمْعِي وَبَصْرِي وَلَحْمِي وَدَمِي ، فَقَالَ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَنَا لَكُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا عَلِيُّ أَخَذْتَ وَصِيَّتِي وَعَرَفْتَهَا وَضَمِنْتَ لِلَّهِ وَلِيَّ الْوَفَاءَ بِمَا فِيهَا ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَعَمْ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي عَلَيَّ ضَمَانُهَا وَعَلَى اللَّهِ عَوْنِي وَتَوْفِيقِي عَلَى أَدَائِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا عَلِيُّ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْهَدَ

عَلَيْكَ بِمُؤَافَاتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ أَشْهَدُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ جَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ الْآنَ وَهَمَا حَاضِرَانِ مَعَهُمَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ لِأَشْهَدَهُمْ عَلَيْكَ، فَقَالَ نَعَمْ لِيَشْهَدُوا وَأَنَا بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَشْهَدُهُمْ فَأَشْهَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَمْرِ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ قَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ تَقِي بِمَا فِيهَا مِنْ مَوَالَاةٍ مِنْ وَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْبِرَاءَةِ وَالْعَدَاوَةِ لِمَنْ عَادَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ عَلَى الصَّبْرِ مِنْكَ وَعَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَعَلَى ذَهَابِ حَقِّي وَغَضَبِ خُمْسِكَ وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِكَ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَقَدْ سَمِعْتُ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ عَرَفَهُ أَنَّهُ يَنْتَهِكُ الْحَرَمَةَ وَهِيَ حَرَمَةُ اللَّهِ وَحَرَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى أَنْ تُخْضَبَ لِحْيَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ بِدَمٍ عَيْطٍ، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَصَعِقْتُ حِينَ فَهَمْتُ الْكَلِمَةَ مِنَ الْأَمِينِ جَبْرَيْلَ حَتَّى سَقَطْتُ عَلَى وَجْهِي وَقُلْتُ: نَعَمْ قَبْلْتُ وَرَضِيْتُ وَإِنْ انْتَهَكْتَ الْحَرَمَةَ وَعَطَلْتَ السَّنَنَ وَمَزَقَ الْكِتَابَ وَهَدَمْتَ الْكَعْبَةَ وَخَضَبْتَ لِحْيَتِي مِنْ رَأْسِي بِدَمٍ عَيْطٍ صَابِرًا مُحْتَسِبًا أَبَدًا حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَأَعْلَمَهُمْ مِثْلَ مَا أَعْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالُوا مِثْلَ قَوْلِهِ، فَخُتِمَتِ الْوَصِيَّةُ بِخَوَاتِيمٍ مِنْ ذَهَبٍ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ وَدُفِعَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَلَا تَذَكُرُ مَا كَانَ فِي الْوَصِيَّةِ؟ فَقَالَ: سُنَنُ اللَّهِ وَسُنَنُ رَسُولِهِ. فَقُلْتُ: أَلَا كَانَ فِي الْوَصِيَّةِ تَوْثِيحُهُمْ وَخِلَافُهُمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ شَيْئًا شَيْئًا وَحَرْفًا حَرْفًا أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا

قَدَّمُوا وَأَثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ وَاللَّهُ لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَلَيْسَ قَدْ فَهَمْتُمَا مَا تَقَدَّمْتُ بِهِ إِلَيْكُمَا وَقَبِلْتُمَاهُ فَقَالَا
بَلَى وَصَبَرْنَا عَلَى مَا سَاءَنَا وَغَاظَنَا ﴿١﴾.

إذاً كان ﷺ مأموراً بالصبر؛ الصبر المرّ على الفاجعة العظمى، وما
أصعب أن يصبر المرء على الهجوم على زوجته أمامه فكيف إذا كانت الزوجة
وديعة رسول الله ﷺ؟ وكيف إذا كان الزوج أسد الله الغالب وقاتل عمرو بن ودّ
ومرحب والقادر على نفس الأعداء نسفاً؟

إن كل ذلك يكشف عن أعلى درجات إيمانه ﷺ وعن منتهى طاعته لله
تعالى وعن أعظم وأروع درجات الاستقامة الحقيقية على طريق رضا الخالق
وتحصيل رضاه؛ فكانت الاستقامة ههنا تعني بالضبط عكس مفهوم الاستقامة
البدائي لدى البسطاء الذين يتصوروها في اثارها حرباً طاحنة، وليكن بعدها
ما يكون!

إن الغيرة والحمية والشجاعة قيم أساسية لكنها جميعاً يجب أن تخضع
لـ(الحكمة) ولمشيئة المبدأ الأعلى جل وعلا وللغاية الأسمى، وبتعبير آخر هي قيم
إضافية أو نسبية.

وبتعبير آخر: الغيرة على أصل الدين هي الأسبق رتبة من الغيرة على
الأشخاص مهما بلغت منزلتهم ورتبتهم، ولذلك قال أمير المؤمنين لفاطمة
الزهراء عليها السلام ما مضمونه أنه إذا أرادت أن يستمر صوت الشهادة بأن: (محمداً
رسول الله) يصدح على المآذن أبد الدهر، فلتصبر.. وكانت هي روعي فداها
عامة بذلك، لكنهما أرادا إبلاغنا تلك الحقائق المرة عبر هذا الطريق والحوار.

وتتضح القيمة النسبية للغيرة والحمية أكثر عند التدبر في الرواية التالية، فقد ورد: «غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ»^(١) والمتعلق في الغيرتين مختلف، والمقصود أن غيرة الرجل على امرأته بما يصون دينها وعرضها إيمان، وغيرة المرأة على زوجها بما تتفجر معه قوتها الغضبية ضد ما أباحه الله له، كفر أي إنه كفر بالقانون الإلهي.

النحو والمنطق أو الفقه؟

ومن الأمثلة على الاستقامة بلحاظ الغاية: إن رجل الدين قد ينشغل بدراسة النحو والصرف والمنطق وغيرها ثم يكتشف أنه قد توغل فيها بما ضيَّع عليه الهدف الأسمى وأخرجها من جهة الطريقة إلى الموضوعية ومن الآلية إلى الاستقلالية فهنا عليه أن يصحح المسار ويغيِّره بلحاظ الغاية وهي علم الفقه الذي كانت كل تلك المقدمات مجرد طريق لاستنطاق الأدلة وتطويعها في عملية الاستنباط للحكم الشرعي الكلي الفرعي الإلهي.

الفقه أو العقائد؟

والأوضح من ذلك إن طالب العلم أو العالم لو رأى وفرةً في دروس الفقه والأصول وندرةً في دروس العقائد، فإن عليه أن يصحح المسار فيترك حتى تدريس الخارج ليتفرغ لحفظ عقائد الناس وصدِّ الهجمات الثقافية والفكرية والعقدية وردِّ الشبهات المتموجة في المجتمع يوماً بعد يوماً أكثر فأكثر.

وذلك يعني ان الصراط المستقيم ليس بالضرورة في ان يستمر في تدريس الفقه والأصول، بل قد يكون كذلك، وقد يكون في تركهما، وقد يكون في تنصيف الجهد وتنويعه.

(١) نهج البلاغة: ص ٤٩١.

ومن هنا نصل إلى قاعدة هامة هي الفيصل في النزاع الممتد على امتداد التاريخ بين الحداثة والأصالة، إذ كثيراً ما يسأل: هل الأصل هو التغيير والتجديد أو الأصل هو السكون والتجميد؟ وهل علينا أن نتبنى أصالة الجمود والسكون؟ أم أصالة الانطلاق والحركة والنهوض؟ والجواب المنبثق من مبدأ (الغاية)^(١): أنه كلا، فلا هذا ولا ذلك!، بل الأصل هو (الحكمة)، وقد قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٢) و﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣) فقد تقتضي الحكمة التي تعني وضع الأشياء في مواضعها، ومنها عدم تضييع الأهم بسبب التثبث بالمهم، التجديد والعصرنة وقد تقتضي الرجعية والتثبث بالماضي أو ببعض قيمه وأساليبه.

وبكلمة: فإن الصراط المستقيم لا يعني أن تبقى مصرّاً على الاستمرار في نفس الدرب السابق حتى:

أ - إذا تغيرت الأهداف الوسطى أو الآنية نظراً لمقتضيات باب التزاحم فصار هدفك السابق هو الحاجز الأكبر عن الهدف الأعظم فإنه «لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضُرَّتْ بِالْفَرَائِضِ»^(٤).

ب - أو اكتشفت أهدافاً أعظم.

ج - أو بان لك استحالة الوصول إلى الهدف المنشود فكان اللازم تصحيح المسار باتجاه هدف آخر يعوّضك عما حرّمته لدى العجز عن الهدف الأول.

(١) أي الغاية الصحيحة الأهم، وليس الغاية الباطلة أو الصحيحة المرجوحة، والأخيرتان مذمومتان وهما اللتان يعبر عنها بـ(الغاية لا تبرر الوسيلة).

(٢) سورة لقمان: ١٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٤) نهج البلاغة: ص ٤٧٥.

ثانياً: الاستقامة بلحاظ الفاعل

وقد يكون المدار في الاستقامة والانحراف هو (الفاعل) لا (العمل نفسه) وهذا يعني أن (العمل) قد يشكّل تارة خط الاستقامة وأخرى خط الانحراف إذا ما وقع بالضد من إرادة الفاعل الذي إليه يرجع الأمر ومشيتته.

إن الله يغضب لغضب فاطمة عليها السلام

ومن أبرز وأهم النماذج على ذلك قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»^(١) و«يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى لِرِضَاهَا وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهَا»^(٢) وذلك يتضح جيداً ويندفع عنده استغراب البعض عندما تنتقل إلى مثال آخر أقرب إلى الأفهام وهو (رضا الوالدين أو سخطهما) فإن (العمل المباح) كالخروج إلى الشارع أو السوق قد يتحول إلى عمل محرم إذا كان فيه إيذاءً لأحد الوالدين وقد يكون واجباً إذا كان تركه السبب في إيذائهما كذلك.

وبذلك يظهر أن الصراط المستقيم في الأعمال لا يدور دائماً مدار حسنها وقبحها ومصالحتها ومفسدتها أو خلوها من ذلك كله، بل قد يدور مدار النسبة إلى الفاعل وإلى رضاه ومشيتته أو سخطه وكراهته، وهنا يتجلى لنا أكثر عمق معنى الحديثين «عَلَيَّْ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيِّ يَدُورُ حَيْثَمَا دَارَ» و«يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى لِرِضَاهَا وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهَا» إذ يكون:

أ - الحق مع علي يدور حيثما دار علي.

ب - كما يكون علي مع الحق يدور معه حيثما دار.

ج - ويكون رضى الله مترتباً على رضى فاطمة.

(١) الأماي: ص ٤٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٣٤.

د - وسخطه لاحقاً لسخطها.

فليس المدار والملاك والمقياس هو العمل فقط وإلا لكان كل أحد كذلك إذ يدور رضا الله مدار الصلاة والصوم والحج ونظائرها ويدور سخطه مدار الغضب والسرقة وشرب الخمر وأشباهها، من أي أحد صدر ذلك على درجات في مراتب الأشخاص والأعمال، لكن الخصيصة التي في فاطمة عليها السلام هي إن رضا الله يدور مدار رضاها ولم يقل إن رضا الله يدور مدار أعمالها الصالحة وإلا لكان التخصيص أشبه باللغو إذ إن كل أحد فإن رضا الله يدور مدار عمله الصالح^(١).

والأعمال الصالحة لا تقبل إلا بالتوحيد والولاية

ويؤكد ذلك أيضاً الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على أن الأعمال الصالحة لا تقبل إلا بالإيمان بالله تعالى والرسول ﷺ والولاية لأهل بيته عليهم السلام فرغم أن العمل صالح إلا أن انتسابه إلى الموحد أو المسلم أو الموالي وصدوره منه هو ملاك القبول، ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) و﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾^(٣) و﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(٤) مع أنهم قد يعملون أعمالاً صالحة كثيرة و﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الظَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٥) وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ

(١) وللحديث وجه آخر، فتدبر.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

(٣) سورة الفرقان: ٢٣.

(٤) سورة النساء: ١٤٥.

(٥) سورة الحج: ٣١.

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(١) وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^(٢) فبدون الإيمان بإمامة أمير المؤمنين والأئمة من بنيه عليهم السلام لا يرضى الله الإسلام ديناً من أحد.

وقال عليه السلام: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(٣) فلو لم يقلها لم يفلح وإن عمل الصالحات وقال عليه السلام: «أَسْلِمَ تَسَلَّمَ أَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ»^(٤).
وقال الشاعر مقتبساً المضمون من الآيات والروايات السابقة وغيرها:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً	وودّ كلّ نبيّ مرسلٍ وولي
وصام ما صام صوماً بلا ضجر	وقام ما قام قواماً بلا ملل
وحجّ ما حجّ من فرضٍ ومن سنن	وطاف بالبيت حافٍ غير منتعل
وطار في الجوّ لا يأوي إلى أحدٍ	وغاص في البحر مأموناً من البلل
يكسو اليتامى من الدياج كلّهم	ويطعم الجائعين البرّ بالعسل
وعاش في الناس آفاً مؤلفاً	عارٍ من الذنب معصوماً من الزلل
ما كان في الحشر عند الله مُتفعاً	إلّا بحبّ أمير المؤمنين علي

نعم، يثبته الله تعالى على أعماله الصالحة، في الدنيا، بالشهرة أو المال أو الرياسة أو غير ذلك.

لا يقال: كثير من الناس جاهلون بالحق؟

إذ يقال: الجاهل القاصر يعاد امتحانه يوم القيامة فإن نجح استحق الجنة

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ج ١ ص ٥٥.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٦.

وإن عاند استحق العقاب كما أراد.

والحاصل: إن الانتفاع يوم القيامة، بالأعمال الصالحة، متوقف على الإيمان بالله والرسول والأئمة عليهم السلام وكما أنه لا مجال لاستغراب عدم قبول أعمال الكافر بالله أو المنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله (عن علم وعمد أو عن تقصير) كذلك لا مجال لاستغراب عدم قبول أعمال المنكر للأئمة عليهم السلام (عن علم وعمد أو عن تقصير).

وقد فصلنا الكلام عن ذلك في كتاب (شعاع من نور فاطمة عليها السلام دراسة عن القيمة الذاتية لمحبة فاطمة الزهراء عليها السلام) فراجع.

رضا المالك هو المقياس، لا المصالح والمفاسد

ويشهد لذلك كله المثال الآتي: وهو إن (رضا المالك) هو المقياس في صحة العمل وكونه مباحاً جائزاً أو كونه باطلاً محرماً، فالطريق المستقيم، إذا كنت في ملكٍ للغير، هو الحركة على حسب رضاه، والطريق المنحرف هو الحركة المستوجبة لسخطه، وذلك في دائرة اللاقتضائيات طبعاً، فمثلاً: لو دخلت دار الغير فأجاز لك الجلوس في هذه الغرفة أو تلك الزاوية جاز لك ذلك وإذا حظر عليك ذلك حرم، فالأمر منوط برضاه وسخطه لا بالمصلحة والمفسدة القائمتين بك، فلو كانت مصلحتك في أن تجلس في هذه الزاوية أو الركن لكونه الأجمل والأكثر تفرجاً للهّم لكونه مشرفاً على حديقة غناء مثلاً، لكن المالك لم يرض بذلك فإنه حرام لأنه غصب وتصرف في ملك الغير بدون رضاه، فالمدار في الاستقامة على جادة الشرع والعقل والعدل، هو على رضا المالك وليس المدار على المصلحة والمفسدة في المتعلق أصلاً، نعم لا يمكن للمالك أن يحلل الحرام أو يوجب الحلال من قبل نفسه.

ثالثاً: الاستقامة بلحاظ الموضوع

فإن الموضوع قد يتغير فيتغير معه الحكم ويتغير معه مصداق الاستقامة على جادة الشرع، ولنضرب لذلك أمثلة:

أ- المعدود إذا صار مكيلاً أو موزوناً، فإنه يحرم حينئذ بيعه متفاضلاً، والعكس بالعكس، فلو كان البيض مثلاً يباع بالعدد جاز بيع بيضة جيدة بيضتين رديئتين، ولو صار بعد ذلك موزوناً حرم ذلك، فالطريق المستقيم هو الحرمة تارة والجواز أخرى حسب تغير عرف البلد في الموضوع، وليس خطأ ثابتاً واحداً متصلاً لا يتزحج.

ب- إذا تحوّلت بعض الألحان المستخدمة في المدائح أو المراثي إلى ألحان أهل الفسوق بأن اقتبسوها وأكثروا منها وهجرها الرواديد بحيث عدّ عرفاً إنه من الغناء وألحان أهل الفسوق والمجون، حرم قراءة المدائح والمراثي بها، وبالعكس إذا كان طوراً أو لحناً من الألحان من الغناء عرفاً ومن ألحان أهل الفسوق ثم سقط عن كونه كذلك فرضاً، جاز.

ج- آلة اللهو، فلو كانت آلة من الآلات كـ(السامبلر) مثلاً متعددة الاستعمالات فليست حينئذ آلة لهو فتكون كالحاسوب الذي وإن أمكن نصب لوحة الشطرنج فيه واللعب به لكنه لأنه متعدد الاستخدامات فليس آلة لهو فيجوز بيعه وشراؤه، لكن (السامبلر) أو غيره لو تمحض بمرور الزمان في الاستعمالات اللهوية بحيث عدّ آلة لهو، حُرّم استعماله، فليست الاستقامة على جادة الشرع بتحريمه أبداً ولا بتحليله دائماً.

رابعاً: الاستقامة بلحاظ القابل

والقابل أيضاً له المدخلية التامة في استقامة هذا الأمر أو انحرافه، فقد تدور الاستقامة مداره فيكون الطريق المستقيم بلحاظ قابلٍ ما طريق ضلال وانحراف

وزيف ويكون بالنسبة لقابل آخر طريق هدى وصلاح:

فمثلاً: ورد في الحديث: «لَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتُظْلِمُوهَا وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتُظْلِمُوهُمْ...»^(١) فأعطاء الحكمة قبيح وظلم تارة وحسن وعدل تارة أخرى.

بذل العلم لغير أهله وكتمانه عن أهله

مثال آخر: ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم هو صراط مستقيم دون شك، ولكن لو كان القابل ممن لا يتحمل ذكر بعض مقاماتهم وكان - لضعف نفسه - لو ذكرت له يرتد - لا سمح الله - عن الدين أو يتهم لا سمح الله - الرسول أو الإمام بالكذب في دعوى اتصافهم بتلك الفضائل والمقامات، فإن ذكر تلك المقامات لذلك الشخص يكون محرماً حينئذٍ.

ولذلك ورد: «إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ»^(٢).

ووردت أحاديث عديدة في ذم بذل العلم واعطائه أو ذكر فضائلهم لمن لا يتحملها، والأمر بالعكس فيمن يتحمل فإن كتمان الفضائل عنه حرام إذا كان من دائرة الواجب الكفائي أو فرض فيما لو لم يذكرها لاندثرت، وذلك في بعض المراتب أو المصاديق مما لا شك فيه، فتدبر!

وتدل على أحد الطرفين أو كليهما الأحاديث التالية:

«إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا صُدُورٌ مَنِيرَةٌ أَوْ قُلُوبٌ سَلِيمَةٌ أَوْ أَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ»^(٣).

(١) أعلام الدين: ص ٣٣٦.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٨٠.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٠٨.

«وَحَالِطُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعَوْهُمْ مِمَّا يَنْكُرُونَ وَلَا تَحْمِلُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَيْنَا، إِنْ أَمَرْنَا صَعْبَ مُسْتَصْعَبٍ لَّا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُّقْرَبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ قَدِ امْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ»^(١).

«وَأَمَّا وَاللَّهِ إِنْ أَحَبَّ أَصْحَابِي إِلَيَّ أَوْرَعَهُمْ وَأَفْقَهُهُمْ وَأَكْتَمَهُمْ لِحَدِيثِنَا، وَإِنْ أَسْوَأَهُمْ عِنْدِي حَالًا وَأَمَقَّتَهُمْ إِلَيَّ الَّذِي إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ يَنْسِبُ إِلَيْنَا وَيُرْوَى عَنَّا فَلَمْ يَعْقِلْهُ وَلَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُهُ أَشْمَازَ مِنْهُ وَجَحَدَهُ وَكَفَرَ بِمَنْ دَانَ بِهِ وَهُوَ لَّا يَدْرِي لَعَلَّ الْحَدِيثَ مِنْ عِنْدِنَا خَرَجَ وَإِلَيْنَا أُسْنَدٌ فَيَكُونُ بِذَلِكَ خَارِجًا مِنْ وَلَائَتِنَا»^(٢).

وعن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: «ذَكَرَ التَّقِيَّةَ يَوْمًا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ وَلَقَدْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا فَمَا ظَنُّكُمْ بِسَائِرِ الْخَلْقِ.

إِنَّ عِلْمَ الْعَالِمِ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَّا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ أَوْ مَلَكٌ مُّقْرَبٌ أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ. قَالَ: وَإِنَّمَا صَارَ سَلْمَانُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فَلِذَلِكَ نَسَبَهُ [نَسَبَهُ] إِلَيْنَا»^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٤).

ومن هنا نعرف إحدى أهم مقاييس التقية فإنها تارة تكون بلحاظ الفاعل وأخرى تكون بلحاظ القابل، فهي من القضايا الخارجية لا الحقيقية بمعنى أنها قد تكون في ظرف ما ولشخص ما واجبة وقد تكون محرمة لشخص آخر أو لنفس

(١) الخصال: ج ٢ ص ٦٢٤.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٥٣٧.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٢٥.

(٤) سورة البقرة: ١٥٩.

الشخص في ظرف آخر، بل ذهب بعض الأعلام إلى تقسيمها إلى الأحكام الخمسة وان تنظر فيه بعض آخر^(١).

وورد «التَّقِيَّةُ فِي كُلِّ ضَرُورَةٍ وَصَاحِبُهَا أَعْلَمُ بِهَا حِينَ تَنْزِلُ بِهِ»^(٢).

(١) راجع كلام الشهيد عن التقية وكلام الشيخ الانصاري عنها.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢١٧.

اهدنا الصراط المستقيم

الفصل الرابع

بحث عن أنواع الأدلة والحجج

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١).

من البصائر: طرق الهداية متعددة مختلفة باختلاف الشاكلة

إن الهداية إلى الصراط المستقيم تارة تستند إلى البرهان العقلي، وأخرى إلى الحجة العقلانية، وثالثة إلى الدليل العلمي والرياضي، ورابعة إلى الطريق التجريبي، وهناك مصادر أخرى للهداية وموصلات ومداخل وطرق فصلنا الحديث عنها في كتاب (مدخل إلى علم العقائد)، والحديث ههنا يدور حول الطريق الثاني من الطرق الأربعة الأولى، إضافة إلى بعض الطرق الأخرى غير المعهودة في العلوم المتداولة.

والعبد عندما يسأل من ربه وبارئه أن يهديه إلى الصراط المستقيم فإنه لا يحدد في طلبه طريق الهداية بل يطلب ذات الهداية منه تعالى، أما الطريق فإن الله تعالى قد يرشد عبده إلى سبل محبته وشرائع دينه ومراتب رضاه وقربه، عبر آية واحدة من الطرق السابقة أو غيرها مما قد لا يدخل في أي تصنيف منطقي أو فلسفي.

هذا من جهة ومن جهة أخرى: فإن على المكلف أن يسلك الطرق التي تتناغم مع شاكلته النفسية وتركيبته العقلية فقد لا يجديه إلا برهان العقل وقد لا تنفعه إلا حجة العلم وقد لا يوصله إلا سلوك طريق العقلاء.

(١) سورة الفاتحة: ٦.

أنواع الأدلة إلى الله تعالى^(١): أ- الدليل العقلي

والدليل العقلي يراد به: الأدلة العقلية المحضة التي يدركها العقل بنفسه من غير توقف على علم أو تجربة أو غير ذلك، وذلك نظير ما مثلنا به من الاستدلال بمثل بطلان الدور والتسلسل على أن سلسلة عالم الإمكان وكافة الحوادث والمخلوقات تستند في وجودها إلى الصانع الواجب الوجود جل اسمه استناداً إلى أن ترجح أحد طرفي الممكن المتساوي النسبة للطرفين، بدون مرجح محال، وإن المرجح إن كان ممكناً احتاج إلى آخر وهكذا فإن وصلت السلسلة إلى واجب الوجود بالذات فهو المطلوب وإلا للزم أن لا يوجد مخلوق أصلاً؛ وذلك لأن حكم الكل هو حكم الآحاد وكما أن كل حلقة من حلقات سلسلة الممكنات الطولية تحتاج إلى علة وأنه لولاها لما وجدت فكذلك كل السلسلة المتكونة من حلقات ممكنة فإنها جميعها ممكنة (إذ لا يمكن أن يتركب الواجب من ممكنات إذ النتيجة تتبع اخس المقدمات) فإن لم يكن لها صانع واجب الوجود بالذات، لزم عدمها بأكملها ولزم ان لا يكون أي منها ومما نراه أو لا نراه موجوداً، والتالي باطل بالضرورة فالقدم مثله.

ولكن البرهان العقلي عادةً دقيق وعميق، ولعل أكثر الناس لا يدركونه أو إنهم إن ادركوه فإنهم لا يستطيعون الإجابة على أية شبهة تورده عليه، لذلك فتح الله تعالى الأبواب لأنماط أخرى من الاستدلال ومنها الدليل العقلاني - مورد البحث - .

ب- الدليل العقلاني

والدليل العقلاني يراد به: ما رأى العقلاء بما هم عقلاء طريقته إلى الواقع نوعاً، بمعنى أنهم ارتأوا أن كاشفيته الظنية النوعية عن الواقع تكفي دليلاً عليه من غير حاجة إلى الاستناد في ذلك إلى دليل عقلي قطعي، والأمثلة على ذلك كثيرة:

(١) وإلى سائر أصول الدين.

ومنها: حجية الظواهر كظواهر الأوامر وظواهر العمومات والمطلقات وغيرها، فإن حياة العقلاء تبتني عليها في كافة شؤون معاشهم ومعادهم، مع أنها ليست طرقاً قطعية نظراً لاحتمال الخلاف فيها، لكن العقلاء يعتمدون عليها باعتبارها ظنوناً غالبية المطابقة لواقع مرادات المتكلمين.

ومنها: حجية خبر الثقة، مع أن الثقات قد يخطئون بل قد يكذبون.

ومنها: حجية قول أهل الخبرة، كالطبيب والمحامي، مع أنه ما أكثر خطأهم وزللهم.

ومنها: حجية اليد فان العقلاء يرونها عادة امارة الملك.. إلى غير ذلك.

بل إن العقلاء يقتحمون في المخاطر والمهالك ولا يتحرزون عنها؛ وذلك استناداً إلى مجرد طرق ظنية قد تخطأ فتوقعهم في أشد المهالك والمفاسد؛ ألا ترى مثلاً أن التجار يقتحمون لجج البحار ويقطعون الفيافي والقفار ويركبون شتى المخاطر، لأجل الفوز بأرباح غير قطعية بل إنها حتى مع قطعيتها لا يمكن أن تكافئ مخاطر إزهاق الأرواح والنفوس وربما بأبشع الطرق: في أعماق البحار أو بين أنياب الضواري والمفترسات؟

إن معتمدتهم في ذلك كله على ظنون نوعية بسلامة الطريق، ولا غير.

ج-د- الدليل العلمي والدليل التجريبي

وأما الدليل العلمي فيراد به: الدليل الرياضي الذي تبتني عليه العلوم القطعية كالهندسة والحساب وشبه ذلك.

وأما الدليل التجريبي فهو: المعتمد على التجربة والتي لا تشكل في أحسن الفروض إلا استقراءً ناقصاً، وذلك كعلم الطب وشبهه، ومن الواضح أن التجارب وإن تكاثرت فإنها مما لا يمكن اصطياد قاعدة كلية عامة منها إلا إذا

أرجعت إلى الاستقراء المعلل، والاستقراء المعلل قسمان: ظني وقطعي، وكلاهما يرجع - في واقعه - إلى حكم العقل^(١)، فيخرج عن دائرة التجربة المحضه. وصفوة القول: إن (الهداية) لا تتوقف على الدليل العقلي فقط، بل إن الكثير من الناس يصلون إلى الحقائق وإلى الصراط المستقيم عبر الطرق العقلانية.

حجية الأدلة العقلانية في أصول الدين

وقد اختلف الأعلام في ذلك فقد ذهب المشهور، وادعى عليه الإجماع، إلى أن أصول الدين لا يصح فيها إلا التمسك بالبراهين اليقينية وأن الظنون المعتمدة ليست بحجة في دائرة أصول الدين، ولكن المختار هو الاكتفاء بها، كما ذهب إليه بعض الفقهاء، وقد نقل الشيخ الأنصاري رحمته ستة أقوال في المسألة فراجع.

الفيلسوف المعاصر پلانتيंगा في طريقه إلى الله تعالى

وقد كان الدليل العقلاني هو الذي قاد الكثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين إلى الله تعالى، بعد موجات التشكيك الكبرى التي عصفت بهم أو بالمجتمع، وكان من أولئك الفيلسوف المعاصر (ألوين پلانتيंगा) الذي ألف كتاباً باسم (الله والأذهان الأخرى): (God and Other Minds) حيث استدل على عدم الحاجة في إثبات وجود الله تعالى، إلى الدليل البرهاني القطعي، بدليل مبتكر عقلائي، ودليله المبتكر يعتمد على فرع من فروع الفلسفة التخصصية التي تبحث عن العلاقة بين فلسفة الدين والحاسوب (الكمبيوتر)، وهذا الفرع هو المسمى بـ(فلسفة الذهن) والذي من مسائله مسألة (الأذهان الأخرى).

(١) القطعي أو الظني، وقد حققنا في محله أن للعقل هذين النوعين من الأحكام، خلافاً للمشهور.

فلسفة الذهن والحاسوب والذكاء الصناعي، طريق آخر إلى الله

وتوضيح كلامه واستدلاله بإيجاز:

إن الفلسفة على قسمين: الفلسفة العامة أو المطلقة والفلسفة المضافة، والفلسفة العامة هي الفلسفة المعهودة منذ مئات السنين^(١) والفلسفة المضافة هي أنواع عديدة تفرعت من الفلسفة ثم استقلت بالبحث حتى صار كل منها علماً قائماً بنفسه، وذلك مثل: فلسفة الدين، فلسفة العلم، فلسفة الفن، فلسفة التاريخ، فلسفة السياسة، فلسفة الاجتماع، فلسفة الحقوق، فلسفة المنطق، فلسفة الرياضيات وحتى فلسفة الفلسفة.

ومن تلك العلوم والمباحث: (فلسفة الذهن) والتي تشكل الوسيط بين الفلسفة والحاسوب (الكمبيوتر) ومن أهم مسائل هذا العلم مسألة (الذكاء الصناعي) ومن أهم مباحثه مسألة (الأذهان الأخرى).

وفي (الحاسوب) يبحث عن نوعين من الذكاء: الذكاء القوي والذكاء الضعيف:

والذكاء الضعيف للحاسوب يعني أنه يمكن أن يستعمل كأداة متطورة لمطالعة أذهان الناس والتعرف على ميكانزمات حركة الذهن البشري ولكن الذكاء الضعيف ليس ذهنياً في حد ذاته.

أما الذكاء القوي للحاسوب فيعني أنه، إذا تمّت برمجته بشكل متكامل، قد تحول إلى ذهن حقيقي كأذهان البشر؛ والذكاء الضعيف يعني أن الكمبيوتر يجري معادلات علمية دقيقة بطريقة ميكانيكية لكنه لا يدرك ولا يعقل ولا يشعر ولا يحس ولا يفهم، وإن كان يمكن أن يجري التعبير عن ذلك كله بلغة الأرقام في

(١) وهي التي تبحث عن أحوال الموجود بما هو موجود.

الحاسوب المتطور، أما الذكاء الصناعي القوي فإنه يعني أن الحاسوب يصل إلى درجة من التطور بحيث يدرك ويفهم ويشعر!

بل بلغ التطور في أمر صناعة الروبوتات ذات الذكاء الصناعي الفائق إلى درجة أن الاتحاد الأوروبي شكل لجنة خاصة لسنّ قوانين ووضع تشريعات تنظم وتضبط حياة الروبوتات وعلاقتها بالناس والحد المسموح به من تطوير ذكائها، بل إنهم تخوفوا من بلوغها درجة هائلة من الذكاء بحيث إنها يمكن أن تتآمر على البشر لكي تستعبدهم مثلاً! أو أن تقرر القضاء على الحياة البشرية في الكرة الأرضية تماماً! لذلك كان من القوانين: إن من الإلزامي صنع (زر التدمير) في كل روبوت حتى إذا أحس صاحبه بالخطر منه فإنه يمكنه بضغطه زر أن يفجره ذاتياً! ولكن ومع ذلك لا تزال مخاوفهم قائمة من أن تطور الروبوتات أنفسها (أي البرامج) لتستكشف طرق إبطال مفعول تلك الأزار فتسيطر من ثمّ على الأرض كلها!!

وقد اختلف فلاسفة الذهن وفلاسفة الحاسوب في إمكانية الوصول إلى هذه المرحلة المتطورة، لكنه - عند البعض على الأقل - من المحتملات؛ وقد اعتقد (جان سيرل) - الفيلسوف المعاصر المتخصص في فلسفة الذهن واللغة - أنه لا يمكن للحاسوب مهما تطورت إمكاناته أن يصل إلى مرحلة الذهن العاقل والفاهم والمدرك والشاعر.

كما تدرك قطعاً أن للغير ذهنًا، فكذلك تدرك قطعاً أن لك

خالقاً!

وموطن الشاهد: إن كل واحد منا يدرك أن له ذهنًا وله أحاسيس ومشاعر وفهماً والتفاتاً وحالات ذهنية، وأنه موجود حيّ وليس بجهاز حاسوب يجري عمليات ذهنية مجردة دون فهم أو شعور كما يجريها الحاسوب ذو الفهم

الضعيف! فذلك واضح وبديهي لدى كل واحد منا، ولكن ماذا عن أذهان الآخرين؟ هل هم مثلنا تماماً؟ أم هم مجرد أجهزة حاسوب متطور وروبوتات تحاكي صنع البشر لكنهم ليسوا ببشر؟ من قال بأن الناس الذين يمشون في الشارع هم مثلنا تماماً؟ فلعلهم مجرد حاسوب مبرمج وروبوت متطور؟

إننا لا نستطيع إقامة الدليل البرهاني أو الرياضي على ذلك! ولو أقمنا الدليل لأمكن أن يعترض عليه باعتراضات دقيقة حسب معادلات حساب الاحتمالات! ولكننا مع ذلك مقتنعون بأن هذا الصديق وذاك المعلم وهذه المرأة - الزوجة مثلاً - وهذا الطفل و... هم بشر لهم ذهنٌ واعٍ فاهمٌ وشاعرٌ وليسوا رجلاً ألياً أو امرأةً روبوتية ذات ذكاء صناعي متطور يشبه الذهن البشري لكنه ليس بذهن بشري أبداً!

الإيمان بالله أمر عقلائي، وإن لم تتسلح بدليل فلسفي

ونقطة الانتقال من بحث الذهن الصناعي والذكاء المتطور إلى المبحث الفلسفي عن وجود الله تعالى، تبدأ، لدى پلانينگا، من هنا بالضبط؛ إذ يقول:

(إن المؤمن لا يحتاج في إيمانه بالله تعالى إلى أن يقيم براهين فلسفية قطعية على ذلك أو أن يكون قادراً على أن يجيب على مختلف الإشكالات على هذه الأدلة وقادراً على أن ينفي الاحتمالات العقلية المعارضة حسب حساب الاحتمالات، بل إن إيمانه بالله تعالى هو أمر معقول وعقلائي ومطمئن إليه وإن كان غير مسلح بدليل عقلي فلسفي قطعي، ويكفي أن المؤمن يطمئنون في قرارة أنفسهم بأن لهم خالقاً متعالياً كما أنهم يطمئنون في قرارة أنفسهم بأن الناس الآخرين هم بشر وليسوا مجرد روبوتات صناعية وأن أذهان الآخرين هي أذهان بشرية وليست ذكاءً صناعياً! ولا يحتاجون في إيمانهم هذا إلى إقامة أي دليل، ومع ذلك إيمانهم الله

بالمقدار الكافي عقلائي ومورث للاطمئنان...).

ويقول: (كما أن اعتقاد الناس بوجود الأذهان الأخرى، غير أذهانهم، ليس أمراً لا معقولاً ولا منطقياً، كذلك اعتقادهم بوجود الله تعالى ليس أمراً لا معقولاً على الرغم من عدم امتلاك بعضهم الدليل على ذلك أو عدم امتلاكهم دليلاً قطعياً لا تمكن الخدشة فيه).

ويقول: (بعبارة أخرى: إن استدلالنا المنطقي هو هكذا: لو كان اعتقادي بوجود سائر الأذهان معقولاً لكان اعتقادي بوجود الله معقولاً، لكن اعتقادي بوجود سائر الأذهان معقول، فاعتقادي بوجود الله تعالى أيضاً معقول).

والحاصل: إننا نعتقد بأن لأصدقائنا وسائر الناس أذهاناً ونعتقد في الوقت نفسه بأن الحاسوب لا ذهن له، مع أننا لا نستطيع أن نجيب بشكل استدلالي رياضي علمي على الشبهة التي يطرحها القائلون بأن الذكاء الصناعي قد يرتقي إلى أن يصل إلى مستوى الفهم والشعور والإدراك، والشبهة هي: إذا لم نستطع أن ندعن من التشابه الظاهري بين تحركات الإنسان وتصرفاته وبين تحركات الروبوت المتطور وتصرفاته، بأن الروبوت ذو ذهن وشعور وإدراك، فإننا لا نستطيع أن ندعن من التشابه الظاهري بين حركاتنا وتصرفاتنا وبين حركات سائر الناس وتصرفاتهم، أن لهم ذهناً وشعوراً وإدراكاً! ولكننا مع ذلك نعتقد بأن تشابهنا مع الكمبيوتر والروبوت صوري وهو هيكلي بلا روح، ولكن تشابهنا مع سائر الناس واقعي وهو هيكلي معه الروح!

وكما ترى فإن هذا الدليل ونظائره عقلائي مبني على التنظير وتنقيح المناط وشبه ذلك، كما أنه يتطرق إليه الاحتمال من حيث هو هو، لكنه مع ذلك يبني الناس كل حياتهم عليه بل لا يجدون أدنى مجال للترديد فيه!

مرجع كافة الأدلة إلى الأوليات فكيف تحتاج هي إلى دليل؟

ويمكننا أن نعبر عن ذلك بمصطلحات المنطق فنقول: إن ذلك نوع من أنواع الحدسيات وهي من أصناف اليقينيّات، ولكنك لا يمكنك إقامة الدليل عليها إذ كيف تقيم الدليل على حدسك! ولكن ذلك رغم ذلك هو حجة لك وإن لم تستطع أن تحتج به على الغير.

كما يمكن التعبير عن ذلك بلغة قرآنية وكلامية وهي: إن ذلك هو مقتضى (الفطرة) الإلهية أو فقل هو ما يدركه (الوجدان) بنفسه.

فهذه القضية هي من سلسلة القضايا الفطرية التي قياساتها معها وهي من العلوم الضرورية التي لا يمكن إقامة البرهان عليها وذلك لأن كل البراهين تعود إليها ولا تعود هي إلى برهان؛ وإلا للزم التسلسل في براهين العلم والمعرفة وللزم من ثمّ الجهل المطلق - كما حُقق في علم المنطق.

والحاصل: إن أمثال هذه القضايا إما هي حدسية قطعية أو هي ظنية، وفي كلتا صورتين فإنه لا يمكن الاستدلال بها على الغير ولا الدفاع عنها ببراهين استدلالية، كما أن الصورة الثانية هي محتملة للخلاف ومع ذلك نجد كافة العقلاء يستندون إليها ويعتمدون عليها ويعتبرونها حجة بلا كلام.

فهذه هي كبرى بنائهم في عامة قضاياهم وليست الأمور العقائدية إلا من مفردات هذه القضايا العقلائية المسلّمة. فهذا إذاً بعض الحديث عن الحجج العقلائية.

طرق أخرى غير معهودة، توصل إلى الله تعالى

ولكن، ومن جهة أخرى، فإن الأدلة إلى الله تعالى وإلى كافة الشؤون العقدية، لا تنحصر في تلك الأربعة بل ولا العشرة، بل هي طرق كثيرة جداً لا يندرج أكثرها تحت أي إطار منطقي معروف ولا يقع ضمن أي تصنيف معهود،

ولكنه مع ذلك طريق موصل إلى الله تعالى أو إلى الرسول المصطفى ﷺ أو إلى الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين أو إلى سائر حقائق أصول الدين. ولنذكر شواهد حية وأمثلة حقيقية لأشخاص من أديان مختلفة ومن بلاد مختلفة اهتموا إلى الحق ولكن بطرق غير متوقعة.

اليهودي الأمريكي الذي أسلم إذ قرأ آيات القرآن ضد اليهود!

أولاً: (إستيفز اسكلر)، وهو يهودي من أمريكا حاصل على شهادة البكالوريوس في الآداب، وقد نشأ في أسرة يهودية عريقة ولكنه أسلم وتشيع عبر طريقة غير معهودة بالمرّة، وبسبب كان ينبغي أن ينتج العكس (أي أن يكره الإسلام أكثر) لكنه أسلم بنفس السبب الذي قد يصدّ الكثير من أبناء جلدته عن الإسلام! والسبب في إسلامه هو إنه فتح ذات يوم القرآن الكريم ففوجئ بآية قاسية ضد اليهود إذ يقول تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١) وبآية أخرى أعنف: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاوُوا بِغَضَبِ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢)، ومع أن الإنسان بطبعه ينفر ممن يهاجمه بعنف ويحطّ من شأنه ويؤكد على شدة عداوته له، إلا أنه - على العكس - كان ذلك هو البوابة إلى هدايته وهو النور الذي أضاء له طريق الهدى والفلاح! فقد استوقفته الآية الأولى وتساءل مع نفسه حقاً لماذا نعادي المؤمنين؟ وهل نحن على حق في ذلك أو باطل؟ كما استوقفته الآية الثانية وأنه كيف يقول القرآن الكريم: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ مع أن اليهود الآن أقوياء ومن سادة العالم؟ وقاده ذلك في رحلة تاريخية

(١) سورة المائدة: ٨٢.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

طويلة ليجد أن اليهود بالفعل كانوا على مر التاريخ أذلاء قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وأنهم كانوا يقتلون أنبيائهم، وأنهم عادوا الرسول ﷺ والمؤمنين أشد العدا وتأمروا على رسول الله ﷺ بوجوه كثيرة، وأنهم تحالفوا حتى مع المشركين ضد الرسول ﷺ مع أن المفروض أنهم مع الرسول ﷺ في صف واحد لأنهم جميعاً يوحدون الله تعالى. فذلك كان منطلق بحثه ليصل إلى جوهر الحقيقة حتى كان أن أعلن إسلامه.

لماذا كان اليهود منبوذين وأذلة على مر التاريخ؟

أقول: اليهود منبوذون وأذلة الآن أيضاً رغم كل ما لهم من القوة الظاهرية الضاربة، ولذا تراهم يعتمدون على المكر والحيلة والتدليس في تمرير مخططاتهم، كما أنهم يعتمدون أكبر الاعتماد على الجنس في إفساد الناس من جهة وعلى الإيقاع بالمفاتيح الاجتماعية من جهة أخرى، وذلك عبر اصطيات فضائحهم الأخلاقية لتمرير أهدافهم السياسية: فأما من لا يخضع لهم فإنهم يحطمونه أشد التحطيم متذرعين بأنه فاسد أخلاقياً، وأما من يخضع لهم فإن المجال مفتوح له ليفعل ما يشاء من قبائح الأعمال بل يكونون هم الذين يهدون له الطريق لذلك بل يهيئون له ما يحتاج من أنواع المفاسد، وهذه صفة الأذلاء الحقرء من الناس.

والمتوقع أن تزداد كراهية الشعوب والأمم لهم بمرور السنين أكثر فأكثر نتيجة سوء استخدامهم للسلطة ومحاولات السيطرة على العالم بالربا والقهر والمكر، ومن الأدلة على ذلك اعتمادهم على حق النقض (الفيتو) لمنع التصويت على أي قرار إنساني في الأمم المتحدة يتعلق بفلسطين أو ما أشبه، بل الذي نتوقعه هو أن تنقلب عليهم أكبر قوة داعمة لهم وهي الولايات المتحدة كما انقلبت عليهم أكبر قوة داعمة لهم سابقاً وهي بريطانيا، والسبب أيضاً مؤامراتهم المستمرة حتى ضد أسيادهم

والتي كان من أبرز مظاهرها تجسسهم على أمريكا لسرقة بعض أسرارها العسكرية الخطيرة رغم أن أميركا تفانت في الدفاع عن إسرائيل واليهود تفانياً مذهلاً وإلى أقصى الحدود، وقد بلغت خطورة جواسيسهم إلى درجة اضطرت السلطات الأمريكية لاعتقالهم، ولا يزال بعض جواسيسهم الآن في السجون الأمريكية!

البوذي الياباني الذي أسلم إذ استنكر إهمال بوذا لإله الكون!

ثانياً: (كاتسومي سودو)، وهو بوذي ياباني، وقد أسلم بطريق غير معهود آخر، وهو أنه استوقفته هذه الفكرة المؤرقة يوماً ما، وهي إن من الغريب أن بوذا - فيما لديهم من الكتب والتعاليم - لم يهتم بالحديث عن إله الكون بل إنه نهى أتباعه عن الخوض في ذلك! وهنا فُكّر كاتسومي مع نفسه: كيف يمكن أن يهمل بوذا الحديث عن الإله؟ بل كيف يصح له أن ينهى عن الخوض في الكلام عنه وعن تعاليمه؟ مع أن الإله هو الخالق الرازق المنعم علينا بألوان النعم؟ أفليس من الواجب أن نتعرف عليه وأن نعرف لماذا خلقنا وماذا أراد منا؟ وكانت هذه الومضة الفكرية هي التي قادته في رحلة مضية أوصلته إلى اعتناق الإسلام الذي وجده أكثر الأديان عقلانية وتفصيلاً في الحديث عن خالق الكون جل اسمه.

المسيحي الفرنسي الذي أسلم إذ شرب كأس الشاي في المجلس!

ثالثاً: (وارتون كراباسي)، وهو مسيحي من فرنسا من قرية (فونتبلو) على مقربة خمسين ألف كيلو متراً من باريس وكان متخصصاً في هندسة الراديو والكهرباء، وقد سافر إلى طهران وعمل في مطار مهرآباد سنة كاملة ثم أمضى ثلاث سنين متعاقداً كمترجم في عدد من المعاهد التجارية.

وكان المدخل إلى هدايته أمراً من نمط آخر تماماً إذ كان هو كأس شاي

واحد فقط!! لكنه كان كأس شاي في مآتم الإمام الحسين عليه السلام ذلك أنه أصيب بمرض عضال وقد اشتدّ مرضه وازدادت آلامه رغم العلاج المكثف الذي كان يتلقاه حتى أنهم اضطروا لإجراء عملية جراحية له ، لكنه رغم ذلك ازداد وضعه سوءاً على سوء.

وفي يوم من أيام محرم ، يقول وارتون ، إنه تشوّق للمشاركة في مجلس عزاء للإمام الحسين عليه السلام يقام على مقربة من داره ، ليرى ماذا يقولون وكيف هي مجالس العزاء عند الشيعة ، ودفعه الشوق والفضول لكي يشارك في المجلس وعندما جلس قدّم له أحد خدام الإمام الحسين عليه السلام - وما أعظم منزلة خدامه - كأس شاي ، أخذ وارتوى الشاي ، وفجأة لمعت في ذهنه فكرة اضاءت له درب الهداية ، وهي أن يطلب من الله تعالى أن يشفيه بجرمة الإمام الحسين عليه السلام لديه ، وأن يريه معجزة جليلة واضحة بشفائه العاجل من هذا المرض المؤلم ؛ وهكذا شرب الشاي بهذه النية المباركة وذهب إلى منزله ونام وعندما استيقظ من منامه وجد العجب العجاب إذ انه كان قد شفي تماماً!!

وهكذا أسلم وتشيع ببركة وميض فكرة لمعت عند رشفةٍ من كأسٍ شاي في مجلس أبي الأحرار عليه السلام!

لماذا كانت بوابة الإمام الحسين عليه السلام للهداية هي الأوسع؟

وهنا نقول: إن الغريب - وليس بالغريب - إن بوابة الإمام الحسين عليه السلام هي أكبر بوابات الهداية للناس وأوسعها على مرّ التاريخ ، وهي البوابة الموطرة بإطار (العاطفة) والمتموجة ب(الاحساس بالمشاطرة الوجدانية) و(التألم لعظيم ما جرى عليه صلوات الله عليه من المصائب والرزايا والخطوب) ، وعلى الرغم من ان بوابة الإمام الصادق عليه السلام هي بوابة العلم والمعرفة إلا أن أكثر من يهتدي فإنما

يهتدي عبر بوابة العاطفة الحسينية المتأججة الجياشة ، ولذا اشتهر (كلنا سفن النجاة ولكن سفينة الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع) ، ولذا ورد عن أبي عبد الله عليه السلام : (قَالَ لِي : يَا أَبَا عُمَارَةَ أَنْشِدْنِي فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام) قَالَ : فَأَنْشُدْتُهُ فَبَكَى ثُمَّ أَنْشُدْتُهُ فَبَكَى . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَنْشُدُهُ وَيَبْكِي حَتَّى سَمِعْتُ الْبُكَاءَ مِنَ الدَّارِ .

قَالَ : فَقَالَ عليه السلام : « يَا بَا عُمَارَةَ مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام شِعْرًا فَأَبَكَى خَمْسِينَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْرًا فَأَبَكَى ثَلَاثِينَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْرًا فَأَبَكَى عَشْرِينَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْرًا فَأَبَكَى عَشْرَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْرًا فَأَبَكَى وَاحِدًا فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْرًا فَأَبَكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ » (١) .

بل إن الذي يحافظ على إيمان أكثر الناس هو الإمام الحسين عليه السلام بشعائره ومجالسه وحسينياته ومنابره ، بل لقد اهتدى الملايين في الهند واندونيسيا والباكستان وغيرها ببركة الشعائر الحسينية ومنها المشي على الجمر والتطبير .

وذلك كله على الرغم من أنه لا توجد جهة دلالة فلسفية في العاطفة تبرهن على الحَقَّانية ، ولا أنه يمكن تشكيل قياس منطقي من الشعائر أو من المصائب للوصول إلى أن الإسلام هو الدين القويم وإن الرسول وأهل بيته عليهم السلام هم الصراط المستقيم ؛ ولكنها (الهداية الربانية) التي لا تنحصر في الأطر المنطقية والاستدلالات الفلسفية قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) وقال الإمام الصادق عليه السلام : « سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعُ الْمَعْرِفَةِ

(١) الأُمالي : ص ١٤١ .

(٢) سورة يونس : ٢٥ .

وَالْجَهْلُ وَالرُّضَا وَالْغَضَبُ وَالنَّوْمُ وَالْيَقَظَةُ»^(١) لعلنا نوفق في بحث آخر إلى تفصيل الكلام عن هذا الحديث والوجه فيه بإذن الله تعالى.

كما ورد عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني ناظرتُ قوماً فقلتُ لهم إن الله جلَّ جلاله أجلُّ وأعزُّ وأكرمُ من أن يعرفَ بخلقه بل العباد يعرفون بالله؟ فقال عليه السلام: «رَحِمَكَ اللَّهُ»^(٢).

الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق

وقد اشتهر أن (الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق) والمراد: إن كل نفس يتنفسه مخلوق فهو دليل على الله تعالى فإنه حادث يدل على محدثه الأزلي، ومحتاج يدل على الغني بالذات، وممكن يدل على الواجب، ومعلول يدل على العلة، كما أن المراد: إن كل مخلوق قد يجد طريقه إلى الله تعالى بنحوٍ يختلف عن الطريق الذي وصل عبره سائر المخلوقات إلى الرب الكبير المتعال.

والعبرة من ذلك كله: إن علينا أن لا نسجن أنفسنا في سجن الأدلة المنطقية والفلسفية فقط بل علينا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وأن نقوم بعملية ترشيد لكافة الطرق العقلية والعقلانية والعلمية والتجريبية وغيرها مما لا يحصى من الطرق التي قد لا تكون مألوفة لدى أرباب صناعة المنطق والكلام والفلسفة.

ومنها: ما أشرنا إليه من استثمار طريق العاطفة الحسينية، وبأروع الطرق، لهداية الناس، وفي هذا الصراط علينا أن لا نستخف بقراءة قارئ، أو مدائح شاعر، أو مراثي رادود، أو شعيرة من الشعائر، فإن لله في خلقه شؤوناً وقد قدر للهداية طرقاً كثيرة متوقعة وغير متوقعة، فليس من الصحيح أبداً أن نضيق وسيعاً

(١) الكافي: ج ١ ص ١٦٤.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٨٦.

مهده الله، أو أن نغلق باباً فتحة الله، أو أن نحرم الدعوة والدعاة من طرق إلى الصراط المستقيم جعلها الله مفتاح بصيرة للكثير من الجاهلين وإن لم يكن يبدو لنا أي ربط جوهري بينها وبين الهداية - منطقياً - أبداً.

وقد ورد في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَيَّبَ رُوحَهُ فَلَا يَسْمَعُ مَعْرُوفًا إِلَّا عَرَفَهُ وَلَا مُنْكَرًا إِلَّا أَنْكَرَهُ ثُمَّ يَقْذِفُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ كَلِمَةً يَجْمَعُ بِهَا أَمْرَهُ» (١).

ورود عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً مِنْ نُورٍ وَفَتَحَ مَسَامِعَ قَلْبِهِ وَوَكَّلَ بِهِ مَلَكًا يُسَدُّهُ وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ سُوءًا نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ وَسَدَّ مَسَامِعَ قَلْبِهِ وَوَكَّلَ بِهِ شَيْطَانًا يُضِلُّهُ». ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (٢) (٣).

وسياتي (٤) شرح الحديث وبيان وجهه بإذن الله تعالى.

المسيحي الفيلسوف الذي أسلم إذ رأى نهج البلاغة!

رابعاً: (الدكتور محمد لكنهاوسن) - المولود عام ١٩٥٣م والذي نشأ في أسرة كاثوليكية وحصل على شهادة البكالوريوس في الفلسفة من جامعة ولاية نيويورك، وعلى الماجستير والدكتوراة في الفلسفة أيضاً من جامعة (واتيس) في (تكساس) يقول الدكتور: إنه عندما ذهب للجامعة ارتد عن المسيحية وأصبح ملحداً - لكنه اعتنق الإسلام بعد ذلك - وكان الوميض الذي دفعه للبحث عن الحقيقة ومن ثم إعلان إسلامه، أمران:

(١) الكافي: ج ١ ص ١٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٦٦.

(٤) تحت عنوان (وهي ما يحل بالطولية).

الأول: يقول (اعجبني في الإسلام شموليته)! ومع أن الشمولية لا تصلح دليلاً بحسب علم المنطق إذ هي أعم من المدعي، بل إن الكثير من الناس يراها نقطة ضعف ويدعي أن الأديان لا شأن لها بشؤون المعاش وأمور العباد والسياسة والاقتصاد والحقوق وأشباهها^(١)، إلا أن هذه القضية بالذات كانت المدخل إلى هدايته!

الثاني: المدخل الثاني لتشيعه وإسلامه هو (نهج البلاغة) للإمام علي عليه السلام إذ يقول: (اعجبني في الإمام علي شخصيته السياسية والاجتماعية والعرفانية) والتي تجلت في صحائف نهج البلاغة وغيره.

وهكذا نرى أن الطرق إلى الله تعالى هي بعدد أنفاس الخلائق، بل إن كلمة واحدة قد تكفي لهداية رجل قد يتحول إلى علم في أمة كما حدث للسارق الذي سمع وهو يتسلق الجدار في قلب الليل البهيم ليسرق، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢) فهزته الآية وهو على الجدار وقال: بلى قد آن لي أن يخشع قلبي لذكر الله، فرجع وتاب وصار من الصالحين.

أنواع ودوائر أخرى من دائرة الأدلة والحجج والبراهين

إن دائرة الحجج والبراهين تشكل أيضاً الجواب السادس عن إشكال طلب الحاصل في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إذ يراد على هذا أن المهتدي للصرط المستقيم يطلب من الله تعالى هدايته إلى الحجج عليها أو المزيد من الحجج أو حججاً أقوى، إضافة إلى ما يتضح في هذا البحث من تنوع دوائر الحجج وتكثرها.

(١) راجع (أسلمة العلوم الإنسانية) للمؤلف.

(٢) سورة الحديد: ١٦.

وتوضيح ذلك : إن الإنسان بحاجة إلى هداية الله تعالى له كي يقع على الحجج الصحيحة المنتجة الموصلة إلى لباب الواقع وذات الحقيقة ونفس الأمر؛ وذلك لأن الأقسام ثلاثة :

الفارق بين البرهان والجدل والمغالطة

أ - فقد يكون الدليل صحيحاً والمستدلّ عليه صحيحاً أيضاً.

ب - وقد يكون الدليل باطلاً والمستدلّ عليه صحيحاً.

ج - وقد يكون كلاهما باطلاً.

والأول : هو المسمى في علم المنطق بالبرهان.

والثاني : هو المسمى بالجدل.

والثالث : هو المسمى بالمغالطة في مباحث الصناعات الخمس.

والمقصود إن جوهر الفارق بين الصناعات الثلاث هو بما ذكر، وليس الكلام عن الإطراد وعدمه أو إن النسبة بينها هي التباين أو من وجه حقيقة أو توسعاً ك﴿وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾^(١) كما ليس في التعريفات الفنية لكل منها والتي قد تكون بها الصناعة المنطقية أوسع مما ذكرناه أو أضيق نظير تخصيص البرهان مثلاً (بالمقدمات اليقينية التي تنتج بنفسها يقيناً آخر) كما ليس في احتمال تعدد الإطلاقات في الجدل والمغالطة.

وعلى أي فموطن تحقيق ذلك وقبوله أو رفضه هو مباحث المنطق، إنما الكلام في جوهر فلسفة هذه الصناعات الثلاث، فيما نرى، عندما نحاول أن نرجع إلى الوراء لندخل في عقل واضع علم المنطق لنكتشف أن من العقلاني أن يرى ذلك التقسيم الثلاثي :

(١) سورة غافر: ٥.

فإن بعض الأدلة هي أدلة صحيحة مستوفية لشروط إحدى الأشكال الأربعة مثلاً من ناحية العلة الصورية كما أنها سليمة من حيث مادتها فتوصل إلى الحقيقية كما هي، فهذا هو الجدير بأن يسمى البرهان، وأما المغالطة فالجدير أن توضع على الأدلة السقيمة الفاقدة لشرائط الإنتاج والخاطئة من حيث المادة أيضاً بأن أوصلت إلى الخطأ المحض فهذا الدليل هو المغالطة (أو هو أعلى درجاتها) وبعض الأدلة سقيم من حيث شرائط الاستدلال والدليلية لكنه يوصل - ولو في نظر السامع - إلى الواقع لاعتماده على مقدمات مسلمة لديه وإن كانت باطلة واقعاً لكنها صادف أن تكون موصلة للواقع فهذا هو الجدل (حصراً أو في صورته الراقية)، فتدبر!

وموطن الشاهد إننا نطلب من الله تعالى أن يهدينا إلى الصراط المستقيم في مراحل الاستدلال والاحتجاج بأن يرشدنا للبراهين الصحيحة الموصلة إلى النتائج السليمة أيضاً.

استدلال الإمام عليه السلام على الملحد: لقد سلموا وعطبتهم، أو استوتتم!
ولنتوقف ههنا عند مثال كلامي - تطيقي هام في إحدى أهم استدالاتنا على الملحدين وعلى مغالطة بعضهم لردّ هذا الدليل، ثم الجواب عن المغالطة:
فقد استدلال الإمام الصادق عليه السلام على بعض أكابر الملحدين ببرهان احتمالات الربح والخسارة، ثم جاء بعد أكثر من ألف سنة أحد الفلاسفة ليصوغ ذلك البرهان في صيغة أخرى اشتهرت بـ(برهان باسكال) وجاء من بعده بعض الملحدين ليناقد رهبانه ومن ثم استدلال الإمام الصادق عليه السلام (وإن لم يطلع على أن جوهر استدلال باسكال يعود لاستدلال صادق أهل البيت عليهم السلام) ثم نذكر بعض الأجوبة الدامغة على مناقشة أولئك الملحدين:

استدلال الإمام الصادق عليه السلام:

فقد ورد في التاريخ: (عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا... قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: تَرُونَ هَذَا الْخَلْقَ؟ وَأَوْماً يَبْدُوهُ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُوجِبُ لَهُ اسْمُ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْجَالِسُ! - يَعْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاعٌ وَبِهَائِمٌ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَكَيْفَ أُوجِبَتْ هَذَا الْاسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟
قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ!

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: لَأَبْدُ مِنْ اخْتِبَارٍ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لَأَتَفَعَلَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ!
فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيِكَ وَلَكِنْ تَخَافُ أَنْ يَضْعِفَ رَأْيَكَ عِنْدِي فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ الْمَحَلَّ الَّذِي وَصَفْتُ!

فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَمَا إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ وَلَا تَتَّبِعْ عِنَانَكَ إِلَى اسْتِرْسَالٍ فَيُسَلِّمَكَ إِلَى عِقَالٍ وَسِمِهِ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ.

قَالَ: فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَبَقِيَتْ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفَّعِ جَالِسَيْنِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ مَا هَذَا بِبَشَرٍ وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِي يُتَجَسَّدُ إِذَا شَاءَ ظَاهِرًا وَيَتَرَوَّحُ إِذَا شَاءَ بَاطِنًا فَهُوَ هَذَا! فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي ابْتَدَأَنِي فَقَالَ: «إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ، يَعْنِي أَهْلَ الطَّوَافِ، فَقَدْ سَلِمُوا وَعَطِبْتُمْ وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ!»!

فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَآيَ شَيْءٍ نَقُولُ وَآيَ شَيْءٍ يَقُولُونَ مَا قَوْلِي

وَقَوْلِهِمْ إِلَّا وَاحِدٌ؟

فَقَالَ وَكَيْفَ يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ لَهُمْ مَعَادًا وَثَوَابًا
وَعِقَابًا وَيُؤَيِّنُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهًا وَأَنَّهَا عُمُرَانُ وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ
لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ...»^(١).

رهان باسكال

ثم جاء (باسكال) وصاغ هذا الاستدلال بعبارة أخرى فقال بما حاصله :

١- إن آمنت بالله وكان الله موجوداً، فسيكون جزاؤك الخلود في الجنة،
وهذا ربح لا محدود.

٢ - إن لم تؤمن بالله وكان الله موجوداً، فسيكون جزاؤك الخلود في
جهنم، وهذه خسارة لا محدودة.

٣ - إن آمنت بالله وكان الله غير موجود، فلن تجزى على ذلك، وهذه
خسارة محدودة.

٤ - إن لم تؤمن بالله وكان الله غير موجود، فلن تعاقب لكنك ستكون قد
عشت حياتك، وهذا ربح محدود).

وإذا وضعنا الرهان في جدول، سيتضح لنا أن الإيمان يعطينا إما الربح اللا
محدود أو خسارة عادية جداً، في حين أن عدم الإيمان يعطينا إما الخسارة اللا
محدودة أو ربحاً عادياً فقط.

على فرض أن (الله غير موجود)	على فرض أن (الله موجود)	
خسارة غير مهمة	ربح غير محدود في الجنة	الإيمان بالله
ربح غير مهم	خسارة لا محدودة في النار	عدم الإيمان بالله

بل نقول: إن الإنسان إذا آمن بالله تعالى وبالمعاد والثواب والعقاب وكان الله موجوداً وله رسل ووثاب وعقاب، فأطاعه رِيحَ الرِّيحِ اللا محدود إذ إن الدنيا مجرد سنوات معدودة أما الآخرة فهي تمتد على مساحة ملايين السنين بل المليارات بل الترليونات بل ما لا يتناهى من السنين، كما أن نعيمها: «وَفِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، وإذا كفر فإنه يخسر الآخرة ويتلى بـ«نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارٌهَا لِعُصِيهِ»^(٢) و﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^(٣).

تطوير رهان باسكال

ولكن - وهذا تطوير لاستدلال باسكال - إن آمن الإنسان بالله والآخرة والمعاد والثواب والعقاب ولم يكن الله تعالى فرضاً موجوداً فإننا - كمتدينين - لا نخسر - كما توهم باسكال - شيئاً، ولا يربح المنكر شيئاً (وهو الذي سماه أنه يعيش حياته) بل نبقى نحن الراجحين وذلك لأن المؤمنين الملتزمين هم عموماً أسعد حالاً من غيرهم من الكفرة العصاة؛ وذلك لأن المحرمات إنما حرمت لمفاسد واقعية وأضرار حقيقية فيها، فالمؤمن المتدين يتجنب شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والزنا مثلاً وغير المؤمن لا يرى سبباً لتجنبها، وقد ثبت في العلم أيضاً أن الخمر تضر العقل والبدن وتسبب في الكثير من الأمراض الخطرة وكذلك لحم الخنزير، كما أن الزنا يهدم العوائل ويدمر المجتمعات ويتسبب في مجموعة من أخطر الأمراض كالسلس والسيلان وغيرهما.

من أضرار شرب الخمر

ولنذكر كنموذج على ذلك ما ذكره بعض الباحثين عن أضرار الخمر ليتضح لنا ان المؤمن الملتزم أفضل حالاً بالفعل من غيره وإن فرض أن الله غير

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٩٥.

(٢) نهج البلاغة: ص ٢٤٧.

(٣) سورة غافر: ٧١.

موجود وأن الأديان أوهاام!

الآثار الصحية للخمر على المدى القصير

- ١ - التأثير السلبي على المخ ومسارات التواصل العصبية، مما يؤدي إلى إعاقة القدرة على الحكم على الأمور.
- ٢ - عدم القدرة على تنسيق حركات الجسم مثل المشي أو القيادة.
- ٣ - الاضطراب. ٤ - صعوبة التركيز. ٥ - التلعثم في الكلام.
- ٦ - تراجع الرادع الأخلاقي والعقلاني، إذ قد يكسر المخمور القوانين ويسرق أو يرتكب الجرائم كالاغتصاب مثلاً.
- ٧ - كما أن الإسراف في الخمر قد يؤدي إلى صعوبات في التنفس، والغيوبة والموت نتيجة الإفراط في الكحول.

الآثار الصحية في المدى الطويل

- تشير المؤسسات الوطنية للصحة في الولايات المتحدة إلى أن الخمر:
- ١ - يؤثر على النسيج الدماغي وقد يؤدي إلى انكماشه، كما يؤدي إلى:
 - ٢ - صعوبات في الذاكرة. ٣ - بطء في التفكير.
 - ٤ - تغييرات في المزاج والسلوك كالاكتئاب.
 - ٥ - زيادة مخاطر اعتلال عضلة القلب.
 - ٦ - اضطرابات في نبضات القلب.
 - ٧ - ارتفاع ضغط الدم. ٨ - السكتة الدماغية.
 - ٩ - تغييرات دهنية في الكبد، مما قد يقود في بعض الحالات إلى حدوث فشل في الكبد.

- ١٠ - التهاب الكبد الكحولي . ١١ - تشمع الكبد .
 ١٢ - سرطان الكبد . ١٣ - التهاب البنكرياس .
 ١٤ - سرطان الفم . ١٥ - سرطان الحلق .
 ١٦ - سرطان المريء . ١٧ - سرطان الثدي .
 ١٨ - إضعاف جهاز المناعة مما يزيد من احتمالية إصابة الشخص بالأمراض
 مثل التهابات الرئة^(١) .

والحاصل : إن من أضرار تناول الخمر : التهاب البنكرياس وسرطان الرئة
 والحلق ، كما أنه يؤدي إلى ضعف في التفكير وزيادة مخاطر إصابة عضلة القلب
 وارتفاع ضغط الدم والسكتة الدماغية وبطء شديد في التفكير وسرطان المريء
 وسرطان الثدي كما يؤدي إلى التهاب الكبد الكحولي وتشمع الكبد وسرطان
 الكبد وضعف جهاز المناعة ، وفي المقابل فإن المؤمن الملتزم بمنأى عن ذلك كله .

والحاصل : إن الاستقراء والتجربة يدلاننا على أن المؤمن الملتزم أسعد من
 غيره في أسرته ومجتمعه فإن الصدق والوفاء النزاهة وحب الأهل والوطن
 ومواساة الجار والقريب والبعيد والصلاة والصوم وغيرها مما أمر به الشارع
 الأقدس كلها عوامل سعادة وسلام وتقدم ورفاه وأمن وطمأنينة .

لا يقال : يوجد في المؤمنين الكثير من الفقراء والمرضى ؟

إذ يقال : وكذلك يوجد في الكفار الكثير من الفقراء والمرضى ! فكما في
 الكفار أغنياء وفقراء وعلماء وجهال فكذلك في المؤمنين ! ، وإنما الكلام هو في أن
 المؤمن من حيث إيمانه والتزامه بتجنب المعاصي وبفعل الطاعات رابح ، عكس

(١) من موقع الجزيرة نت ، طب وصحة ، مقالة بعنوان (الخمر.. سُم يُشرب وعقل يُسلب وصحة
 تذهب) مع تصرف .

الكافر من حيث كفره وعصيانه ، وأقل ما في الأمر إن المؤمن لأطمئنانه بالآخرة والجنة والثواب العظيم ، أقدر على تحمل المصائب والنوازل من الكافر ولذلك تراه - على حسب درجات إيمانه - يمتلك الهدوء النفسي والطمأنينة والسكينة إذ يرى كل ذلك بعين الله ، عكس الكافر الذي لا يؤمن به جل اسمه ، كما أن الكافر إذا تعرض أبوه أو أخوه أو ابنه لحادث مؤلم أودى بحياته ، فإنه لا سلوان له ولا مستند يتكأ عليه إذ يراه قد تحوّل إلى عدمٍ محض وأنه فقدته نهائياً ، أما المؤمن فإنه يرى حبيبه قد انتقل إلى عالم أرحب وأوسع وأجمل وأفضل فلئن حزن عليه ساعة أو أياماً اطمأن بعظيم لطف الله تعالى ساعات وأسابيع .

وعوداً إلى برهان باسكال نقول :

جوهر فكرة رهان باسكال

لقد صاغ باسكال معادلة الخسارة والربح السابقة بصيغة يتقبلها العقل المعاصر بشكل أكبر ، وهي إنه أدخل تلك المعادلة في دائرة المراهنة : وذلك كما لو فرضنا وجود حلبة سباق للخيول وشاهدنا الحصان الأبيض هو الفائز في كافة المسابقات الماضية ولنفرضها مائة سباق ، ووجدنا الحصان الأسود هو الخاسر في كل المسابقات الماضية ، بل لو وجدنا الحصان الأبيض فاز في ٩٩٪ من المسابقات الماضية والحصان الأسود فاز في ١٪ منها ، والآن إذا أردت الرهان على الفائز في السباق القادم ، فعلى أي حصان تراهن؟ إن من الواضح إنك تراهن على الحصان الأبيض ، وذلك على الرغم من أنه عقلاً يحتمل أن يكون الأسود هو الحصان الرابع هذه المرة ، ولكن العقلاء بالإجماع يرون من السفاهة أن تراهن على الحصان الأسود (الخاسر دائماً أو في ٩٩٪ من الموارد أو حتى في ٩٠٪ منها) ويرون من الحكمة والمنطق ان تراهن على الحصان الفائز دائماً أو غالباً .

والحاصل: إن العقل وإن احتمل العكس، لكن العقلاء بما هم عقلاء يلغون احتمال الخلاف ويعتبرون الحجة في اقتفاء أثر التجارب الناجحة السابقة. وكذلك تماماً رهاننا على وجود الخالق تماماً، وإن كان بصيغة أخرى، فإننا إن راهنا على وجوده ووجود الثواب والعقاب وكان موجوداً كان الثواب العظيم بما لا يتناهى شدة ومدة وعدة، وإذا راهنا على عدم وجوده وعدم الجنة والنار وكان موجوداً كان الخسارة هائلة مذهلة، وفي المقابل لو لم يكن موجوداً فإن الكافر غاية الأمر أنه سيربح حياته المحدودة، وقد سبق أن المؤمن هو الراجح حتى في هذه الحياة إذ يتجنب السرقة والغش والزنا وغير ذلك فيزداد مكانة ومصداقية لدى الناس كما سيحظى بالصحة والسلامة وغير ذلك!

فأي الرهانين يجب عليك أن تختاره: رهان الربح اللامتناهي أو رهان الربح المحدود جداً؟

نقد بعض الحداثويين لرهان باسكال

ولكن بعض الحداثويين من الملاحدة المتفلسفين، هاجم هذا البرهان بضراوة بل استهزأ به واعتبره ضعيفاً هشاً باطلاً من الأساس!

والغريب أنني عندما لاحظت الإشكالات وجدت مدى ضعفها وهشاشتها بما لا ينبغي أن يصدر من طالب في المتوسطة فكيف بفيلسوف علماني!

قال بعضهم: (يفترض الرهان أن الإله الحقيقي هو بصورة الإله الإبراهيمي الذي يجازي أتباعه. يمكننا هنا تخيل أن الإله الحقيقي هو عكس ذلك تماماً: فقد يقوم على سبيل السخرية بزج بالمؤمنين به في الجحيم وبجزاء غير المؤمنين به بالجنة. أو قد يكون الإله الحقيقي هو إله الفكرة المalthيسية والتي تقول بأن الآلهة تأكل أرواح المؤمنين بعد موتهم).

وقال: (الرهان المعاكس إحدى الطرق التي نرد بها على الرهان تكون بافتراض إله آخر في محل إله باسكال (إله المسيحية). الإله الآخر يعاقب هؤلاء الذين يؤمنون بوجوده من دون دليل ويجزي من سواهم!! لاحظ أن هذه الفرضية لا تفترض مسبقاً أن الإنجيل أو القرآن أو ما شابههم من الكتب المقدسة ليست من مصدر إلهي، فقد يكون الإله قد أنزلهم بالضبط لاختبار مدى سداجة البشر.

الله غير موجود	الله موجود	
خسارة غير مهمة	خسارة لا محدودة في النار	الإيمان بالله
ربح غير مهم	ربح غير محدود في الجنة	عدم الإيمان بالله

تحت هذه الافتراضات، والتي تستمد بأدلة عقلية لا تزيد ولا تقل على وجود الإله الذي يفترضه باسكال، نرى أن السيناريو يعطي الملحدين ربحاً في كلا الحالتين سواء أكان الله موجوداً أو لا، بينما نجد المؤمنين في خسارة في الحالتين. بما أن احتمالية وجود الإلهين (الإله هنا وإله باسكال) متساوية بالاحتمالات، يظهر أن الإلحاد يوفر الفرصة الأكبر للربح، وهذا يقلب حجة باسكال رأساً على عقب).

الجواب: احتمال عقوبة المطيع غير عقلائي!

والجواب واضح وبديهي بل إن نفس رهان باسكال يستبطن الجواب عنه بوضوح، وذلك لأن احتمال أن يعاقب الله (المفترض) عباده الذين يؤمنون به وأن يثيب المنكرين له والمعارضين بالجنة، هو صفر لدى العقلاء، وهو وإن كان احتمالاً عقلياً إلا أنه ليس بعقلائي أبداً بل لا تجد عاقلاً في حياته العملية ينساق مع مثل هذا الاحتمال الهش؛ فمثلاً: هل تجد عاقلاً يقول: بأن الجندي في الجيش إذا أطاع الضابط، أو الموظف في الشركة إذا أطاع المدير والتزم بأوامره

ونفذ التعليمات كلها كما طلبت منه فإنه من المحتمل أن يعاقبه المسؤول أشد العقاب ويسجنه ويعذبه، على سبيل السخرية مثلاً!!، وأنه إذا عصى المدير ودمر شركته وممتلكاته، أو خالف قرارات الجيش وأفسد خططه العسكرية فإنه حينئذٍ سيقربه إليه أكثر وسوف يمنحه ترقية كبرى في الشركة أو الجيش!

إن هذا الاحتمال وإن كان عقلاً ممكناً، لكنه عقلاً صفر، وهل يلتزم هذا الفيلسوف بمقتضى كلامه؟ فمثلاً إذا وجد هذا الفيلسوف شرطي المرور يأمره بالوقوف عند الإشارة الحمراء فهل يعصيه ويعارضه متذرعاً بأنه من يدري (!) فلعلني إذا عصيته أعطاني هدية رائعة (!) أما إذا أطعته ووقفت عند الإشارة ضربني بالهراوة الغليظة على أم راسي وقادني إلى السجن المظلم وفي أشد أنواع التعذيب (!).

مثال آخر: تصور أن هنالك غابة تقع في وسط بلديتين (أ و ب) وإن فيها عصابة من الأشرار يعتدون على كل من يمر عبرها ويسلبونه كافة أمواله ثم يقتلونه شر قتلة، وإن هناك طريقاً آخر للوصول إلى البلدة (ب) وهو طريق آمن، فهل تجد عاقلاً يعكس الرهان ويقول سأسلك طريق الغابة إذ من المحتمل أن هؤلاء الأشرار إذا رأوني أن يحتضوني ويكرموني ثم يهبونني كل أموالهم؟ ومن المحتمل أنني إذا سلكت الطريق الآمن أن تهاجمني الشرطة (المعروفة بالنزاهة) وتسلبني حتى ثيابي ثم تقتلني شر قتلة؟

من البديهي أن العقلاء يراهنون على خيار الطريق الآمن وإن احتمل عقلاً أن يتحول الشرطة الأخير (وهم تحت رقابة صارمة) فجأة إلى أشرار!! وأنهم يعدون من يسلك طريق الغابة الخطر لمجرد ذلك الاحتمال العقلي الواهي (أن الأشرار فجأة يتحولون إلى أخيار عشاق له ويكرمونه) من السفهاء بل من أكثر

السفهاء سفاهة ويرون تفكيره أشد الأفكار تفاهة!

وهناك شبهات أخرى لا تقل ضعفاً وهشاشة - لدى التدبر - عن هذه الشبهة التي أوردت على هذا البرهان، ونشير إلى الجواب عن إحداها: وهو أن هذا البرهان لا ينفى وجود شريك لله ولا يثبت أنه مجرد مثلاً.

والجواب: إن كل برهان إنما يتكفل البرهنة على ما هو في حدود مقتضاه ولا يتكفل الأكثر من ذلك، فهذا البرهان الصادقي ﷺ ثم البرهان الباسكالي مثلاً إنما يتكفل أصل احتمال وجود إله خالق للكون وأن البناء عليه هو الأسلم الأفضل بلا شك، وهو على تقدير التنزل، والخطاب فيه موجه لمن يشك في وجوده تعالى ولا يطمئن للأدلة كبرهان إبطال الدور والتسلسل فرضاً، فنقول له حينئذٍ: لكن هذا الرهان هو الرهان الرابع وذاك الرهان هو الخامس - حسبما مضى - ولكنه - بصيغته الحالية - لا يتكفل الأكثر من ذلك أي لا يتكفل بمجرد إثبات عدم وجود شريك للباري وعدم التثليث مثلاً، إلا إذا جرى تطويره، كما لا يتكفل إثبات أن الله مجرد مثلاً، بل ذلك يحتاج إلى تتميم أو ضمائم من أدلة أخرى، وذلك ككافة الحقائق التي تفتقر إلى إقامة العديد من البراهين على أصل وجودها تارة ثم على تفاصيل حقائقها، وبذلك تندفع بعض الإشكالات الأخرى على هذا البرهان، ولا حاجة للإطالة باستعراضها مع الأجوبة عليها.

الخاتمة

القاعدة العامة: المقياس (الحق)، وبه يُعرف أهله

من المعروف أن القاعدة العامة هي تلك التي أشار إليها إمام المتقين عليه السلام بقوله: «انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال»^(١)، وقال أيضاً: «فاعرف الحق تعرف أهله»^(٢) للحارث الهمداني الذي أدهشه كثرة الاختلاف في أصحاب الإمام عليه السلام والذين كان يتميز بعضهم بأنهم من العباد الذين انطبعت على جباههم آثار السجود وكان الكثير منهم أهل تعبد وتهجد وتضرع، فقال له الإمام عليه السلام: «فإنك امرؤ ملبوس عليك»، ويروي لنا التاريخ تفصيل الحوار بين الإمام عليه السلام وبين الحارث إذ: (دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم فجعل الحارث يتند في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة. فقال: «كيف تجدك يا حارث؟»

فقال: نال الدهر يا أمير المؤمنين مني وزادني أوباً غليلاً اختصام أصحابك

ببأبك.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٣٨.

(٢) الأمالي: ص ٣.

قَالَ: «وَفِيمَ خُصُومَتِهِمْ؟»

قَالَ: فِيكَ وَفِي الثَّلَاثَةِ مِنْ قَبْلِكَ فَمِنْ مَفْرَطٍ مِنْهُمْ غَالٍ وَمَقْتَصِدٍ تَالٍ وَمِنْ مُتَرَدِّدٍ مُرْتَابٍ لَّا يَدْرِي أَيُّقَدِّمُ أَمْ يَحْجِمُ

فَقَالَ: «حَسْبُكَ يَا أَخَا هَمْدَانَ أَلَا إِنَّ خَيْرَ شِيعَتِي النَّمَطُ الْأَوْسَطُ إِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الْغَالِي وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي».

فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: لَوْ كَشَفْتَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي الرَّيْنِ عَنْ قُلُوبِنَا وَجَعَلْتَنَا فِي ذَلِكَ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا.

قَالَ: «قَدْكَ فَإِنَّكَ أَمْرٌ مَلْبُوسٌ عَلَيْكَ إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ فَاعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ، يَا حَارِثُ إِنَّ الْحَقَّ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَالصَّادِعَ بِهِ مُجَاهِدٌ وَبِالْحَقِّ أُخْبِرُكَ فَارْعِنِي سَمِعَكَ ثُمَّ خَبِرَ بِهِ مَنْ كَانَتْ لَهُ حَصَانَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ أَلَا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ وَصَدِيقُهُ الْأَوَّلُ قَدْ صَدَّقْتَهُ وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ...»^(١).

والسر في قوله عليه السلام: «إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ فَاعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ» واضح وهو إن الأشخاص يقيّمون بمدى اقترابهم من الحق وتفاعلهم معه وانقيادهم له فـ(الحق) هو المقياس وليس (الشخص) فإن الحق حق مطلقاً وأما الشخص فقد يكون على حق وقد لا يكون، فعليك ان تتخذ من الحق مقياساً لتقييم الآخرين وليس العكس، ولذلك أيضاً ورد: «خُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَجَانِينِ»^(٢) فإن الحق وإن كان في فم المجنون هو كالجوهرة فإنها جوهرة وإن ابتلعها الكلاب، و«الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثَمَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ

(١) الأمايلي: ص ٦٢٥.

(٢) مصباح الشريعة: ص ١٦٠.

صَالَتْهُ فَلْيَأْخُذْهَا»^(١)، وورد أيضاً: «اطُّبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ»^(٢).

من البصائر: المقياس (أهل الحق)، وبهم يعرف الحق!

وذلك كله صحيح وعلى حسب مقتضى القاعدة، ولكن الغريب الملفت أن القرآن الكريم في آية الصراط المستقيم عندما أراد تعريفه، عدل عن تعريفه بالقيم والمثل العليا والمبادئ إلى تعريفه بالأشخاص، فبدل أن يعرف الصراط المستقيم بأنه (الدين القويم) أو أنه (العدل والإحسان والصلاة والصيام) وشبه ذلك، عرفه بـ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٣) فكيف وجه الجمع؟ وما هو السر في ذلك؟

والجواب هو: إن هذا هو الاستثناء من تلك القاعدة والذي يؤكد في الوقت نفسه القاعدة العامة، فإن القاعدة هي ما ذكر ولكن يستثنى من ذلك أشخاص هم قمة، قمة القمة في الطهارة والنزاهة والعلم والمعرفة والسير والسلوك والخلق القويم والقلب السليم، وهم (المعصومون عليهم السلام) من كل دنس ورجس ونجس وخطأ وخطل وريب وشبهة، وهم المطهرون من الرجس العملي والفكري والقلبي حتى أنهم لا تخطر في بالهم أشباح المعاصي ولا وساوس الصدور وهم الذين قال عنهم تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤).

فهؤلاء هم مقاييس الحق والصدق، والفرق بينهما هو أن الحق هو بلحاظ المطابقية، والصدق وهو بلحاظ المطابقية، فإذا لاحظت (الكلمة الصائبة) من

(١) الكافي: ج ٨ ص ١٦٧.

(٢) عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٧٠.

(٣) سورة الفاتحة: ٧.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٣.

حيث إنها مطابقة للواقع كانت صدقاً وإذا لاحظتها من حيث إنها مطابقة له حتى لكانها الأصل والواقع الفرع كانت حقاً.

ولذلك كله قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(١) فالصراط المستقيم إذا أردت اكتشافه فعليك بالبحث عن القمم السامقة التي تجسده وعن الأشخاص النموذجيين الذين يحتضنونه، أي إن عليك أن تبحث عن: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾.

وهؤلاء تصرح آيتان أخريان بشخصهم الكريمة وهما: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢) و﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٣) و﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٤) و﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٥) و﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٦) إلى أن يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(٧).

السرف في مدارية المعصومين عليهم السلام رغم وجود العقل

وسر السرف في ذلك كله: إن الإنسان بعقله المتأرجح بين الحكمة وبين

(١) سورة الفاتحة: ٦ - ٧.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

(٣) سورة مريم: ٤١.

(٤) سورة مريم: ٥١.

(٥) سورة مريم: ٥٤.

(٦) سورة مريم: ٥٦.

(٧) سورة مريم: ٥٨.

الأهواء والشهوات ، والمتذبذب بين نور البصيرة وبين حكومة القوة الغضبية ونوازع المادية ، والمختلف من حيث القوة والضعف باختلاف الحالات والطوارئ وباختلاف الأشخاص ، لا يمكنه أن يصل إلى (الدين) بنفسه إلا للاوحدى من الرجال^(١) ، على أن دائرة المستقلات العقلية محدودة جداً فلا يمكنه إلا معرفة مفردات وجوانب قليلة من الدين فقط ، ويكون فيما عداها مسرح الأخطاء الكبرى والزلات العظمى .

لذلك جعل الله مقياس الحق والباطل هو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(٢) وقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين

الطاهرين .

(١) وفي بعض أبعاده وجوانبه .

(٢) سورة مريم : آية ٥٨ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى حُجَّتِكَ وَوَلِيِّ أَمْرِكَ وَصَلِّ عَلَى جَدِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِكَ السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ
وَصَلِّ عَلَى عَلِيٍّ أَبِيهِ السَّيِّدِ الْقُسُورِ وَحَامِلِ اللَّوَاءِ فِي الْمُحَشِّرِ وَسَاقِي أَوْلِيَائِهِ مِنْ نَهْرِ
الْكَوْثَرِ وَالْأَمِيرِ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ الَّذِي مَنْ آمَنَ بِهِ فَقَدْ ظَفَرَ^(١) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَقَدْ^(٢)
خَطَرَ وَكَفَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أُخِيهِ وَعَلَى نَجْلِهِمَا الْيَامِينَ الْغُرَرِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا
أَضَاءَ قَمَرٌ وَعَلَى جَدَّتِهِ الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بِنْتَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَعَلَى مَنْ
اصْطَفَيْتَ مِنْ آبَائِهِ الْبَرَّةِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ وَأَتَمُّ وَأَدْوَمُ وَأَكْبَرُ وَأَوْفَرُ مَا صَلَّيْتَ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْفِيَانِكَ وَخَيْرِنِكَ مِنْ خَلْقِكَ.

وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً لَا غَايَةَ لِعَدَدِهَا وَلَا نِهَايَةَ لِمَدَدِهَا وَلَا نَفَادَ لِأَمَدِهَا اللَّهُمَّ وَأَقِمْ^(٣)
بِهِ الْحَقَّ وَأَذْهِبْ بِهِ الْبَاطِلَ وَأَدِلْ بِهِ أَوْلِيَاءَكَ وَأَذِلْ بِهِ أَعْدَاءَكَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَصَلَّةً تُؤَدِّي إِلَى مُرَافَقَةِ سَلَفِهِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ بِحُجْرَتِهِمْ
وَيَمْكُنُ^(٤) فِي ظِلِّهِمْ وَأَعِنَّا عَلَى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ وَالْاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ وَالْاجْتِنَابِ عَنْ
مَعْصِيَتِهِ.

(١) (شَكَرَ).

(٢) (وَمَنْ أَبَا فَقَدَ).

(٣) (أَعَزَّ).

(٤) (وَيَمْكُنُ).

وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِرِضَاهُ وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدُعَاءَهُ وَخَيْرَهُ مَا نَتَالُ بِهِ سَعَةً مِنْ
 رَحْمَتِكَ وَفَوْزاً عِنْدَكَ وَاجْعَلْ صَلَاتِنَا بِهِ مَقْبُولَةً وَذُنُوبَنَا بِهِ مَغْفُورَةً وَدُعَائِنَا بِهِ مُسْتَجَاباً
 وَاجْعَلْ أَرْزَاقَنَا بِهِ مَبْسُوطَةً وَهُمُومَنَا بِهِ مَكْفِيَةً وَحَوَائِجَنَا بِهِ مَقْضِيَةً وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا بِوَجْهِكَ
 الْكَرِيمِ وَأَقْبِلْ تَقَرُّنَا إِلَيْكَ وَانْظُرْ إِلَيْنَا نَظْرَةَ رَحِيمَةٍ نَسْتَكْمِلُ بِهَا الْكِرَامَةَ عِنْدَكَ ثُمَّ
 لَا تَصْرِفْهَا عَنَّا بِجُودِكَ وَاسْقِنَا مِنْ حَوْضِ جَدِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكَأْسِهِ وَيَدِينِ رَبِّاً
 رَوْيَاهُنِيئاً سَائِغاً لَا ظَمَأَ بَعْدَهُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

فهرس المصادر

❖ القرآن الكريم.

❖ نهج البلاغة.

❖ الكافي: ثقة الإسلام الكليني، دار الكتب الإسلامية - طهران.

١. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة البعثة.

٢. تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة دار الكتاب - قم.

٣. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية - طهران، ١٣٨٠هـ.

٤. تفسير الإمام العسكري عليه السلام، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم.

٥. مصباح الشريعة، الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠هـ.

٦. إعلام الوري، أمين الإسلام الطبرسي، دار الكتب الإسلامية - طهران.

٧. الأمالي، الشيخ الصدوق، المكتبة الإسلامية - قم، ١٤٠٤هـ.
٨. الأمالي، الشيخ الطوسي، دار الثقافة للنشر - قم، ١٤١٤هـ.
٩. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٠. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن، مكتبة آية الله المرعشي - قم، ١٤٠٤هـ.
١١. تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
١٢. التهذيب، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية - طهران.
١٣. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، دار الرضي للنشر - قم، ١٤٠٦هـ.
١٤. جامع الأخبار، تاج الدين الشعيري، دار الرضي للنشر - قم، ١٤٠٥هـ.
١٥. الخصال، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٣هـ.
١٦. عوالي اللآلئ، ابن أبي جمهور الاحسائي، دار سيد الشهداء عليه السلام - قم، ١٤٠٥هـ.
١٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، دار العالم للنشر (جهان)، ١٣٧٨هـ.
١٨. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي، مكتب الإعلام الإسلامي - قم.
١٩. الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، مكتبة الصدوق - طهران، ١٣٩٧هـ.
٢٠. فلاح السائل، السيد علي بن طاووس الحلبي، مكتب الإعلام الإسلامي - قم.

٢١. كتاب المزار، الشيخ المفيد، المؤتمر للشيخ المفيد - قم.
٢٢. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ، العلامة المجلسي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ١٤٠٤هـ.
٢٣. مستدرك الوسائل، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت ﷺ - قم.
٢٤. مصباح المتهدد، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت.
٢٥. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
٢٦. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٣هـ.
٢٧. مناقب آل ابي طالب ﷺ، محمد بن شهر آشوب المازندراني، مؤسسة العلامة للنشر - قم.
٢٨. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت ﷺ - قم.
٢٩. الإمامة والسياسة - تاريخ الخلفاء، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق الشيرازي، انتشارات الشريف الرضي - قم.
٣٠. أعلام الدين، الحسن بن ابي الحسن الديلمي، مؤسسة آل البيت ﷺ - قم.
٣١. رجال الكشي.
٣٢. مجمع الرجال، الشيخ عناية الله علي القهبائي، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان - قم.
٣٣. مستطرفات المعالي أو منتخب المقال والأقوال في علم الرجال، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٣٤. منتهى المقال في أحوال الرجال، محمد بن إسماعيل المازندراني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم.
٣٥. دراسة (حدود ولاية الفقيه في فكر الإمام الشيرازي رحمته)، مركز الإمام الشيرازي رحمته للدراسات.
٣٦. لسان العرب، ابن منظور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٩ م.
٣٧. مذكرات حردان التكريتي.
٣٨. معجم مقائيس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، منشورات مكتب التبليغ الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم.
٣٩. مفردات الراغب الاصفهاني مع ملاحظات العملي، الراغب الاصفهاني، دار المعروف للطباعة والنشر.

المحتويات

٧	المقدمة
٩	التمهيد
٩	الكون في معادلةٍ ثنائِيَّةٍ الظاهرِ والباطنِ
١٠	العلوم الأربعة: ظاهر الدنيا والآخرة وباطنهما

الفصل الأول

بحوث عن الهداية/ ١١

١٣	البحث الأول: طلب الحاصل محال فكيف يطلب المؤمن الهداية؟
١٤	أولاً: طلب الهداية في مرحلة العلة المبقية
١٥	قصة القاضي الذي مات ضميره بعد الإعدامات!
١٧	لنكن حسَّاسين جداً تجاه حُسن أو سوء العاقبة
١٨	ثانياً: طلب الهداية إلى الدرجات العليا
١٩	لنكن في حركة دائمة نحو الكمال
٢٠	خطر التراجع الروحي على طالب العلم
٢٠	شواخص التقدم معرفياً ومعنوياً
٢٢	ثالثاً: طلب الهداية التكوينية
٢٢	من تجليات الهداية التكوينية، التوفيق، عكس الخذلان
٢٣	لماذا نشغل بالهوامش، ونتناسى أعظم الكتب المقدسة؟

- ٢٤ إشارة لفقهِ رواية الإمام الصادق عليه السلام
- ٢٥ الشيخ المفيد رحمته والرؤيا المذهلة
- ٢٦ من مصاديق الهداية التكوينية لطلاب الحوزة العلمية
- ٢٧ وللكسبة والتجّار
- ٢٧ رابعاً: الهداية في القضايا المستحدثة
- ٢٩ طلب الهداية عند كل فتنة
- ٢٩ وفي أثناء الاجتهاد والاستنباط
- ٢٩ لتتذكر آية (الصراط) عند كل حدث وموقف
- ٣٠ المعاني الأربعة، متكاملة غير متمانعة
- ٣١ الصراط المستقيم في الحكومة الدينية وولاية الفقيه
- ٣١ دوائر الهداية في القضايا المستحدثة
- ٣١ (١) الهداية في الأحكام
- ٣٢ (٢) الهداية في الموضوعات
- ٣٢ أ- الهداية إلى الزواج الناجح
- ٣٣ ب- الهداية للموقف من انتخابات الدول الغربية
- ٣٤ شروط سلامة الموقف في القضايا الخطيرة
- ٣٥ ج- الحوزة أو المنصب؟
- ٣٦ (٣) الهداية في الحجج وفي مرحلة الاستنباط
- ٣٦ (٤) الهداية في دائرة النظريات العامة
- ٣٧ ولاية الفقيه أو الفقهاء أو ولاية الأمة؟
- ٣٧ الأقوال في ولاية الفقيه
- ٣٩ (ولاية الفقيه) عند عرضها على كتاب الله تعالى

- ٤٠ ولاية الفقيه التنجيزية أو التعليقية
- ٤١ فما هو الصراط المستقيم في ذلك؟
- ٤١ الحكومة الوطنية أو الدينية المستبدة أو الشورية؟
- ٤٣ فما هو الصراط المستقيم في ذلك؟
- ٤٣ (٥) الهداية في دائرة القيادة الإسلامية
- ٤٤ الرقابة على القادة والحكام فريضة إلهية
- ٤٦ حسن الصباح في امبراطورية الرعب والدهاء وغطاء الشرعية!
- ٤٧ قلعة الموت والانتقال العسكري
- ٤٨ الغضب المقدس! رداء الشرعية على السرقة المقنعة!
- ٤٨ الخوارج: إرهاب وقسوة مع التلغع برداء الدين!
- ٥٠ استراتيجية الاغتيالات النوعية، والشرعية أيضاً!
- ٥١ الشرعية للمستبدي عبر بوابة مقارعة الصليبيين!
- ٥١ كيف استبدل الناس مستبداً بطاغية آخر؟
- ٥٢ الخدعة الكبرى: اللجنة الفردوس على الأرض!
- ٥٣ التاريخ يعيد نفسه
- ٥٤ (٦) الهداية في دائرة المواقف
- ٥٤ الموقف من الحكومات المستبدة الجائرة
- ٥٥ معادلات وأحكام في العلاقة بالحكام
- ٥٥ ١ - المظلوم أقوى من الظالم دائماً
- ٥٦ عقوبة غريبة لمن رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم
- ٥٧ ٢ - التبرير للحاكم الظالم، من الكبائر
- ٥٨ «مَنْ عَذَرَ ظَالِمًا يَظْلِمِهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَظْلِمُهُ»

- ٥٨ ٣- الآثار الأخروية لإعانة الظالم
- ٥٩ «مَنْ مَدَحَ سُلْطَانًا جَائِرًا كَانَ قَرِينُهُ إِلَى النَّارِ»
- ٥٩ ٤- من أكبر الكبائر إضفاء الشرعية على الحاكم الجائر
- ٦٠ رسالة نادرة من الإمام السجاد عليه السلام إلى الزهري
- ٦٢ أحاديث غريبة وضعها ضد الأئمة عليهم السلام تزلفاً للسلطان
- ٦٥ ٥- جماهير الناس، في معرفة الحق، ليسوا هم المقياس!
- ٦٧ السيد الحكيم رحمته مسيرة علم وجهاد
- ٦٨ عبد الكريم يتبنى الشيوعيين، والحكيم يواجهه بصلابة
- ٦٩ انتقام السلطات والشيوعيين من السيد الحكيم والمتدينين
- ٧٠ حزب البعث يواجه الحوزة العلمية ويطارد العلماء
- ٧١ المرجعية العليا تستعرض قوتها الجماهيرية
- ٧١ السلطات تعتقل العلماء وتحاصر المرجع الأعلى
- ٧٣ مستقبلكم بأيديكم: إما من أعوان الظلمة أو من أنصار المظلومين!
- ٧٤ الملحق
- ٧٧ خامساً: الهداية الشهودية بعد الهداية العلمية
- ٧٨ (الضيافة) بين لغة الأرقام ولغة القلب
- ٧٩ العلامة الاميني رحمته حافياً حاسراً ذاهلاً!
- ٨٠ منطقتا القلب والعقل، وما تحتضنانه
- ٨١ تعارض مدركات العقل مع أحاسيس القلب
- ٨٢ شهادة الرسول صلى الله عليه وآله لأويس القرني بالجنة
- ٨٤ عمر يبلغ سلام الرسول صلى الله عليه وآله لأويس!

- ٨٥ لماذا تظاهر أوبس بالجنون؟
- ٨٨ يعبد الله ٢٤ ساعة متواصلة ثم يشكو من (عين نؤامة)!
- ٨٩ لماذا تكون عبادة بعضهم نقراً كنقر الغراب!
- ٩٠ بين منطق العقل والقانون ومنطق القلب والمحبة
- ٩١ الأميني رحمته يبيع داره ليطلع كتابه!
- ٩٢ هل نستشعر كل لحظة إشراف إمام العصر والزمان عليه السلام؟
- ٩٤ البحث الثاني: هل الهداية فعل الله قسراً أو هي فعل العبد؟
- ٩٤ أقسام عطايا الله تعالى
- ٩٤ ما يمنحه للعبد دون توسط مشيئته
- ٩٥ ما يمنحه له بواسطة مشيئته وإرادته
- ٩٥ ما يكون مزيجاً من الأمرين
- ٩٧ الكافي: الهداية فعل الله، ولا يمكننا هداية من أراد الله ضلّالته
- ٩٨ المواقف المتنوعة من هذه الروايات
- ٩٨ ❖ موقف المستسلم
- ٩٩ ❖ موقف المتهور
- ١٠٠ ❖ موقف الصراط - الوسط
- ١٠٠ وجوه الجواب عما ظاهره قسرية الهداية
- ١٠٠ ١- عرضها على كتاب الله
- ١٠١ وظاهره إرادية الدعوة والهداية
- ١٠٢ وهي ما يُحلّ بالطولية
- ١٠٣ ٢- طرحها؛ للإشكال سندياً فيها

- ٣- حملها على أنها قضية خارجية ومن التقية ١٠٤
- كلام العلامة المجلسي رحمته في مرآة العقول ١٠٤
- مؤيدات للتقية في الرواية ١٠٥

الفصل الثاني

بحث عن (الصراط)/ ١٠٧

- من البصائر: (الصراط المستقيم) هدف أو وسيلة؟ ١٠٩
- الجواب: الأقسام ثلاثة ١٠٩
- التمحُّص في المقدمة والآلية ١١٠
- التمحُّص في المطلوية الذاتية ١١٠
- الجامع للجهتين ١١١
- أ - تعلّم العلم ١١١
- وجه أفضلية الزهراء عليها السلام على الإمام الصادق عليه السلام ١١١
- ب - حبُّ الله والرسول والآل عليهم السلام ١١٢
- كيف يكون «حُبُّ عليٍّ عليه السلام حسنة لا تضرُّ معها سيئة»؟ ١١٢
- ولا يعني ذلك الإغراء بالمعصية أبداً ١١٣
- ج- الركض نحو الجامعة! ١١٥
- وجه جديد لكون الثواب على نفس المشي لزيارة الحسين عليه السلام ١١٥
- معاني الصراط المستقيم ١١٦
- أولاً: القرآن الكريم ١١٦
- ثانياً: الأنبياء والمرسلون والأئمة الميامين ١١٧
- ثالثاً: أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته ١١٨

- ١١٩ رابعاً: حبّ محمد وآله عليهم السلام
- ١٢٠ من بصائر النور في آية الصراط المستقيم
- ١٢٠ لماذا (الصراط) وليس (الطريق)؟
- ١٢٠ (الصراط) تحمل إرثاً تاريخياً وكنزاً من البطون
- ١٢١ اللغويون: الصراط يعني: البلع والازدراد!
- ١٢٣ المناقشة: أ - الصراط كلمة من الإرث الإبراهيمي عليه السلام
- ١٢٤ ب- الصراط فيه نوع إبهام، فناسب (أهدنا)
- ١٢٥ ج- لا مثنى للصراط، عكس الطريق
- ١٢٥ د - الصراط أعم من الطريق والغاية

الفصل الثالث

بحث عن (الاستقامة) / ١٢٩

- ١٣١ من بصائر النور في آية الصراط المستقيم
- ١٣١ المحتملات في معنى المستقيم
- ١٣١ أ- المراد به المجرد (القويم)
- ١٣٢ ب- المراد به المطاوعة
- ١٣٣ ج- المراد به الطلب (طلب القيام والثبات والاستقامة)
- ١٣٤ وصف الصراط بالمستقيم مع أنه لا إدراك له!
- ١٣٤ أولاً: لأن المراد به المعصومون عليهم السلام
- ١٣٥ ثانياً: لأن الطريق، ككل مخلوق، مدرك شاعر
- ١٣٧ ماذا يعني ان يطلب الصراط الاستقامة؟
- ١٣٧ معاني الاستقامة

- أولاً: الاستقامة بلحاظ الغاية ١٣٧
- الصواريخ الذكية ١٣٨
- الطرق الجبلية ١٣٨
- السر في التعبير بـ «يُدورُ حيثما دارَ» ١٣٨
- لأن علياً عليه السلام صَمَتَ وَسَكَنَ إذ وجبا ونَهَضَ وَنَطَقَ إذ لَزِمَا ١٣٩
- النحو والمنطق أو الفقه؟ ١٤٣
- الفقه أو العقائد؟ ١٤٣
- ثانياً: الاستقامة بلحاظ الفاعل ١٤٥
- إن الله يغضب لغضب فاطمة عليها السلام ١٤٥
- والأعمال الصالحة لا تُقبل إلا بالتوحيد والولاية ١٤٦
- رضا المالك هو المقياس، لا المصالح والمفاسد ١٤٨
- ثالثاً: الاستقامة بلحاظ الموضوع ١٤٩
- رابعاً: الاستقامة بلحاظ القابل ١٤٩
- بذل العلم لغير أهله وكتمانه عن أهله ١٥٠

الفصل الرابع

بحث عن أنواع الأدلة والحجج / ١٥٣

- من البصائر: طرق الهداية متعددة مختلفة باختلاف الشاكلة ١٥٥
- أنواع الأدلة إلى الله تعالى: أ - الدليل العقلي ١٥٦
- ب - الدليل العقلاني ١٥٦
- ج - د - الدليل العلمي والدليل التجريبي ١٥٧
- حجية الأدلة العقلائية في أصول الدين ١٥٨

- ١٥٨ الفيلسوف المعاصر پلانتيٲنگا في طريقه إلى الله تعالى
- ١٥٩ فلسفة الذهن والحاسوب والذكاء الصناعي ، طريق آخر إلى الله
- ١٦٠ كما تدرك قطعاً أن للغير ذهنًا ، فكذلك تدرك قطعاً أن لك خالقاً!
- ١٦١ الإيمان بالله أمر عقلائي ، وإن لم تتسلح بدليل فلسفي
- ١٦٣ مرجع كافة الأدلة إلى الأوليات فكيف تحتاج هي إلى دليل ؟
- ١٦٣ طرق أخرى غير معهودة ، توصل إلى الله تعالى
- ١٦٤ اليهودي الأمريكي الذي أسلم إذ قرأ آيات القرآن ضد اليهود!
- ١٦٥ لماذا كان اليهود منبوذين وأذلة على مر التاريخ ؟
- ١٦٦ البوذي الياباني الذي اسلم إذ استنكر إهمال بوذا لإله الكون!
- ١٦٦ المسيحي الفرنسي الذي أسلم إذ شرب كأس الشاي في المجلس!
- ١٦٧ لماذا كانت بوابة الإمام الحسين عليه السلام للهداية هي الأوسع ؟
- ١٦٩ الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق
- ١٧٠ المسيحي الفيلسوف الذي أسلم إذ رأى نهج البلاغة!
- ١٧١ أنواع ودوائر أخرى من دائرة الأدلة والحجج والبراهين
- ١٧٢ الفارق بين البرهان والجدل والمغالطة
- ١٧٣ استدلال الإمام عليه السلام على الملحد: لقد سلّموا وعطّبتم ، أو استوتيتم!
- ١٧٥ رهان باسكال
- ١٧٦ تطوير رهان باسكال
- ١٧٦ من أضرار شرب الخمر
- ١٧٧ الآثار الصحية للخمرة على المدى القصير
- ١٧٧ الآثار الصحية في المدى الطويل

- ١٧٩ جوهر فكرة رهان باسكال
- ١٨٠ نقد بعض الحداثويين لرهان باسكال
- ١٨١ الجواب: احتمال عقوبة المطيع غير عقلائي!
- ١٨٤ ❖ الخاتمة
- ١٨٤ القاعدة العامة: المقياس (الحق)، وبه يُعرف أهلهُ
- ١٨٦ من البصائر: المقياس (أهل الحق)، وبهم يُعرف الحق!
- ١٨٧ السر في مدارية المعصومين عليهم السلام رغم وجود العقل
- ١٩١ فهرس المصادر
- ١٩٥ الفهرس
- ٢٠٥ كتب أخرى للمؤلف

كتب أخرى للمؤلف

١. أضواء على حياة الإمام علي عليه السلام، مطبوع.
٢. التصريح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم، مطبوع.
٣. لماذا لم يصرح باسم الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم؟، مطبوع.
٤. استراتيجيات إنتاج الثروة ومكافحة الفقر في منهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مطبوع.
٥. شعاع من نور فاطمة الزهراء (عليها السلام)، دراسة عن القيمة الذاتية لمحبة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، مطبوع.
٦. تجليات النصر الإلهية للزهراء المرضية عليها السلام، مطبوع.
٧. لمحات من حياة الإمام الحسن عليه السلام، مطبوع.
٨. شرعية وقدسيتها ومحورية النهضة الحسينية عليه السلام، مطبوع.
٩. المرابطة في زمن الغيبة الكبرى، مطبوع.
١٠. السيدة نرجس (عليها السلام) مدرسة الأجيال، مطبوع.
١١. دروس وعبر من الكلمات القصار من نهج البلاغة، مخطوط.
١٢. بحوث في العقيدة والسلوك، مجموعة محاضرات على ضوء الآيات القرآنية الكريمة، ألفت في الحوزة الزينبية وفي النجف الأشرف، مطبوع.
١٣. إضاءات في التولي والتبري، مطبوع.
١٤. دروس في أصول الكافي - الجزء الأول كتاب العقل والجهل، مخطوط.

١٥. كونوا مع الصادقين ، بحوث تفسيرية في الآية الشريفة ﴿كونوا مع الصادقين﴾ ، مطبوع.
١٦. لمن الولاية العظمى؟ مطبوع.
١٧. توبوا إلى الله ، مطبوع.
١٨. شرح دعاء الافتتاح ، مخطوط.
١٩. بصائر الوحي في الإمامة ، مطبوع.
٢٠. سوء الظن في المجتمعات القرآنية ، مطبوع.
٢١. مقتطفات قرآنية ، مطبوع.
٢٢. مناشئ الضلال ومباعد الانحراف ، مطبوع.
٢٣. ملامح النظرية الإسلامية في الغنى والثروة والفقر والفاقة ، بحث عن هندسة اتجاهات الفقر والغنى في المجتمع ، مطبوع.
٢٤. مقاصد الشريعة و مقاصد المقاصد اللين والرحمة نموذجاً ، مطبوع.
٢٥. شورى الفقهاء والقيادات الإسلامية بحث اصولي فقهي على ضوء الكتاب والسنة والعقل ، مطبوع
٢٦. رسالة في قاعدة الإلزام ، تقارير دروس الخارج في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، مخطوط.
٢٧. فقه التعاون على البر والتقوى ، مطبوع.
٢٨. فقه الخمس ، تقرير دروس الخارج في الحوزة العلمية الزينية ، مخطوط.
٢٩. فقه المكاسب مباحث البيع ، مخطوط.
٣٠. فقه المكاسب المحرمة - حفظ كتب الضلال ومسببات الفساد ، مطبوع.
٣١. فقه المكاسب المحرمة - مباحث الرشوة ، مطبوع.

٣٢. فقه المكاسب المحرمة - حرمة الكذب ومستثنياته، مطبوع.
٣٣. فقه المكاسب المحرمة - رسالة في التورية موضوعاً وحكماً، مطبوع.
٣٤. فقه المكاسب المحرمة - رسالة في الكذب في الإصلاح، مطبوع.
٣٥. فقه المكاسب المحرمة - احكام اللهو واللغو واللعب وحدودها، مطبوع.
٣٦. فقه المكاسب المحرمة - رسالتان في النجش والدرهم المغشوشة، مطبوع.
٣٧. فقه المكاسب المحرمة - مباحث النميمة، مخطوط.
٣٨. رسالة في الحق والحكم التعريف والضوابط والاثار، مخطوط.
٣٩. الاجتهاد في أصول الدين، مخطوط.
٤٠. الأصول مباحث القطع، مخطوط.
٤١. الأوامر المولوية والإرشادية، مطبوع.
٤٢. بحوث تمهيدية في الاجتهاد والتقليد، تقارير دروس الخارج في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، مطبوع.
٤٣. التبعية في التقليد، مخطوط.
٤٤. تقليد الأعلام وحجية فتوى المفضول، مطبوع.
٤٥. التقليد في مبادئ الاستنباط، مطبوع.
٤٦. الحججة؛ معانيها ومصاديقها، مطبوع.
٤٧. حججة مراسيل الثقات المعتمدة (الصدوق والطوسي قدس سرهما نموذجاً)، مطبوع.
٤٨. رسالة في أجزاء العلوم ومكوناتها، مطبوع.
٤٩. رسالة في فقه مقاصد الشريعة، مخطوط.
٥٠. فقه الرؤى، دراسة في عدم حجية الأحلام على ضوء الكتاب والسنة

والعقل والعلم، مطبوع.

٥١. مباحث الأصول، التعادل والتراجيح، مخطوط.
٥٢. مباحث الأصول، رسالة في الحكومة والورود، مخطوط.
٥٣. المبادئ التصورية والتصديقية للفقه والأصول، مطبوع.
٥٤. المبادئ والضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية، مخطوط.
٥٥. رسالة في نقد الكشف والشهود، مخطوط.
٥٦. نسبية النصوص والمعرفة... الممكن والممتنع، مطبوع.
٥٧. نقد الهرمينوطيقا ونسبية الحقيقة والمعرفة واللغة، مطبوع.
٥٨. مدخل إلى علم العقائد، نقد النظرية الحسية، مطبوع.
٥٩. ملامح العلاقة بين الدولة والشعب، مطبوع.
٦٠. معالم المجتمع المدني في منظومة الفكر الإسلامي، مطبوع.
٦١. الخط الفاصل بين الأديان والحضارات، مطبوع.
٦٢. الحوار الفكري، مطبوع.
٦٣. الوسطية والاعتدال في الفكر الإسلامي، مطبوع.
٦٤. قاعدة اللطف، مخطوط.
٦٥. التبعية في التقليد، مطبوع.
٦٦. القيمة المعرفية للشك، مطبوع.